إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

يوم الحسين عليه السلام

الجزء الثاني

عرض وتحليل أهم أحداث يوم عاشوراء وما تلاه

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الدكتور علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٢٢

يَوْمُ الحُسَيْن

الجزء الثاني

عرض وتحليل أهم أحداث يوم عاشوراء وما تلاه

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

(١) مقتل الإمام الحسين(ع) ٥
(٢) ركب آل الرسول في الكوفة ١٠٥
(٣) ركب آل الرسول في الشام ١٧٧
(٤) ركب آل الرسول؛ من الشام إلى المدينة ٢٢٣
(٥) ركب آل الرسول في المدينة ٢٤٩
ملحق ١: روايات فضل زيارة الحسين(ع) ٢٦٩
ملحق ٢: النص الكامل لزيارة الناحية المقدسة ٢٧٩
المصادر ٢٩١
الفهرست التفصيلي ٣٠١

(١)

مقتل الإمام الحسين(ع)

١٠ محرم الحرام ٦١ هـ

أكثر فصول ثورة الإمام الحسين عليه السلام ألماً ووجعاً هي أحداث يوم عاشوراء وما جرى فيه من فاجعة عظمى تمثّلت بمقتل ريحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي صلوات الله عليه، ومقتل أهل بيته وصحبه الكرام، ثم ما تلاه من أيام شهدت سبي بنات الرسول ومن رافقهن من نساء ثواكل وأطفال يتامى.

روى الصدوق: (عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا بن شبيب، ..... إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا بن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليه السلام: أنه لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه، مطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عزوجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله صلوات الله عليهم، فالعن قتلة الحسين.

يا بن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا بن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا و افرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة) [١].

مقتل الحسين(ع) وأنصاره يوم عاشوراء:

ذكرنا – ضمن أحداث يوم التاسع من محرم – أنّ الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد لعنه الله زحف نحو مخيّم الحسين عصراً، وأنّ الحسين عليه السلام طلب منهم إمهاله إلى صباح العاشر، وأشرنا إلى أنّ محمد بن الأشعث الكندي (أحد مستشاري ابن سعد) كان قد تنبّأ بأنّ الحسين لن يختار سبيل الاستسلام والبيعة أبداً، قال لابن سعد: "ولعمري ليصبحنّك بالقتال غدوة" [٢]، وهذا الأمر يعرفه ابن سعد تماماً، كيف! وهو القائل لشمر لعنه الله: "لا يستسلم والله حسين، إنّ نفس أبيه لبين جنبيه" [٣]!

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٢ – ١٩٣.

٢- مقتل الحسين، أبو مخنف: ١٠٦؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٥.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٥؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٨٩.

مجزرة عاشوراء:

المفردات اللغوية التي تُستعمل عادة لوصف سوح القتال عند التحام الجيوش المتحاربة، مثل: "معركة" أو "وقعة"، لا أعتقد أنها تصلح لأن تكون وصفاً دقيقاً لما جرى يوم عاشوراء؛ ذلك أنّ "معركة = وقعة" تتضمن معنى التنافس والتناسب المادي - عدة وعدداً - بين الخصوم، وربما الأصح والأدق وصف ما جرى يوم عاشوراء بـ "مجزرة" و"حمّام دم" [١].

لماذا مجزرة؟

عرفنا أنّ أنصار الحسين عليه السلام يتراوح عددهم بين (٧٠ – ١٠٠) شخص، أما الجيش الأموي فكان عدده: (٣٠,٠٠٠ – ٧٠,٠٠٠) مقاتل [٢]. وإذا ما أردنا معرفة النسبة المئوية بين الطرفين فإنّ نسبة السبعين إلى الثلاثين ألفاً: 100 × (70/30000)، هي: (% 0,2333)، أي: (١ مقابل ٤٢٩). وإذا قلنا: مائة مقابل ثلاثين ألفاً تصبح النسبة

١- حمّام دم: أي مذبحة يقترفها طاغٍ للتخلُّص من بعض معارضيه تثبيتًا لحكمه، وقد أُطلق عليها لفظ "حمّام" لكثرة ما يراق فيها من الدّماء.

٢- ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: "ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كلٌّ يتقرّب إلى الله عزوجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدو اناً" الأمالي، الصدوق: ٥٤٧. ولا شك أنّ فيهم كوفيين، لكنهم - كما تقدم - أقلية قياساً بمن حضر وأكثرهم من أهل الشام الذين كانوا - فعلاً - يتقرّبون إلى الله بسبِّ أبيه أمير المؤمنين والانتقاص منه والسعي لإبادة ولده وذكره، وبالتالي فإنّ وصف الإمام: "كلٌّ يتقرّب إلى الله عزوجل بدمه" ينطبق عليهم تماماً، ولا ينطبق على أغلب الكوفيين؛ لأن من حضر منهم حضر مرغماً بسبب الخوف من العقاب، كما أنّ كثيراً منهم لم يكونوا ممّن ازدلف لقتله و إنما رجعوا إلى مؤخرة الجيش، وإن أُجبر بعضهم أو كثير منهم على الاقتراب من الحسين عليه السلام فهم بالتأكيد ليسوا ممّن يتقرّب إلى الله بدمه وقتله، بل بعضهم كانوا يدعو له بالنصر: روى الطبري عن (سعد بن عبيدة قال إنّ أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التل يبكون ويقولون اللهم أنزل نصرك - أي: على الحسين - قال قلت يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونه ...) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٥.

وعموماً، صفة الثلاثين ألفاً الواردة في نص الرو اية لا تشمل أغلب الكوفيين - وهم آلاف أيضاً -، وقد يؤشر هذا الأمر إلى أنّ العدد أكثر من ثلاثين ألفاً، هذا إضافة إلى تصريح بعض النصوص التاريخية بأنّ العدد يزيد على الثلاثين ألفاً بكثير، وبعضها تنص على أنهم كانوا سبعين ألفاً، كما تقدم في أواخر بحوث الجزء الأول.

المئوية هي: (0, 3333 %)، أي: (١ مقابل ٣٠٠). بمعنى: كل فرد من جيش الحسين يقابله ما بين ٣٠٠ إلى ٤٢٩ مقاتل أموي!

أما إن اعتبرنا الجيش الأموي سبعين ألفاً فتكون النسبة هي: (0, 1 %)، أي: (١ مقابل ١٠٠٠) إن قلنا إنّ أنصار الحسين سبعون، وإن قلنا مائة فالنسبة هي: (0, 1429 %)، أي: (١ مقابل ٧٠٠)!

وفي كل الأحوال - وعلى أدنى تقدير - فالأمر يوم عاشوراء كان هكذا: (١ مقابل ٣٠٠ على الأقل إلى ١٠٠٠ على الأكثر)، وهذا يعني أنّ حمّام دم ومجزرة بكل ما تعنية الكلمة من معنى قد حدثت في كربلاء!

وبطبيعة الحال، فإنّ هكذا مواجهة يفترض أن تنتهي في غضون وقت قصير؛ لأننا نتكلم عن مواجهة والتحام بالسيوف وجهاً لوجه بشكل مباشر وليست مواجهة بالأسلحة الحديثة كالرشاشات والصواريخ وما شابه التي تكون عادة عن بُعد وتأخذ وقتاً أطول من الالتحام المباشر.

أما إذا رأينا أنّ المجزرة أخذت وقتاً أطول؛ فلأسباب عديدة سيأتي بيانها.

عاشوراء؛ التحام أم قتال فردي؟

قبل عرض بعض ما وصلنا من أحداث يوم عاشوراء لابد من الإشارة إلى أمر يسهم بتغيير التصوّر المطبوع في أذهان الكثيرين، ويمهّد لإعادة فهم وتقييم مجريات ونصوص يوم عاشوراء بشكل مختلف، وهو:

هل كان القتال يوم عاشوراء فردياً أم كان اشتباكاً والتحاماً بين جيشين؟

لا شك أنّ المطلع على كتب التاريخ والمقاتل التي تعرّضت لواقعة كربلاء ومقتل الحسين - وهي كثيرة [١] - يجد أنها صوّرت المعركة على شكل قتال ومبارزات فردية، خرج فيها أنصار الحسين عليه السلام في بداية المعركة الواحد تلو الآخر، ثم بعد استشهادهم برز أهل بيت الحسين للقتال يتقدّمهم علي بن الحسين "الأكبر" عليه السلام مروراً ببقية آل أبي طالب و انتهاء بالعباس بن علي عليه السلام الذي تصفه بعض النصوص بأنه آخر من بقي مع الحسين عليه السلام، و أيضاً تصف قتالهم بأنه كان فردياً الواحد تلو الآخر، هذا هو التصور السائد والمعروف في أذهان الناس. لكن الصحيح أنّ القتال يوم عاشوراء لم يكن فردياً، و إنما كان التحاماً بين جيشين. نعم، سبق الالتحام بعض المبارزات الفردية القليلة كشأن كل الحروب في ذلك الزمان، لكن أن تكون المعركة من بدايتها حتى نهايتها عبارة عن مبارزات فردية فهذا أمر غير صحيح ولا و اقعي أصلاً.

يقول السيد أحمد الحسن في بيان طرق القتال في ذلك الزمان:

(الجيوش في المعارك في ذلك الوقت لها طريقان في القتال:

إما أن يلتحم القادة بالمبارزة قبل التحام الجيشين، وسبب هذا أنهم يرجون انكسار الجيش الذي يقتل قادته أو قائده فتنتهي المعركة بأقل الخسائر، وهذا لم يحصل في كربلاء؛ فقادة جيش يزيد جبناء لا يمتلكون هذا المستوى من الكبرياء، وهم يعلمون أنّ جيشهم أغلبية ساحقة وبإمكانه قطعاً إنهاء المعركة لصالحهم فلماذا المخاطرة؟

والطريق الثاني: وهو أن يلتحم الجيشان ويتقاتلان، وهذا ما حصل في كربلاء. ...

المقتل السائد يصوّرها بأنها مبارزات فردية وهذا غير صحيح) انتهى [٢].

١- منها على سبيل المثال: مقتل الحسين لأبي مخنف، تاريخ الطبري، أنساب الأشراف للبلاذري، الإرشاد للمفيد، الكامل في التاريخ لابن الأثير، مقتل الحسين للخوارزمي، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس، بحار الأنوار للمجلسي، العوالم للشيخ عبد الله البحراني، وغيرهم.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وطبعاً، هذا يعني أنّ مسألة التقدّم والتأخّر الذي رتّبته بعض نصوص المقاتل من أنّ فلاناً سبق في الخروج وفلاناً تأخر خروجه – وما يترتب عليه من سبق أو تأخر في الشهادة – غير دقيق. علماً، إنّ بعض نصوص المؤرخين تشير إلى ذلك ولو في بداية المعركة أو ما أسماه بعضهم بالحملة الأولى:

قال ابن أعثم: (فحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا ساعة من النهار حملة واحدة، حتى قتل من أصحاب الحسين نيف وخمسون رجلاً رحمة الله عليهم) [١].

ولا شك، فإنّ أسباباً كثيرة أدّت إلى عرض المعركة بصورة مبارزات فردية:

منها: إنّ المؤرخين اعتمدوا على الروايات التي ذكرها بعض شهود العيان الذين حضر بعضهم مع جيش ابن سعد، أو كانوا على الحياد، وأكيد أنّ شهود العيان كلٌّ منهم ينقل المشهد الذي رآه أو سمعه. أما السبيل الآخر لمعرفة مجريات كربلاء فهو الروايات التي وردت عن آل محمد عليهم السلام، لكنهم صلوات الله عليهم - لأسباب عديدة - لم يبيّنوا سوى أحداث قليلة متفرقة ولم تلحظ - غالباً - التسلسل الزمني للأحداث. وعموماً، جمعت هذه الروايات (ما رواه شهود العيان وما رواه آل محمد عليهم السلام) لاحقاً ورتبت منها المقاتل على شكل سرد تدريجي متتابع يبدو للسامع كأنه سرد تفصيلي حقيقي.

وسبب آخر أدّى إلى ظهور الواقعة بصورة مبارزات فردية، هو: قلة أنصار الحسين عليه السلام من جهة، وإدراك الأمة - لاحقاً - عظمة موقف الحسين وأنصاره بعد أن عمَّ الخذلان الأمة جمعاء، فأُريد لكل من اشترك ونصر الحسين عليه السلام أن يبرز اسمه وموقفه المشرّف بشكل واضح؛ خصوصاً الطالبيين منهم.

أضف إليه: إنّ واقعة كربلاء تكاد تجمع أهم خصائص الخلود وكسب التفاعل والتأييد البشري عموماً منذ القدم وسيبقى، منها: (أحقية المبدأ والهدف + عظمة شخصية القائد + أنصاره ومرافقيه + الصدق والإخلاص للمبادئ + الجانب الإنساني والمأساوي)، وبالتأكيد فإنّ هذه الخصائص تضمنتها كربلاء بشكل واضح وكبير، ما جعل

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠١.

التأثر بها - قديماً وحديثاً - عابراً لحدود الدين والعرق، أقول: إنّ و اقعة بهذا الحجم من العطاء والتأثير أكيد ستمتد لأحداثها يد التزوير والتحريف كشأن أي حدث إنساني كبير؛ سواء من قبل ناصبي معاند يحاول تلميع صور قتلة الحسين أو اختلاق مشاهد إساءة له ولأنصاره، أو من قبل محبٍ موالٍ لتحقيق هدف معين كاستدرار العواطف مثلاً.

علماً، إنّ بعض الأسباب ترجع إلى قوة عطاء الحسين عليه السلام ورجاله وشدة ثباتهم وبسالتهم في الدفاع عن الحق الذي أذهل قادة الجيش الأموي، وربما يكون هذا الأمر فتح شهيّة بعض الرواة والمؤرخين لنسج بعض الأحداث والأرقام والإحصائيات بصورة غير دقيقة ولا حقيقية.

ومهما يكن، فإنّ الو اقع وطبيعة الأحداث يحكم بأنّ و اقعة كربلاء كانت التحاماً بين جيشين وليست مبارزات فردية، وهذه حقيقة ينبغي استحضارها دائماً ونحن نستشرف بعض مجريات ذلك اليوم الأليم.

التعبئة للحرب:

بطلوع فجر عاشوراء عام ٦١ هـ، عبّأ الإمام الحسين أنصاره (أصحابه وأهل بيته) على قلّتهم [١]، فجعل على ميمنته زهير بن القين في نفر من أصحابه، وعلى ميسرته حبيب بن مظاهر في نفر من أصحابه، وثبت هو وبعض أنصاره في القلب، وأعطى رايته أخاه العباس بن علي، وجعلوا الخيم وراء ظهورهم، أي يكون قتالهم أمام المخيّم، وأمر بوضع حطب في الخندق [٢] وإشعاله بالنار ليحول دون هجوم الجيش الأموي وعبور الخيل من خلف المخيّم، وهذا يعني أنهم كانوا قد أحاطوا بالحسين من جميع الجهات.

١- ذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا: اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٠؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٥.

٢- تم حفر خندق خلف مخيم الحسين ليمنع عبور الرجال والخيل ويكون القتال من وجه واحد. وقد مرّ مسألة حفر الخندق ضمن أحداث ليلة العاشر من محرم في أواخر الجزء الأول.

أما ابن سعد فقد كانت الألوف - من أهل الشام والكوفة وغيرهم - تجري بين يديه كالسيل [١]، وهي مجهّزة بكل وسائل الحرب المعروفة في ذلك الزمان [٢]، فجعل على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة أو عزرة

١- أما تواجد أهل الشام (وهم الأغلبية) في جيش عمر بن سعد (القائد العام للجيش) فقد تقدم ذكره، وبالنسبة للكوفيين فهم أربعة أرباع، روى الطبري عن أبي مخنف: (عن عمرو الحضرمي قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن ابن أبي سبرة الحنفي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر ابن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٠ – ٣٢١.

وإضافة إلى هؤلاء القادة، هذه أسماء بعض قادة الجيش الأموي من الكوفيين وفق ما ذكره المؤرخون:

- شمر بن ذي الجوشن: نائب القائد العام + أمير ميسرة الجيش.
- عزرة بن قيس الأحمسي: أمير الخيل.
- عمرو بن الحجاج الزبيدي: أمير ميمنة الجيش.
- الحصين بن تميم: قائد على أربعة آلاف.
- شبث بن ربعي: قائد على ألف فارس.
- مضاير بن رهينة المازني: قائد على ثلاثة آلاف.
- كعب بن طلحة: قائد على ثلاثة آلاف.
- حجار بن أبجر: قائد على ألفين.
- يزيد بن ركاب الكلبي: قائد على ألفين.
- يزيد بن الحارث بن رويم: قائد على ألف.
- نصر بن حرشة: قائد على ألفين.

ويوجد غيرهم أيضاً.

٢- قال الشيخ القرشي: (وتسلّح جيش ابن زياد بجميع أدوات الحرب السائدة في تلك العصور، فقد كان استعداده لحرب الإمام استعداداً هائلاً، ويحدثنا المؤرخون عن ضخامة ذلك الاستعداد فقالوا: إنذ الحدادين وصانعي أدوات الحرب في الكوفة كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في بري النبال وصقل السيوف في مدة كانت تربو على عشرة أيام، ..... لقد دفع ابن زياد لحرب الحسين بقوة عسكرية مدججة بالسلاح بحيث كانت لها القدرة على فتح قطر من الأقطار) حياة الإمام الحسين بن علي: ٣ / ١٢٤.

بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى رايته مولاه دريد أو ذويد [١]، ثم اقتربوا من الحسين عليه السلام.

روي: (لما عبّأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين بن علي ورتّبهم مراتبهم، و أقام الرايات في مواضعها، وعبأ أصحاب الميمنة والميسرة، فقال لأصحاب القلب: أثبتوا. وأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة ...) [٢].

عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: "لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: "اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدّة و أنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفته، و أنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة" [٣].

ثم أقبلوا يجولون حول عسكر الحسين ومخيّمه وينظرون النار تشتعل في الخندق (خلف المخيّم)، فنادى شمر لعنه الله بأعلى صوته: "يا حسين أتعجّلت النار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: "من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن" فقالوا له: نعم، فقال له: "يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً". وهمَّ مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين من ذلك، وقال: "لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم بقتال" [٤].

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٥؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢١، أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٧. وبحسب بعض المؤرخين: "زيد"، انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٥١ – ٢٥٢.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٦؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٦٠ – ٦١.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢١ – ٣٢٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٨؛ الإرشاد، المفيد: ٩٥ – ٩٦.

خطب الحسين(ع) وأصحابه بالجيش الأموي:

(قُرّب إلى الحسين عليه السلام فرسه فاستوى عليه، وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين: كلّم القوم)، فتقدم وكلّمهم ونصحهم فلم يستجيبوا وأسكتوه بعد أن رموه بسهامهم [١].

(وتقدم الحسين عليه السلام حتى وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل، ونظر إلى ابن سعد و اقفاً في صناديد الكوفة، فقال: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله و إنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

فقال عمر: ويلكم كلِّموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر [٢]، فكلَّموه، فتقدّم شمر لعنه الله فقال: يا حسين ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم، فقال: أقول: اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني، فإنه لا يحل لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم قول

١- قال لهم برير: (يا قوم اتقوا الله فإن ثقل محمد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير ابن زياد، فيرى رأيه فيهم، فقال لهم برير: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ يا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، وحلأتموهم عن ماء الفرات؟ بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته، مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم. فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول؟ فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم ألق بأسهم بينهم، حتى يلقوك و أنت عليهم غضبان، فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥؛ العوالم - الإمام الحسين: ٢٤٩.

٢- حصر: أي عجز عن النطق والكلام.

نبيكم صلى الله عليه وآله: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" .....) [1] إلى آخر ما سيأتي في الرواية القادمة.

وروي: أنّ الحسين عليه السلام دعا براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: (أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين! ثم حمد الله و أثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله و أنبيائه، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: "أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي و انتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم، و ابن وصيه و ابن عمّه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عمي، أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري و أبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم و أنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، و أنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين عليه السلام: "فإن كنتم في شك من هذا، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!" فأخذوا لا يكلّمونه، فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥ – ٦؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٤٩ – ٢٥٠.

الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجند؟!" فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب فقال له الحسين: "لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد". ثم نادى: "يا عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب" ثم إنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان بعقلها، فأقبلوا يزحفون نحوه) [١].

وروي أنّ الإمام الحسين خطب فيهم فقال: (تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرختكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا، وحششتم علينا نار الفتن جناها عدوكم وعدونا فأصبحتم إلْباً على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منّا، ولا رأي تفيّل لنا. فهلا - لكم الويلات - إذ كرهتمونا وتركتمونا تجهزتمونا والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الذباب، وتداعيتم كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئ السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين.

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تخاذلون، أجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٢ – ٣٢٣؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٧ – ٩٨. وفي رواية البلاذري: (فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك. فإنهم لن يروك إلا ما تحب! فقال له: إنك أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل الذي غرّه أخوك؟! والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ...) أنساب الأشراف: ٣ / ١٨٨، وقد تقدم في مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام أنّ محمد بن الأشعث (أخو قيس) كان ممن اشترك بقتال مسلم وأسره بعد أن أعطاه الأمان كذباً. نفثة: بصقة.

هم. ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين القلة والذلة، وهيهات ما آخذ الدنية، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، و أنوف حميّة، ونفوس أبيّة، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت و أنذرت، ألا إني زاحف بهذه الأسرة، على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشأ يقول:

فإن نَهزم فهزّامون قدماً وإن نُهزم فغير مهزّمينا
وما إن طبّنا جبن ولكن منايانا ودولـــة آخـرينا

ألا! ثم لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء و ابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا [قتله] بقتلة وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي ولأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، و أنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

ثم قال: أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر! فدعي له، وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال: يا عمر أنت تقتلني؟ تزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تهنّأ بذلك أبداً، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم [1].

١- الإمام الحسين عليه السلام وعد ابن سعد لعنه الله بأمرين، الأول: إنّ الأمويين لا يولّوه الري ولا يهنأ بذلك، والثاني: قتله وترامي صبيان الكوفة رأسه، وكلا الأمرين تحققا كما أخبر، أما القتل فكان على يد المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ أي بعد خمس سنين من مقتل الحسين، وأما ولاية الري فلم يوليه ابن زياد عليها، و إنما رجع - بعد قتل الحسين - إلى داره خاسئاً ذليلاً منبوذاً، وكان يقول: "ما رجع أحد إلى أهله بشرّ مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة" انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١١؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٣.

فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة) [١].

وخطب بعده زهير بن القين بالقوم ونصحهم وذكرهم ولكن دون فائدة أيضاً [٢].

ملاحظات:

١- ما فعله الإمام الحسين صلوت الله عليه وأصحابه من وعظ الناس ونصحهم قبل القتال؛ الهدف منه السعي لهداية الناس و إنقاذهم، و أيضاً: من أجل إقامة الحجّة عليهم

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٨ – ١٠.

وهذه معاني بعض المفردات: إلْب: عداوة، تفيَّل: ضعف، الجأش طامن: القلب ساكن، يُستحصف: يُحكم، غلام ثقيف: هو المختار بن أبي عبيد الثقفي رضوان الله عليه الذي سلّطه الله على قتلة الحسين عليه السلام وأذاقهم أليم العذاب.

٢- روى الطبري عن أبي مخنف: (كثير بن عبد الله الشعبي قال: لما زحفنا قِبَل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف و أنتم للنصيحة منّا أهل فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة و أنتم أمة إن الله قد ابتلانا و إياكم بذرية نبيه محمد لينظر ما نحن و أنتم عاملون إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرقعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه قال: فسبّوه و أثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً فقال لهم: عباد الله إنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سمية فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ..... قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أسكت الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال له زهير: يا ابن البوّال على عقبيه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم فقال له شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال: أفبالموت تخوّفني فوالله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم قال: ثم أقبل على الناس ر افعاً صوته فقال: عباد الله لا يغرّنكم من دينكم هذا الجلف الخافي وأشباهه فوالله لا تنال شفاعة محمد قوماً هر اقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم قال: فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه و أبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء و أبلغت لو نفع النصح والابلاغ) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٣ – ٣٢٤.

النأمة هي الحس والحركة، ومعنى "أسكت الله نأمتك": أي أماتك. والجلف الخافي: أي الأحمق الفض الجبان.

لئلا يتركوا لضال أو مغرر به عذراً، وهذا نهج إلهي عام سار عليه حجج الله (أنبياء، رسل، أئمة)، ومنهم الحسين عليه السلام.

٢- كراهة الإمام الحسين ونهيه لأصحابه أن يبدؤوا القوم بقتال، أيضاً هو نهج وخلق إلهي سار عليه حجج الله، وقد مر بنا أنه سيرة أبيه أمير المؤمنين في حروبه في الجمل وصفين، وقبل ذلك كان هو سيرة الرسول صلى الله عليه وآله في حروبه الدفاعية التي خاضها في بدر وأحد وغيرها، والحسين لا يعدو سيرة جده و أبيه قطعاً.

٣- الحسين عليه السلام بيّن للقوم حقّه ونسبه وموقعه من الرسول صلى الله عليه وآله، ومن ضمن ما بيّن لهم نصوص الرسول فيه، وهذا تأكيد منه على العقيدة المحمدية الحقة القائمة على "النص" كسبيل معرّف بحجج الله، مع ملاحظة أنّ ما فعله الإمام الحسين يقع على النقيض تماماً مما نسمعه في أيامنا هذه من البعض الذين يشرّعون للناس عقائد مبتدعة في كيفية التعرّف على حجج الله من قبيل: نثرهم المعاجز على الناس، أو معرفتهم بكل اللغات، أو أنّ الإمام بلا ظل بحجة أنّ غمامة بمواصفات خاصة تسير فوق رأسه أينما سار وتحجب عنه أشعة الشمس ونحو ذلك، في حين أنّ من شاهد ساحة الطف أو سمع ما جرى فيها لم يلحظ مثل تلك الغمامة وهي تظلل رأس الحسين العطشان. و أيضاً: لم يسمع الحسين وهو يتحدّث مع الناس بمئات أو عشرات اللغات التي كانت موجودة في زمانه ولا حتى لغتين منها، ولا أنه نثر أمام الحشود المصطفة لقتله المعاجز ليثبت لهم حقه، و إنما كل ما فعله الحسين صلوات الله عليه هو أنه ذكر لهم نصوص جده الرسول فيه، وهو الأصل الذي تثبت به إمامة الإمام من آل محمد وبه يشخّص المعصوم عن سواه، أما المعاجز المادية فأمرها بيد الله فإن شاء وحصلت كانت مؤيداً للأصل وإن شاء ولم تحصل فلا تؤثر إطلاقاً على إمامة الإمام وأحقيته [١].

---

١ - كون الإمام يُعرَف بالنص، وهو الأصل في التعرّف عليه، ليس ثابت رو ائياً بالتو اتر وحسب، ولكنه أيضاً اعتقاد كبار علماء الشيعة المتقدمين لمن لاحظ كلامهم.

قال الشيخ الطوسي: (ويجب أن يكون منصوصاً عليه، ... لأن الإمام لا يعلم أنه إمام إلا ينص عليه نبي، فإذا نص عليه النبي أو ادعى هو الإمامة جاز أن يظهر الله تعالى على يده علماً معجزاً، كما نقوله في صاحب الزمان إذا ظهر، فصار النص هو الأصل) الاقتصاد: ١٩٤.

٤- تخصيص الإمام الحسين بعض الأسماء الكوفية بالذكر مثل: شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث وقيس بن الاشعث، سببه أنّ المذكورين يعتبرون رؤوس وأعيان أقوامهم وقبائلهم وكانوا ممّن راسله أيام تواجده في مكة، وهؤلاء بالذات يعرفون الحسين صلوات الله عليه حق المعرفة؛ لأنهم سابقاً كانوا من أتباع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وشهدوا معه بعض حروبه كصفين مثلاً. والتخصيص لا يعني أنّ الجيش الذي حضر لقتال الحسين في كربلاء من الكوفة فقط، وقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ الكوفيين كانوا أقلية ضمن الألوف الكثيرة التي اصطفت لحصار الحسين وقتاله يوم العاشر. نعم، كان بعض الكوفيين - ومنهم المذكورين - في مقدمة الجيش مع ابن سعد؛ لأن الواقعة حصلت في منطقة تابعة لمدينتهم وهم الأعرف بها وبأهلها، ومثل هذا الأمر يحصل عادة في الحروب حتى في أزمنتنا المتأخرة [١].

٥- قول الإمام الحسين: "لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل" في بعض خطبه يؤكد رفضه لخيار الاستسلام والبيعة الذي أصّرت عليه السلطة الأموية المجرمة، وواقع حال الحسين يؤكد أنه آثر القتل على الرضوخ والاستسلام الذي يعني القضاء على دين الله تماماً، وقوله: "ولا أفر فرار العبيد" يُبطل ما نقله بعض المؤرخين من أنّ الحسين عرض على ابن سعد أن تسمح له السلطة بالمسير إلى الشام أو العودة من حيث أتى ونحو ذلك، وقد تقدم إجابة هذا الزعم الباطل سابقاً.

ومهما يكن، فإنّ خطب الإمام الحسين – بما تضمنته من حجج بليغة لم يتمكنوا من ردها – لم تجد آذاناً صاغية بين القوم، وكشأن كل الطغاة والجبابرة المجرمين كان جوابهم العملي هو التصميم على قتاله والزحف نحوه بالخيل والرجال.

٦- قول عمر بن سعد - تعقيباً على كلام الإمام الحسين ونصحه لهم -: "ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة" يؤكد ما ذكرناه من أنّ المعركة كانت التحاماً بين جيشين وليست مبارزات فردية.

١- على سبيل المثال: كان صدام يستعين بأهل كل منطقة في القضاء على حركات التمرّد المعارضة لحكمه في تلك المناطق كما حصل - مثلاً - في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ م.

لحوق الحر الرياحي:

من أحداث يوم عاشوراء، قبل نشوب الحرب، التحاق الحر بن يزيد الرياحي بالحسين عليه السلام، وهذه قصة لحوقه باختصار:

لما رأى الحر أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: "أي عمر، أمقاتل أنت هذا الرجل؟" قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: "أفما لكم فيما عرضه عليكم رضى؟"، قال عمر: أما لو كان الأمر إلي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى. فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً، أي بدأ يتراجع عن مقدمة الجيش، ومعه رجل من قومه يقال له: قرة بن قيس، فقال: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرة: فظننت أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، ويكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه و أنا منطلق فأسقيه، فاعتزل الحر ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين بن علي؟ فأخذ الحر يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل - وهي الرعدة - فقال له المهاجر: إنّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحر: "إني والله أخيّر نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت".

ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له: جعلت فداك - يا ابن رسول الله - أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت، و إني تائب إلى الله تعالى مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟ فقال له الحسين: "نعم، يتوب الله عليك" [١].

١- قال الدينوري: (و انحاز الحر بن يزيد الذي كان جعجع بالحسين إلى الحسين، فقال له: "قد كان مني الذي كان، وقد أتيتك مواسياً لك بنفسي، أفترى ذلك لي توبة مما كان مني؟ قال الحسين: نعم، إنها لك توبة، فأبشر، فأنت الحر في الدنيا، و أنت الحر في الآخرة إن شاء الله) الأخبار الطوال: ٢٥٦.

ثم أقبل يخاطب القوم وينصحهم [١].

أقول: لحوق الحر بالحسين عليه السلام لم يكن بالصورة التقليدية التي يتصورها الكثيرون من أنه أخذته الرعدة فجأة وصار يُخيّر نفسه بين الجنة والنار ثم حسم موقفه أخيراً باختيار الجنة واللحوق بالحسين، والصحيح أنّ تفسر المسألة بملاحظة ما يلي:

١- لا شك أنّ الحركان من ضمن قيادات الجيش الأموي أي أنه يعمل موظفاً في سلك السلطة الأمني والعسكري، ويبدو - من طبيعة وظيفته - أنّ الرجل مهتم بالعيش وطلب العافية لا أكثر؛ إذ لم يكن معروفاً عنه ولاؤه لأمير المؤمنين و أبنائه عليهم السلام كما أنه لم يكن موالياً للأمويين؛ أقصد عقائدياً، وقد تقدمت الإشارة لذلك.

٢- كعادة جميع الظلمة، فإنّ السلطة الأموية بالتأكيد كانت تعبّئ وتثقف قادتها العسكريين والأمنيين بمفاهيم تنسجم مع سياساتها بشكل عام وتجاه المعارضين لها بشكل خاص؛ خصوصاً إذا كان معارضاً بحجم الحسين عليه السلام، وحتماً سيكون الكذب وتسقيط الشخصية ونحوها من أساليب شيطانية هي المتوقع صدورها منهم.

٣- الملفت - وهذا من رحمة الله بعباده - أنّ الحر بالرغم من عمله في سلك السلطة الظالمة لكن يبدو أنه كان يتمتع بباطن نظيف بقدرٍ ما يؤهّله لسماع بعض آيات الغيب، إذ سمع - أثناء خروجه لاعتراض ركب الحسين - هاتفاً يناديه: "يا حر أبشر بالجنة" [٢]. وما

١- قال لهم: "يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل والعبر، أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئس ما خلفتم محمدا في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر. فحمل عليه رجال يرمون بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين عليه السلام" انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٤ – ٣٢٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٨٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩٩ – ١٠١.

٢- روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: (قال الحر: فلما خرجت من منزلي متوجهاً نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً: يا حر أبشر بالجنة، فالتفت فلم أر أحداً، فقلت: ثكلت الحر أمه، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويُبشّر بالجنة" الأمالي: ٢١٨.

يؤكد ذلك أيضاً: صلاته مأموماً خلف الحسين عليه السلام في الموضع الذي التقاه فيه، كما تقدم.

٤- الحر بدأ يعيش حالة الصراع الداخلي منذ لحظة سماعه نداء الغيب (النقر)، وزاد الأمر إلحاحاً عند لقائه بالحسين؛ إذ شاهد طهراً معجوناً بطيب المكرمات محلّقاً في علياء الرحمة والفضيلة ودماثة الأخلاق، وإلا بربك ماذا بوسعك أن تصف من يستقبل جيشاً جاء ليعترضه وركبه الذي يضم نساؤه وأطفاله ويحول بينهم وبين ما يقصدون ولما رأى أفاعيل شمس الظهيرة بهم أمر فتيانه ورجاله أن يستقبلوهم ويسقوهم الماء ليطفؤوا لهيب ظمئ قلوبهم، بل وأمر بسقيا خيولهم العطشى أيضاً؟! لا شك ليس هذا خلق بشر عادي أبداً، وهكذا بدأت صور الطهر الحسيني تحتل مساحة في مخيّلة الحر وتستقر فيها شيئاً فشيئاً وتزيح صور دجل وكذب وعهر الأمويين، فالطهر والعهر لا يجتمعان في فكر مخلوق واحد في دنيا الامتحان أبداً! لا سيما وأنّ الحر استمر بمسايرة الحسين عدة أيام؛ كان يراه ويستمع قوله ويتنفّس شيئاً من حميد خصاله، لهذا وصفه بـ"العبد الصالح" في كلامه مع أهل الكوفة، ولهذا رأيناه يرتعد يوم العاشر، وهذه الحالة لا تحصل إلا إذا كان الإنسان يعاني من صراع داخلي كبير في أمر مهم وخطير، وكيف لا يعيش الحر هكذا حالة وهو يخيّر نفسه بين الطهر والقدس الحسيني الذي يعيش - وا أسفي - آخر لحظاته على أرض الرزايا، وبين عهرٍ يزيدي أموي يحيط به من كل جانب مشهراً سيفه ومعبّئاً رجاله وخيله لقتله والتمثيل به، وهنيأ لك - يا حرّ- حسن العاقبة؛ إذ حسمت قرارك وخطفت مقعداً - زهد به غيرك للأسف - في وقت عصيب لتحجز لك مكاناً في ذروة مدارج الكمال، وكيف لا! وقد اخترت اللحوق بالحسين بالرغم من علمك أنه مقتول لا محال!

قال السيد أحمد الحسن في وصف حال الحر: (باختصار: قبل أن يهتدي الحر بن يزيد الرياحي إلى الحسين صلوات الله عليه، كان قائداً في الجيش الأموي وحاله حال أي قائد عسكري الآن يسعى لتنفيذ أوامر حكومته، كان كل هدفه في الحياة هو العيش والحفاظ على وظيفته لا أكثر، وبالتالي فإنّ امتثاله لأوامر السلطة وخروجه لاعتراض الحسين - ثم الانضمام لاحقاً للجيش الذي خرج لقتاله في كربلاء - لم يكن حباً واعتقاداً بيزيد، هذا كان و اقعه، إلى أن التقى بالإمام الحسين عليه السلام فلما رآه انقلبت موازين الحر بن يزيد الرياحي وتأثر بالإمام وبدأ يقارن بين بني أمية وبين الحسين عليه السلام وظل

الأمر يجول في فكره وباله منذ لحظة اللقاء حتى يوم العاشر، ومعنى انقلابه أنّ الحر لم يكن موالياً لبني أمية من الأساس وإنما كان همّه - كما قلت - العيش والحفاظ على الوظيفة، وفي نهاية المطاف حسم أمره يوم عاشوراء والتحق بالحسين عليه السلام، فالمسألة ليست كما يصورونها وكأن الانقلاب حصل في لحظة) انتهى [١].

والحقيقة، إنّ الكثير من أهل الكوفة كان حالهم حال الحر قبل اهتدائه، أعني كانوا تائهين مترددين مذبذبين في مواقفهم لا يعرفون ماذا يفعلون، وأغلبهم أهل دنيا وطلاب سلامة فيها، لكن فرق الحر عنهم أنه كان شجاعاً واستطاع أن يقرر قراره في اللحظات الحاسمة قبل فوات الأوان، وبقي الآخرون يندبون حظّهم بعد أن فات الأوان وقتل ريحانة محمد بين ظهرانيهم مظلوماً مخذولاً عطشاناً!

وأيضاً: قضية هداية الحر الرياحي تبيّن عظمة رحمة الله بالعباد، فباب الهداية لم يوصد بوجه الراغبين حتى قبيل انطلاق حرب الإبادة على آل الرسول صلى الله عليه وآله بلحظات، ولا تأنف - أعني رحمة الله - عن أن تشمل من كان مساهماً - قبل وقت قليل - بحصار وأذى آل محمد عليهم السلام، كما تبين - أيضاً - عظيم صبر الحسين صلوات الله عليه وسعة رحمته المتمثلة بقبول توبة الحر في آخر ساعة، ولا عجب وهو مظهر رحمة الله في هذا العالم!

تنبيه: ضمن أحداث يوم العاشر من محرم، وتحديداً بعد التحاق الحر الرياحي بالحسين عليه السلام، ذكر بعض المؤرخين [٢] أنّ ثلاثين شخصاً من معسكر ابن سعد مالوا إلى معسكر الحسين يوم عاشوراء والتحقوا به وقاتلوا معه، وقد تقدم - ضمن أحداث ليلة عاشوراء - طرح هكذا مسألة أيضاً، وذكرنا هناك تعليقاً على القضية ونفسه يأتي هنا. ومهما يكن، فإنّ القضية لا صحة لها بالصورة التي ينقلها هؤلاء المؤرخون، اللهم إلا أن يكون المقصود أنّ مجموع من تحوّل من معسكر ابن سعد إلى معسكر الحسين عليه

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- منهم ابن عبد ربه الأندلسي، قال: (وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً؟ فتحولوا مع الحسين فقاتلوا معه) العقد الفريد: ٥ / ١٢٨؛ وانظر أيضاً: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٠ – ٢٢١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٨٤.

السلام منذ لحظة وروده كربلاء إلى وقت شهادته بلغوا ثلاثين شخصاً فحينئذٍ يمكن أن يكون الأمر مقبولاً.

صورة أكثر واقعية ليوم عاشوراء:

حقيقة كون المعركة التحاماً بين جيشين ستؤثر كثيراً في تعديل الصورة النمطية المألوفة في الأذهان عن و اقعة كربلاء، لكن ذلك لا يمنع من أن تكون - المعركة - قد تضمنت بعض النزالات الفردية؛ سواء في بدايتها أو في الأثناء أحياناً:

قال السيد أحمد الحسن: (... أما مسألة كون المعركة التحاماً فلا يعني أنه لا توجد منازلات فردية أثناء المعركة، ولكن ليس بالصورة التي تصوَّر في بعض المقاتل فالوصف في المقاتل مبالغ به جداً وكأنه الجيشين جالسان أمام حلبة مصارعة يدخلها أنصار الحسين عليه السلام أفراداً، وهذا غير صحيح) انتهى [1].

مبارزات فردية:

يوجد تقليد متبع في الحروب سابقاً يقضي بأن يسبق بدء الحرب الشاملة مبارزات فردية، وهذا التقليد له أسبابه التي يتصل بعضها بالشرف والاستعراض لرفع همم الجنود ونحو ذلك. وبخصوص و اقعة كربلاء يمكننا أن نلحظ ذلك فعلاً من خلال مطالعة بعض النصوص التاريخية [2] التي تضمّنت استعراض بعض جنود الجيش الأموي وطلبهم مبارزة بعض أنصار الحسين عليه السلام، وهذه نماذج منها:

روى المؤرخون: إنّ يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد برزا نحو معسكر الحسين فقالا: "من يبارز ليخرج إلينا بعضكم"، فوثب لهما حبيب بن مظاهر وبرير

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن

٢- من يطالع كتب التاريخ والمقاتل التي تعرّضت لو اقعة كربلاء يلحظ الخلط والتشويش في النصوص بشكل كبير، فيتم ذكر المبارزات الفردية أحياناً بعد نشوب الحرب الشاملة، وهو أمر غير صحيح ولا يعقل حصوله إذا كان بصفة دائمة ومستمرة، وسبب التشويش يكمن في غياب التصور الصحيح والحقيقي عند المؤرخ أو عند بعض الرواة.

بن خضير فلم يأذن لهما الإمام، فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبد الله رحمك الله ائذن لي فلأخرج إليهما وكان رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين فقال الحسين: "إني لأحسبه للأقران قتالاً اخرج إن شئت" فخرج إليهما فقالا له: "من أنت"؟ فانتسب لهما فقالا: "لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو بريربن خضير"، فقال له الكلبي: "يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس" فقاتلهما وقتلهما و أقبل مرتجزاً:

إن تنكروني فأنا ابن كلبِ حسبي ببيتي في عليم حسبي

وكانت أم وهب امرأته تنظر إليه فأخذت عموداً ثم أقبلت نحوه تقول له: "فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد"، فأقبل إليها يردّها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: "إني لن أدعك دون أن أموت معك"، فناداها الحسين عليه السلام: "جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال" فانصرفت إليهن [1].

حادثة خروج أم وهب - إن صحّت - وحديثها مع زوجها ثم تدخّل الإمام الحسين وطلبه منها الرجوع إلى النساء يؤكد أنّ الحرب الشاملة لم تبدأ بعد، وإلا فمن الصعب تعقّل وجود حوار بين زوج وزوجته يتدخل فيه الإمام في ظرف بداية المعركة واشتداد وطيسها!

كذلك: من مظاهر النزال الفردي يوم عاشوراء ما روي من أنّ يزيد بن معقل (رجل كوفي) خرج نحو معسكر الحسين فنادى: (يا بريربن خضير كيف ترى الله صنع بك قال: صنع الله والله بي خيراً وصنع الله بك شراً قال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً ..... فقال له بريربن خضير: هل لك فلأباهلك ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ثم اخرج فلأبارزك قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعو انه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم برز كل واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل بريربن حضير ضربة خفيفة لم تضره شيئاً وضربه بريربن حضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٦ – ٣٢٧؛ و انظر أيضاً: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠١.

فخر كأنما هوى من حالق ... وحمل عليه رضى بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضى أين أهل المصاع والدفاع قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه فقلت: إن هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله رضوان الله عليه ... فلما رجع قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً) [١].

و أيضاً: من ضمن الأحداث التي حصلت قبل نشوب الحرب: إنّ عبد الله بن حوزة التميمي (رجل كوفي) تقدّم نحو معسكر الحسين، فسأل الإمام أصحابه من هذا؟ فقيل: عبد الله بن حوزة، فقال: "اللهم حِزه إلى النار" فاضطربت به فرسه في جدول فوقع وتعلّقت رجله بالركاب فشدَّ عليه مسلم بن عوسجة فضربه وعدا به فرسه يضرب رأسه بالحجر والشجر حتى مات لعنه الله [٢].

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٨ – ٣٢٩، أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩١.

٢- روى الطبري عن أبي مخنف بسنده: (عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن و ائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن و ائل قال: كنت في أو ائل الخيل ممن سار إلى الحسين فقلت أكون في أو ائلها لعلّي أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم حسين قال فسكت حسين فقالها ثانية فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال قولوا له نعم هذا حسين فما حاجتك قال يا حسين أبشر بالنار قال كذبت بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع فمن أنت قال ابن حوزة قال فرفع الحسين يديه حتى ر أينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال اللهم حزه إلى النار قال فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر قال فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها قال فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلقا بالركاب قال فرجع مسروق وترك الخيل من ور ائه قال فسألته فقال لقد ر أيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبداً) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٧ – ٣٢٨؛ أنسب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٢.

بدء الحرب والالتحام المقدس:

١- أشعل عمر بن سعد لعنه الله الحرب ورمى سهماً نحو معسكر الحسين، وقال لمن حوله: "اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى" [١] يقصد: عند أميره ابن زياد لعنه الله، ثم رمى جيشه بعده [٢]، فكانت السهام رسل القوم للحسين و أنصاره.

بالتأكيد، فإنّ الإمام الحسين كان قد عبّأ جيشه، وقارب بين الصفوف لقلة الجمع وكثرة العدو، وكان صلوات الله عليه يعتبر المخيّم الحصن الذي يقاتل أمامه ويدافع عنه، أما أنصاره (صحبه وأهل بيته) فكانوا يعتبرون إمامهم حصنهم ومحور ارتكازهم الذي عنه يذبّون ويدافعون ويصدّون السهام والسيوف ويعترضون الخيول من أن تصل إليه بسوء، وكثير منهم كان معروفاً بين قومه وأهل زمانه بالشجاعة والتمرس على القتال والحرب.

٢- في تلك اللحظات الحاسمة والمصيرية التي يرقبها أهل السماء قبل الأرض، لا شيء يعلو فوق عطاء الحسين الإلهي بكل صوره التي يُحار فيها الوصف، ولا شيء يعلو فوق الإخلاص والشجاعة التي انطوت عليها قلوب أنصاره (أهل بيته وصحبه) دفاعاً عنه وعمّا يمثّله، لا شيء يعلو فوق صبر زينب ومن كان معها في خيم عائلة الرسول وهم يرقبون ما يقدّمه الحسين و أنصاره لله في يوم الله الموعود والمعهود منذ الأزل!

الأرض تحبس أنفاسها، والهدى (بصورته المثلى) على وشك الأفول، فأرض كربلاء على موعد مع قرب رحيل خامس أصحاب الكساء الذي لم يكن وجوده يمثل فرداً فحسب بل كان (الحسين) شخصاً استثنائياً لا بديل له ولا نظير، ولا يمكن تعويضه أبداً؛ لأن وجوده يختزل وجود (محمد وعلي وفاطمة والحسن) فهو بقيّتهم وهم باقون ببقائه، ورحيله يعني رحيلهم مرة واحدة وخلو الأرض منهم جميعاً، اللهم إلا ما بقي من هدى إلهي يمثّله ولده

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٦؛ الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠٠.

٢- قال السيد محمد بن أبي طالب: (فرمى أصحابه كلهم فما بقي من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابه سهم من سهامهم) عنه: العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٥٥.

الأوصياء عليهم السلام؛ كلٌّ بحسبه [١]، ولكن هيهات أن يعوّض الحسين عليه السلام أحد بعده أو يسد مسدّه تماماً!

هذه حقيقة كانت زينب عليها السلام تعرفها جيداً، ويعرفها ولده علي الأكبر وأخوه العباس بن علي، بل ويعرفها بعض أهل بيته و أنصاره بقدر ما وبنسب متفاوتة؛ يختلف بحسبها شدة العطاء والتضحية والإقدام بطبيعة الحال.

٣- قلنا: إنّ المعركة يوم عاشوراء كانت التحاماً مباشراً بين الجيشين، ولا شك أنّ هذه الحقيقة تقضي على فكرة التقدّم والتأخّر في مقاتل الأنصار والطالبيين بمعنى: أنّ الأنصار جميعهم سبقوا الطالبيين جميعهم بالشهادة، كما أنها تقضي على فكرة التقدم والتأخر بين الأنصار أنفسهم أو بين الطالبيين أنفسهم كما اعتدنا على سماعه في المقاتل يوم عاشوراء سواء المكتوبة منها أو المقروءة؛ والسبب هو أنّ جميع أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) قاتلوا في وقت واحد دفاعاً عن الحسين عليه السلام. نعم، الشيء المؤكد تاريخياً أنّ الإمام الحسين بقي إلى آخر وقت المعركة؛ لأسباب ستتضح بعد قليل.

يقول السيد أحمد الحسن: (... وبخصوص الترتيب أو التقدّم والتأخّر في الخروج للقتال فلا يوجد ترتيب أو تقدم فلان وتقدم فلان في المعركة الحقيقية؛ لأنها كانت اشتباك بين جيشين وليست مبارزة فردية، والمقتل السائد يصوّرها بأنها مبارزات فردية وهذا غير صحيح) انتهى [٢].

الالتحام وزخم المعركة:

الالتحام بين الجيشين يوم عاشوراء - كشأن أغلب المعارك الميدانية القديمة - لا يعني ثبات زخم المعركة والاقتتال بمستوى واحد طوال الوقت، و إنما قد يحصل وتشتعل الجبهة في كل الاتجاهات لبعض الوقت، وقد يحصل وتفتر، وقد يحصل أن يسكن جانب

١- لا شك - وهذا ثابت عقائدي واضح وقطعي - أنّ الحسين عليه السلام أفضل مقاماً ومنزلة من كل الائمة والأوصياء من ولده عليهم السلام، ولذا قلت: إنّ فقده لا يمكن تعويضه أبداً.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

منها ويثور جانب، وهكذا يكون مؤشر الزخم في صعود ونزول مستمر، وهذا التصور منطقي وو اقعي إلى حد كبير، وبخصوص و اقعة كربلاء توجد شواهد تاريخية كثيرة عليه كما سنرى الآن.

بعد إطلاق عمر بن سعد لعنه الله شرارة الحرب، حمل عمرو بن الحجاج الزبيدي بمن كان معه على ميمنة الحسين عليه السلام، فجثا لهم الأنصار على الركب وأشهروا بوجه خيولهم الرماح فلم تقدم خيلهم وذهبت لترجع فرشقوهم الأنصار بالنبل فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين [١].

ولما دنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين كان يقول: (يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام فقال له الحسين: "يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس أنحن مرقنا و أنتم ثبتّم عليه أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتّم على أعمالكم أينا مرق من الدين ومن هو أولى بصلي النار) [٢].

ثم إنّ عمرو بن الحجاج عاد وحمل مرة أخرى من نحو الفرات:

(ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع فمشى إليه الحسين فإذا به رمق فقال: رحمك ربك يا مسلم ابن عوسجة "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" ودنا منه حبيب ابن مظاهر فقال: "عز عليّ مصرعك يا مسلم أبشر بالجنة" فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: "بشّرك الله بخير" فقال له حبيب: "لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين" قال: "بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه" قال: "أفعل ورب الكعبة" قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجتاه يا سيداه فتنادى أصحاب عمرو بن

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٢٧؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٢.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣١؛ و انظر: مقتل الحسين، أبو مخنف: ١٣٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٩.

الحجاج قتلنا مسلم ابن عوسجة الأسدي فقال: شبث لبعض من حوله من أصحابه ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذللون أنفسكم لغيركم [١] تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة أما والذي أسلمت له لَرُبَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين أفيقتل منكم مثله وتفرحون) [٢].

أقول: زيارة الناحية المقدسة تؤكد أنّ مسلم بن عوسجة كان أول شهيد [٣].

و أيضاً: حمل شمر بن ذي الجوشن لعنه الله بجماعة على ميسرة الحسين فثبت لهم الأنصار وقاتلوهم ودفعوهم، وقُتل في هذه الحملة بعض أنصار الحسين رضوان الله عليهم، ثم حملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب [٤].

شدة زخم الاقتتال في أوقات وفتوره في أوقات أخرى، يجعل بعض مرويات يوم عاشوراء قابلة للتعقل والتحقق من جهة، ومن جهة أخرى: يلتقي مع ما ذكرناه سابقاً من أنّ قيادة الجيش الأموي كانت تسعى لأن تُحدث كسراً في جيش الحسين بقتل بعض أنصاره (صحبه أو أهل بيته) أملاً في استسلامه! ومن جهة ثالثة: يمكن اعتباره (التأرجح بين الشدة والفتور) أحد الأسباب التي أدت إلى أن تأخذ المعركة الوقت الذي أخذته، كما سيتضح الآن.

١- قول شبث: "تذللون أنفسكم لغيركم": يبدو أنّ الدافع فيه قومي؛ إذ قد يفهم من كلامه أنّ من تنادى بقتل مسلم بن عوسجة كانوا كوفيين برفقة عمرو بن الحجاج، وهذا التصرّف يذللهم أمام الشاميين المتواجدين في معسكر عمر بن سعد؛ إذ يبدو أهل الكوفة أمامهم كأنهم يقتل بعضهم بعضاً!

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣١ – ٣٣٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٣؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٣ – ١٠٤.

٣- إذ يقول الإمام عليه السلام فيها: "السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، ..... وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد شهد لله وقضى نحبه، ففزت ورب الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك ..." انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٦٩.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٠.

كم كان وقت الواقعة؟

المعروف تاريخياً أنّ تعبئة الجيشين في كربلاء كانت في صباح يوم العاشر من محرم، وأنّ نهاية المعركة كانت بعد ظهر يوم العاشر. وهذا يعني أنّ المعركة استغرقت عدة ساعات أو لنقل: نصف نهار تقريباً.

ربما يرى البعض: أنّ هذا التحديد مبالغ فيه وغير دقيق؛ نظراً لوجود الفارق الكبير بين عدد الجيش الأموي الذي يزيد على الثلاثين ألفاً وبين عدد جيش الإمام الحسين الذي لا يزيد على المائة في أحسن الأحوال، فنفس هذا الفارق الشاسع يفرض أن تكون المواجهة قد حُسمت بوقت قصير جداً!

وإجابة على هذا التساؤل، أقول:

١- إنّ الوقت المذكور لم يكن كله قتال والتحام مباشر، بل يمكننا أن نتصور تسلسل الأحداث يوم عاشوراء بالنحو التالي: التعبئة، الخطب و إقامة الحجة، المبارزات الفردية، الالتحام الشامل. و أكيد أنّ المراحل الثلاث الأولى أخذت وقتاً.

٢- إنّ عديد الجيش الأموي (٣٠ ألف – ٧٠ ألف) الذي فرض طوقاً على الإمام الحسين - بل على عموم المنطقة - لم يشترك كله في القتال والالتحام المباشر، وهذا أمر معروف في كل الحروب، فالجيش يقسّم - عادة - إلى قطعات بحسب المهام؛ يتولّى قسم منها الالتحام، وقسم منها يكون قطعات إسناد يُطلب تدخله - أو جزء منه - عند الحاجة، وقسم ثالث مهمته مسك مداخل ومخارج المنطقة التي حدثت فيها الحرب؛ خصوصاً وأنّ العراق - آنذاك - لم يكن مستقراً، بل إنّ قوات الشام - بالأساس - قدمت لفرض السيطرة عليه والقضاء على كل حالات التمرد والمعارضة للحكم الأموي.

٣- أشرنا في البحث السابق إلى أنّ زخم المعركة لم يكن بوتيرة واحدة، بل كان ينتابها الفتور أحياناً مثل المهلة التي حصل عليها الإمام الحسين ومن بقي معه من أنصاره لأداء صلاة الظهرين، و أيضاً: قضية الإحجام عن الإجهاز على الإمام في آخر لحظاته بعد أن أُثخن بالجراح وأعياه نزف الدم ولم يقوَ على النهوض والقتال، فإنه بقي مطروحاً على الأرض فترة من الزمن وكانت مجاميع المجرمين - لعنهم الله - المحيطة به كلٌّ منها تتكل على

الأخرى في قتله. علاوة على أنهم كانوا يتجنّبون قتله من الأساس كما نبّهنا له أكثر من مرة حيث كانوا يهدفون إلى أسره وإجباره على بيعة يزيد.

٤- أمر آخر- وهم الأهم - يتمثل بشجاعة الإمام الحسين عليه السلام و أنصاره (أهل بيته وصحبه) واستقتالهم بالدفاع عنه بشكل مستميت كما سيتضح، فقد أدى ذلك إلى إطالة عمر المعركة يوم عاشوراء وأن تأخذ المعركة الوقت الذي أخذته.

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة التوقيت (من الصباح إلى ما بعد صلاة الظهر)؛ هل فيه إشكال؟ و أيضاً: أسباب طول الوقت مع قلة العدد وكثرة العدو؟

فأجاب: (لا إشكال في التوقيت وأنّ المعركة انتهت بعد أن صلّى الحسين عليه السلام وأصحابه صلاة الظهرين، والأسباب كثيرة:

- منها: إنّ عمر بن سعد وحتى جيشه كان هدفهم الأول أسر الحسين عليه السلام وإجباره على بيعة يزيد وليس قتله كما بيّنت لك سابقاً، ولهذا تجنّبوه كثير منهم حتى نهاية المعركة.
- ومنها: إنّ أصحاب الحسين عقائديون مستقتلون.
- ومنها: مشيئة الله سبحانه أن يختم الحسين عليه السلام حياته بهذه الصورة جائعاً عطشاناً ذاكراً شاكراً لربّه؛ ختم حياته بالصلاة قبل شهادته) انتهى [1].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

بطولة أنصار الحسين(ع):

أنصار الحسين: أعني بهم - هنا - كل من التحق بالحسين يوم عاشوراء ونصره ودافع عنه؛ سواء كانوا من أهل بيته الطالبيين، أو عموم من شهد معه كربلاء من غير الطالبيين. فهؤلاء الثلة المصطفاة التي ذكرت بعض النصوص أنّ عددهم كان اثنين وسبعين: (٣٢ فارساً + ٤٠ راجلاً)، طبعوا على جبين الدهر أروع صور البطولة والتضحية في سبيل الله والذود عن إمام الحق والهدى الحسين بن علي صلوات الله عليه حتى الرمق الأخير.

صور من بطولة الأنصار:

بالنسبة إلى آل أبي طالب، فيكفي أن نعرف أنّ ولد الحسين علي الأكبر عليه السلام كان في مقدمة جيش الحسين كما سيتضح لاحقاً، وأنّ العباس بن علي عليه السلام كان حامل لواء الجيش، وأنّ سائر الطالبيين كانوا يحيطون بسيدهم وإمامهم الحسين صلوات الله عليه إحاطة الجفن بالعين.

روي: أنّ العباس بن علي (قال لإخوته عبد الله، وجعفر، وعثمان، بني علي عليه وعليهم السلام، وأمهم جميعاً أم البنين العامرية: "تقدموا، بنفسي أنتم، فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه". فتقدموا جميعاً فصاروا أمام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم) [١].

وبحسب الثابت تاريخياً، فإنّ أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) ما حملوا على جانب من خيل ابن سعد إلا وكشفوه، حتى إنّ عروة بن قيس - وكان على الخيل - قال لعمر بن سعد: "أما ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة، ابعث إليهم الرجال

١- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٧.

والرماة"، وأراد أن يبعث شبث بن ربعي لكنه كره الذهاب [١]، فبعث الحصين بن تميم بجماعة وصاروا يعقرون خيول بعض الأنصار منهم الحر بن يزيد الرياحي.

قال أيوب بن مشرح الخيواني: (أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه حشأته سهماً فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده ... فما رأيت أحداً قط يفري فريه) [٢].

كان بعض أنصار الحسين يبالغ في دفع الأعداء عن الإمام الحسين عليه السلام ومخيّمه بحيث إنه كان يغوص في جيش عمر بن سعد ويتوغل فيه:

(..... فأما الصيداوي عمرو بن خالد وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذي فإنهم قاتلوا في أول القتال فشدّوا مقدمين بأسيافهم على الناس فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم فجاؤوا قد جرحوا فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيافهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قتلوا في مكان واحد) [٣].

وبعضهم أوغل في جيش ابن سعد قتلاً وجرحاً حتى أحاطوا به وكسروا يديه وأسروه، لكنه بقي على نفس العزيمة والإقدام والثبات:

(كان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول: "أنا الجملي أنا على دين علي" فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح فضُرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيراً فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أوتي به عمر بن سعد فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع

١- روى الطبري: (قال أبو زهير العبسي فأنا سمعته - يعني شبث - في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية و ابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٢.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٣؛ و انظر أيضاً: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٤.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٠.

ما حملك على ما صنعت بنفسك قال: إن ربي يعلم ما أردت والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: "والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت وما ألوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني"، فقال له شمر: اقتله أصلحك الله قال أنت جئت به فإن شئت فاقتله قال: فانتضى شمر سيفه فقال له نافع: أما والله أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه فقتله) [١].

بعض شهود العيان - يوم عاشوراء - نقلوا صوراً بطولية عن الأنصار، مثلاً:

- مهران مولى بني كاهل يصف أحد الأنصار فيقول: (شهدت كربلا مع الحسين عليه السلام فرأيت رجلاً يقاتل قتالاً شديداً لا يحمل على قوم إلا كشفهم ... فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبو عمرو النهشلي، فاعترضه عامر ابن نهشل أحد بني اللات من ثعلبة فقتله واجتز رأسه، وكان أبو عمرو هذا متهجداً كثير الصلاة) [٢].
- ربيع بن تميم يصف عابس الشاكري، فيقول: (لما رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس فقلت: أيها الناس هذا الأسد الأسود هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة قال: فرمى بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره ثم شدّ على الناس فوالله لرأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس) [٣].

من صور البطولة أيضاً: ما فعله يزيد بن زياد (أبو الشعثاء الكندي) حيث جثى على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم، وكان رامياً فكان كلما رمى قال: "أنا ابن بهدله فرسان العرجله" ويقول الحسين: "اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة" [٤].

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٦؛

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٤٢.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٩؛ العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٧٢ – ٢٧٣.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٩ – ٣٤٠.

لم يكن عند أنصار الحسين عليه السلام همٌّ غير الدفع عن إمامهم المظلوم ومخيّمه المحاط بجيوش الضلال من كل جانب، ولم يكن لدى جيش ابن سعد إلا الخوض في كل باطل ورذيلة وعار يندى له الجبين:

قال حميد بن مسلم: (..... وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاح النساء وخرجن من الفسطاط وصاح به الحسين: يا ابن ذي الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي حرقك الله بالنار... فجاءه شبث بن ربعي فقال: ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك ولا موقفاً أقبح من موقفك أمرعباً للنساء صرت، قال: فأشهد أنه استحيا فذهب لينصرف وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة فشدَّ على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها) [١].

كل من شهد المعركة ونقل شيئاً منها ذكر أنّ أنصار الحسين قاتلوا أشد القتال:

(قاتل أصحاب الحسين القوم أشد قتال حتى انتصف النهار. فلما رأى الحصين بن نمير - وكان على الرماة - صبر أصحاب الحسين عليه السلام تقدم إلى أصحابه - وكانوا خمسمائة نابل - أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فرشقوهم، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرجال، وأرجلوهم. واشتد القتال بينهم ساعة، وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه، فحمل عليهم زهير بن القين رحمه الله في عشرة رجال من أصحاب الحسين فكشفهم عن البيوت، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن فقتل من القوم ورد الباقين إلى مواضعهم، وأنشأ زهير بن القين يقول مخاطباً للحسين عليه السلام: اليوم نلقى جدك النبيا * وحسنا والمرتضى عليا * وذا الجناحين الفتى الكميا) [٢].

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٤؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٦٩ – ٧٠.

٢- الإرشاد: ٢ / ١٠٤ – ١٠٥.

عشق وفداء:

إنّ أرواح أنصار الحسين كأنها عجنت بحب روح الحسين صلوات الله عليه ولم تكد تطيق فراقه، حتى إنّ "سويد بن عمرو بن أبي المطاع" لما قاتل دفاعاً عن الحسين و أثخن بالجراح وسقط مغمياً عليه ليس به حراك، ثم أفاق في آخر المعركة وسمعهم يقولون: قتل الحسين عليه السلام فتحامل على جراحه وألمه وأخرج سكيناً كانت معه وجعل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه [١].

كان بعضهم يصدُّ عن الحسين ضرب السيوف والسهام حتى أثخن بالجراح قبل أن ينال وسام الشهادة بين يديه كما فعل عمرو بن قرظة الانصاري رضوان الله عليه [٢].

أنصار الحسين كانوا "يتنافسون" للدفاع والذب عن الإمام الحسين والقتل بين يديه، فمثلاً: جاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان فقالا: (يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك) [٣].

الجابريان "سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع" مثلاً، نظرا للحسين وبكيا، فقال: (أي ابني أخي ما يبكيكما فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين قالا: جعلنا الله فداك لا والله ما على أنفسنا نبكي ولكنا نبكي عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك فقال: جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين) [٤].

١- انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٦٦.

٢- انظر: المصدر السابق: ٦٤. والغريب أنّ أخاه الزبير بن قرظة كان مع عمر بن سعد فخرج ونادى: (يا حسين يا كذاب ابن الكذاب أضللت أخي وغررته حتى قتلته فقال الحسين: إنّ الله لم يضل أخاك ولكنه هداه وأضلك فقال: قتلني الله إن لم أقتلك وحمل على الحسين فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه) أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٢؛ و انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٠.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٧.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٧؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٩.

وقد مرَّ بنا مصرع مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه في إحدى حملات الجيش الأموي، فوجد الإمام الحسين فرصة لرؤيته بعد انحسار الحملة وكان معه حبيب بن مظاهر، فدنا منه حبيب وهو يجود بنفسه وكان يود أن يستمع إلى وصيته في تلك اللحظات لولا أنه يعلم أنه سيلاقي نفس المصير، لكن ابن عوسجة لم تكن لديه أي وصية غير أن أشار بيده إلى الحسين وقال لحبيب: "أوصيك بهذا رحمك الله أن تموت دونه" [١]! أيّ عشق وبطولة هذه!

وصور العشق البطولي في كربلاء كثيرة.

خسائر الجيش الأموي:

كان أنصار الحسين عليه السلام (أهل بيته وصحبه) قوماً مستميتين أحدثوا في صفوف الجيش الأموي خسائر كبيرة على مستوى القتل والجرح، وهو ما دعا عمر بن سعد إلى إصدار أوامر عسكرية تمنع أفراد جيشه عن الخروج الفردي أو الجماعي (القليل) نحو جيش الحسين عليه السلام؛ لأن مصير من يفعل ذلك سيكون القتل لا محال.

روى المؤرخون: أنّ عمرو بن الحجاج لما رأى كثرة من قتل من جيش عمر بن سعد، صاح بالناس: "يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحد، فإنهم قليل وقلما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم؟ فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت"، فأصدر قراراً بمنع ذلك [٢].

(قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال: عضضت بالجندل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقى أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣١ – ٣٣٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٣؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٣ – ١٠٤.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ١٩٢؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٣.

الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أم لك) [١].

النصوص التاريخية التي تعرّضت لعدد قتلى جيش ابن سعد كثيرة، لكن ليس هناك نص يحصي كل القتلى والجرحى بشكل قطعي ومعقول [٢]، وإنما نصوص ذكرت عدد القتلى الذين قتلهم بعض أنصار الحسين عليه السلام [٣]، وحتى بعد الجمع لا يمكن التأكد من الرقم الحقيقي وإنما بشكل تقريبي؛ لأن بعض رجال الحسين ورد عنهم أنهم قتلوا جمعاً كثيراً ولم يحدد العدد بالضبط، مثل ما ورد عن العباس بن علي عليه السلام أنه قتل جمعاً كثيراً.

وعموماً، هذه بعض الأرقام التي ذكرت:

- علي الأكبر عليه السلام: ٢٠٠ رجل [٤].
- عبد الله بن مسلم بن عقيل: ٩٨ رجلاً [٥].
- حبيب بن مظاهر: ٦٢ رجلاً [٦].
- زهير بن القين: ١٢٠ رجلاً [٧].
- الحر الرياحي: ٤٠ رجلاً [٨].

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣ / ٢٦٣. والجندل: الحجر الشديد العظيم.

٢- سوى بعض الآراء التي ذكرت أنّ العدد بالآلاف، أو أنّ عدد من قتلهم الحسين عليه السلام وحده بلغ ألفين وما شابه، وهي أرقام مبالغ بها بالتأكيد، انظر: نهاية الإرب، النويري: ٤٢٣؛ أسرار الشهادة، الدربندي: ٣٤٥.

٣- يصل العدد فيها إلى بضع مئات، كما ذكر الشيخ الصدوق في "الأمالي"، وابن شهرآشوب في "مناقب آل أبي طالب"، مع ملاحظة أنّ الاعداد التي ذكرها ابن شهرآشوب أعلى من الأعداد التي ذكرها الشيخ الصدوق.

٤- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٤٤.

٥- انظر: العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٧٠.

٦- انظر: المصدر السابق: ٢٧٦.

٧- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٥ – ٢٦.

٨- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤.

وتوجد إحصائيات أخرى لأنصار آخرين، وحتى في نفس الشخصيات المذكورة توجد آراء أخرى.

ومهما يكن الأمر، فإنّ الشيء المؤكد والقطعي أنّ أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) أوقعوا في معسكر ابن سعد خسائر وإصابات كبيرة بصرف النظر عن العدد الحقيقي، وكان هذا الأمر أحد الأسباب التي دعت بعض الرواة أو المؤرخين إلى المبالغة في طرح الأرقام والإحصائيات.

وعموماً، سألت السيد أحمد الحسن، فقلت: هناك أعداد قتلى تذكر لبعض أنصار الحسين سواء صحبه أو أهل بيته كقتل زهير لـ ١٢٠ رجلاً، أو قتل علي الأكبر لـ ٢٠٠ رجل، وهناك أرقام غيرها ذكرت لآخرين؛ فهل هذه الأرقام معقولة؟ ولا شك أنّ مسألة أعداد القتلى كانت ولا زالت تطرح من بين الإشكالات؟

فأجاب: (بالتأكيد كان أصحاب الحسين عليه السلام مؤمنين وأصحاب عقيدة راسخة وشجعان ومستقتلين، فهم يعلمون أنّ مواجهتهم مع جيش جرّار تعني الموت المحقق؛ خصوصاً بعض أفراده من الشاميين النواصب الذين يسبّون علي ابن أبي طالب عليه السلام ويسمعون سبّه على منابرهم بأمر من معاوية ويزيد لعنهم الله، فلا إشكال - والحال هذه - أن يقوم كل واحد منهم عند المنازلة بضرب عدد كبير بسيفه أو سلاحه قبل أن يتمكّنوا من قتله وتحييده، فالصحيح أنهم جرحوا كثيرين من جيش يزيد وبالتأكيد بعضهم مات في ساحة المعركة وبعضهم مات بعد فترة من أثر الجرح وبعضهم شفي من الجرح، ولكن الأعداد المذكورة للقتلى وأنها حصلت في ساحة المعركة فيها مبالغة ربما سببها ما ذكرته أعلاه وهو أنّ أصحاب الحسين عليه السلام بالفعل جرحوا وأصابوا أعداداً كبيرة من جيش يزيد) انتهى [1].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الصلاة أول وقتها آخر زاد الراحلين:

ختام الأمر أهم شيء فيه، وبالنسبة للدين فلا شيء يعدل الخاتمة والعاقبة على الإطلاق. والملفت في كربلاء أنها أعطت من كل شيء درس وعبرة، ففي ظل غبرة الحرب غير المتكافئة وقسوة الخذلان وفقدان الأحبة، وبالرغم من إحاطة ألوف الأوباش بعائلة الرسول وإرهابهم، ولم يتبقَ من الثلة القليلة التي اختارت الدفاع عنها غير الحسين عليه السلام ونفر قليل من أنصاره، بعد أن رحل أغلبهم (من أهل بيته وصحبه) إلى ربهم شهداء مضرّجين بدمائهم الزاكيّة، وإذا بأحد أنصار الحسين (أبو ثمامة الصائدي) يرقب السماء ويرى اعتدال الشمس (الزوال) فيذكر الصلاة:

(فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو ابن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها قال فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلي فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل فقال له حبيب بن مظاهر زعمت الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل وتقبل منك يا حمار قال: فحمل عليهم حصين بن تميم وخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف فشب ووقع عنه وحمله أصحابه فاستنقذوه وأخذ حبيب يقول:

أنا حبيبٌ وأبي مظاهرُ فارسُ هيجاء وحربٌ تسعرُ

وقاتل قتالاً شديداً فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله. ... لما قتل حبيب هدَّ ذلك الحسين وقال: "عند ذلك أحتسب نفسي وحماة أصحابي" ... ثم صلّوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف تم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصل إلى الحسين فاستقدم الحنفي [1] أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه فما زال يُرمى حتى سقط. وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً وأخذ يقول:

١- هو سعيد بن عبد الله الحنفي رضوان الله تعالى عليه.

أنا زهـيرٌ و أنا ابن القـينِ أذودهم بالسيف عن حسينِ

فشدَّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه) [١].

نعم، كانت الصلاة آخر زاد الإمام الحسين وبعض أنصاره الكرام، فجمعوا بينها وبين الشهادة وتلك هي سمة الفاتحين!

قال السيد أحمد الحسن: (مشيئة الله سبحانه أن يختم الحسين عليه السلام حياته بهذه الصورة جائعاً عطشاناً ذاكراً شاكراً لربّه؛ ختم حياته بالصلاة قبل شهادته) [٢].

مقاتل أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) وتأبينه لهم:

مقتل الأنصار وتأبينهم:

هذه بعض الملاحظات التي تخص مقتل أنصار الحسين عليه السلام:

١- عرضنا قبل قليل بعض مقاتل الأنصار رضوان الله عليهم، وذكرتها كتب التاريخ والمقاتل - بالتفصيل - بصور مبارزات فردية، لكن الصحيح - كما تبيّن لنا - أنّ المعركة كانت التحاماً بين جيشين، وبالتالي فالجميع كان يقاتل ويدافع في نفس الوقت.

٢- مكانة الأنصار جميعاً (الطالبيين وغيرهم) عند الإمام الحسين عليه السلام كانت كبيرة وواضحة من خلال كلماته بحقهم ومو اقفه معهم، ولهذا لما قتل منهم جماعة وبان فيهم النقص، وضع الحسين عليه السلام يده على لحيته الشريفة وقال: "اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى و أنا

---

١ - انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٤ – ٣٣٦، باختصار.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

مخضب بدمي. ثم صاح عليه السلام: أما من مغيث يغيثنا لوجه الله، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله" [١].

٣- المرتكز في أذهان الكثيرين - ربما - أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يجرّد سيفه للقتال يوم عاشوراء إلا بعد استشهاد جميع أنصاره وأهل بيته، وقبل ذلك كان منتظراً وواقفاً في مكان قرب المخيّم يرقب فيه المبارزات الفردية التي يجريها أنصاره (صحبه وأهل بيته) واحداً تلو الآخر، وأحياناً يطرق سمعه أصوات بعض المبارزين أو تصله أخبارهم فيركب فرسه ويذهب إليهم! هذا هو الفهم السائد، وهو فهم غير منطقي ناشئ من الطرح المغلوط الذي تبنّته كتب المقاتل والتاريخ كما ذكرنا.

ونحن لما عرفنا أنّ المعركة عبارة عن التحام واشتباك بين جيشين، فإنّ ذلك يقضي - بالضرورة - باشتراك الإمام بالقتال مع جيشه ولو بعض الوقت؛ خصوصاً وأنّ جيشه كان عدة قليلة، ولعل هذا ما يفسّر أنّه عليه السلام - أحياناً - كان يقتل قتلة بعض أنصاره (أهل بيته أو صحبه) كما حصل مع ابن أخيه (القاسم بن الحسن) مثلاً، الذي يبدو أنه كان يقاتل قريباً من عمّه، فروي أنه لما ضُرب على رأسه نادى: "يا عمّاه"! فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليث أغضب، فضرب قاتله بالسيف فاتقاها بالساعد فأطنها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحى عنه الحسين، وحملت خيل الكوفة لتستنقذه فوطأته بأرجلها حتى مات لعنه الله. وانجلت الغبرة وإذا بالحسين قائماً على رأس القاسم - وهو يفحص برجله - والحسين يقول: "بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك" ثم قال: " عز - والله - على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، صوت - والله - كثر واتروه وقل ناصروه" [٢]. وروي: أنّه قال: "اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً" [٣].

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٠١.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٦ – ١٠٨.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٣٦.

انقضاض الحسين عليه السلام على قاتل ابن أخيه مباشرة وقتله له، يعني أنّ الامام كان في ميدان المعركة، وإلا فمن غير المعقول أن يكون قاتل القاسم قتله وبقي و اقفاً منتظراً حتى وصل صوت القاسم إلى عمّه ثم ركب فرسه وجاءه فوجد القاتل ينتظره وقتله؟!! هذا فهم بعيد عن الو اقع.

٤- لما كانت المعركة كرّ وفرّ، وكان جيش ابن سعد يحمل على معسكر الحسين فيصيب أو يقتل بعض أنصاره ثم يرجع إلى الخلف، ولما تنجلي الغبرة كان الحسين عليه السلام يواسي بعض من سقط من أنصاره إذا سمحت له ظروف المعركة بذلك، وكان يؤبّنه بكلام يكشف عن منزلته عنده بل عن مقامه عند الله، وليس بالضرورة أن يكون التأبين بذهاب الإمام إلى الشهيد ووقوفه على رأسه - كما ذكرت ذلك بعض النصوص - و إنما قد يكون من خلال كلمات قالها الإمام وهو في مكانه، وهذه بعض أقواله:

- قوله بحق الحر بن يزيد الرياحي: "أنت الحر كما سمّتك أمك، و أنت الحر في الدنيا، و أنت الحر في الآخرة" [١].
- قوله بحق جون مولى أبي ذر[٢]: "اللهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد" [٣].
- قوله بحق مسلم بن عوسجة: "رحمك الله يا مسلم، وتلا: "فمنهم من قضى نحبه ومنه من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" [٤].
- قوله بحق حبيب بن مظاهر: "عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي" [٥].

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤؛ الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٦.

٢- جون مولى أبي ذر الغفاري: (كان عبداً أسود، فقال له الحسين عليه السلام: أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا، فقال: يا بن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم) مثير الأحزان، ابن نما: ٤٧.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٣.

٤- مثير الأحزان، ابن نما: ٤٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٦٧ – ٦٨.

٥- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٣٥ – ٣٣٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٧.

- قوله بحق زهير بن القين: "لا يبعدنك الله يا زهير من رحمته ولعن الله قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير" [١].

و أيضاً: كان له تأبين خاص لولده علي الأكبر ولأخيه العباس عليهما السلام، وسيأتي بيانهما. وعموماً، سألت السيد أحمد الحسن عن تأبين الإمام الحسين لبعض أنصاره وأهل بيته بالصورة التي نقلها المؤرخون من ذهاب الإمام إلى الشهيد ووقوفه على رأسه ... إلخ، هل يمكن تعقل حصولها في ظل معركة والتحام وقتال مستميت؟

فأجاب: (لا إشكال في صحة بعضها ولو جزئياً، مثلاً: الحسين عليه السلام يؤبّن أحد الشهداء بكلمات وهو في مكانه فيضاف للأمر [٢] أنه ذهب له .... إلخ.

ومسألة الالتحام بين الجيشين لا تغيّر من وجود بعض الفرص والوقت لتأبين الشهداء) انتهى [٣].

٥- روت كتب التاريخ والسير والمقاتل كثير من مظاهر التوديع أو الاستئذان للقتال التي قام بها أنصار الحسين (صحبه وأهل بيته) مع الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ ذكرت الروايات أنّ كل شخص كان يتقدم للميدان يأتي إلى الامام عليه السلام يستأذنه ويسلّم عليه ثم يخرج إلى القتال!

أقول: على ضوء الفهم الصحيح الذي قدّمناه للمعركة لا يمكن القبول بتوقيت كثير أو أغلب صور التوديع والاستئذان المذكورة؛ لأنها تنسجم مع العرض التقليدي لواقعة كربلاء عند أغلب المؤرخين الذين صوروها على شكل مبارزات فردية قام بها أنصار الحسين بالتتابع ثم بعد تمامهم تقدم الطالبيون بشكل فردي بالتتابع أيضاً وصولاً إلى الإمام الحسين، وقد عرفنا أنّ هذا العرض والتسلسل غير صحيح، ومن ثمَّ فإذا ما أردنا أن نوجّه تلك الروايات - أو بعضها لا أقل - نقول: إنّ غالبيتها - إن صحّت - ينبغي أن يكون

١- إبصار العين في أنصار الحسين، السماوي: ٢٢٦.

٢- الإضافة تكون من قبل المؤرخ أو الراوي.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن

التوديع المذكور فيها قد حصل قبل بدء الالتحام والاشتباك كأن يكون أثناء تعبئة الإمام لجيشه مثلاً.

٦- ذكرت كتب التاريخ والمقاتل أيضاً أنّ هناك خيمة وموضعاً خاصاً في مخيم الحسين كان يوضع فيه شهداء أهل بيت الحسين، وكان الإمام الحسين ومن بقي معه من الطالبيين يأتون بمن يستشهد منهم - كعلي الأكبر والقاسم - ويضعوه في ذلك المكان المخصص للشهداء!

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذا الأمر، فقال: (غير صحيح) [١].

٧- هناك كلمة معروفة ذكرها الإمام الحسين عليه السلام بحق أنصاره وأهل بيته، قال فيها: "أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرُّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنّي خيراً" [٢].

هل يمكننا الحكم على كلام الإمام بالإطلاق، وبالتالي يكون معنى كلامه أنّ أنصاره وأهل بيته هم أفضل و أبر أنصار وأهل بيت على الإطلاق؟

سألت السيد أحمد الحسن عن ذلك، فكان جوابه:

(بالتأكيد لا يقصد الحسين عليه السلام الإطلاق الذي يشمل كل الأفراد في كل الزمان الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأن هذا يُنقَض بأمثلة كثيرة جداً، ولا أقل بزمن رسول الله صلى الله عليه وآله فمثلاً: علي والحسن والحسين وفاطمة وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر و أبو ذر الغفاري من المؤكد أنهم أفضل من بعض أصحاب الحسين عليه السلام، ومن المؤكد علي وفاطمة أفضل من آل بيت الحسين عليه السلام في زمانه.

فما يقصده الحسين: هم أفضل أهل زمانه، ومن المؤكد بعضهم أفضل من بعض الصحابة، بل بعض أصحاب الحسين عليه السلام هم من صحابة الرسول محمد صلى

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣١٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٩١؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٤.

الله عليه وآله ومن أصحاب علي عليه السلام، فهؤلاء بالتأكيد أفضل من نظرائهم الذين خذلوه) انتهى [١].

٨- هذه صفة أنصار الحسين عليه السلام كما بيّنها الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة التي علّمها لهارون بن خارجة: (... ثم توجه إلى الشهداء، وقل: السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه! السلام عليكم يا أصفياء الله وأوداءه، السلام عليكم يا أنصاردين الله! السلام عليكم يا أنصاررسول الله! السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين! السلام عليكم يا أنصارفاطمة سيدة نساء العالمين! السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح! السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزاً عظيماً فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم) [٢].

الحسين(ع) وولده الأكبر:

علي بن الحسين "علي الأكبر"، أكبر ولد الحسين عليه السلام.

كان عمره سبعة وعشرون عاماً، وقد سألت السيد أحمد الحسن عن مسألة زواجه وإن كان له ذرية؟ فقال: (نعم، علي الأكبر متزوج قطعاً، وكذا له ذرية) [٣]. وهذا الأمر ورد في بعض الروايات [٤].

له منزلة كبيرة في قلب أبيه الحسين صلوات الله عليه، وأكيد أنّ القرب من الله سبحانه هو السبب بعد إبعاد ميزان النسب والهوى النفسي عن ساحة الحسين المقدسة،

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٢٢ – ٧٢٣.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- على سبيل المثال: روى الكليني: (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الرجل يتزوج المرأة ويتزوج أم ولد أبيها، فقال: لا بأس بذلك فقلت له: بلغنا عن أبيك أن علي بن الحسين عليهما السلام تزوج ابنة الحسن بن علي عليهما السلام وأم ولد الحسن وذلك أن رجلاً من أصحابنا سألني أن أسألك عنها، فقال: ليس هكذا إنما تزوج علي بن الحسين عليهما السلام ابنة الحسن وأم ولد لعلي بن الحسين المقتول عندكم) الكافي: ٥ / ٣٦١. وكون علي الأكبر عنده جارية توصف بأنها "أم ولد" يعني أنّ لديه ولداً منها.

وهذا يظهر بوضوح من خلال الأوصاف التي أسداها الإمام على ولده لما قدّمه على جيشه يوم عاشوراء، كما سيتضح الآن.

قلت في البحوث السابقة: إنّ الحسين يوم عاشوراء لم يكن ليمثّل نفسه فقط بعد كونه الوتد الأخير المتبقي من أهل الكساء المخصوصين بالمنزلة الرفيعة عند الله ورسوله بإجماع المسلمين، لذلك كان الدفاع عن الحسين يوم عاشوراء هو أقدس موازين القرب الإلهي، وعلى أساسه يتم التفاضل والتفاوت في درجات الإيمان التي تتناسب طردياً مع الدفاع عن الحسين عليه السلام، بمعنى: كلما كانت درجة إيمان المؤمن عالية كلما كان دفاعه عن الحسين أعلى و أكبر!

بهذا كان التفاضل بين أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) يوم عاشوراء، وعلي الأكبر أحدهم وهو يعلم جيداً بهذه الحقيقة الإلهية، لهذا فمن الطبيعي - والحال هذه - أن نجد نصوص المؤرخين تذكر تقدّمه في القتال، لكنها - أي النصوص - لم توضح كل الحقيقة، فعلي الأكبر لم يكن أول المتقدمين من الطالبيين - بعد شهادة جميع الأنصار - كما نسمعه دائماً، إنما الصحيح أنّ "الأكبر" كان في مقدمة جيش الحسين عند بدء القتال والالتحام؛ دفاعاً عن الحق الذي يمثله أبوه صلوات الله عليه، ومَنْ أولى منه بالدفاع عن أبيه الذي هو بقية أصحاب الكساء؟! و أيضاً: علي الأكبر شاب قوي شجاع ومقدام، فهو سليل جده المصطفى وجده المرتضى صلوات الله عليهما، وبالتالي فهو أهل للتقدّم.

ومعنى التقدّم هذا يمكن فهمه من الزيارة التي علّمها الإمام الصادق لأبي حمزة الثمالي، إذ قال له: "... ثم صر إلى علي ابن الحسين، فهو عند رجلي الحسين، فإذا وقفت عليه فقل: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، ... بأبي أنت وأمي من مقدّم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه يرفع دمك إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ولا تسكن عليك من أبيك زفرة حين ودّعك للفراق. فمكانكما عند الله مع آبائك الماضين، ومع أمهاتك في الجنان منعّمين. أبرء إلى الله ممن قتلك وذبحك" [1].

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٤١٥ – ٤١٦.

"مقدّم بين يدي أبيك": واضح أنّ "التقدم" المذكور عام ولم يُخصّص بالتقدم على الأنصار الطالبيين فقط ليُصار إلى الفهم السائد من أنّ "الأكبر" أول المتقدمين للقتال والشهادة من الطالبيين، كما أنّ "التقدم" في نص الزيارة لا يُقصد به الخروج للقتال؛ لأن علي الأكبر بهذا اللحاظ لا يكون مُقدّماً و إنما "متقدماً = خارجاً" وهو أمر يتساوى به الأكبر مع جميع الأنصار- طالبيين وغير طالبيين - وليس صفة خاصة وفارقة في موقفه لتستحق الاهتمام والذكر من قبل المعصوم (الإمام الصادق). وبالتالي، فالمعنى المنطقي والمعقول لتقدم علي الأكبر هو أن يكون على مقدمة جيش الحسين عليه السلام، وحينئذٍ يستحق موقفه البطولي هذا الإشادة والذكر من قبل المعصوم كما هو واضح.

ولأن الفهم السائد ليوم عاشوراء كان هو المطبوع في ذهني كحال الآخرين، سألت السيد أحمد الحسن عن أول من تقدّم للقتال من الطالبيين، ومن هو آخر من بقي مع الحسين عليه السلام؛ هل كان أخاه العباس أم ولده علي الأكبر[١]؟

فأجاب: (الجيوش في المعارك في ذلك الوقت لها طريقان في القتال:

- إما أن يلتحم القادة بالمبارزة قبل التحام الجيشين، وسبب هذا أنهم يرجون انكسار الجيش الذي يقتل قادته أو قائده فتنتهي المعركة بأقل الخسائر، وهذا لم يحصل في كربلاء؛ فقادة جيش يزيد جبناء لا يمتلكون هذا المستوى من الكبرياء، وهم يعلمون أنّ جيشهم أغلبية ساحقة وبإمكانه قطعاً إنهاء المعركة لصالحهم فلماذا المخاطرة؟
- والطريق الثاني: وهو أن يلتحم الجيشان ويتقاتلان، وهذا ما حصل في كربلاء.

أما تقدّم علي الأكبر أمام جيش الحسين عليه السلام في القتال أثناء المعركة فلا إشكال فيه وهو شاب قوي البنية وشجاع وجدّاه رسول الله صلى الله عليه وآله و علي بن أبي طالب عليه السلام.

١- سبب السؤال: إنّ بعض المقاتل تذكر أنّ العباس بن علي هو آخر من بقي مع الحسين صلوات الله عليه، بينما تذكر مقاتل أخرى أن علي الأكبر هو آخر من بقي، ويحتج أصحاب هذا الرأي بتخصيص قدماء الشيعة يوم السابع من محرم للعباس بينما خصصوا لعلي الأكبر يوم التاسع من محرم!

وبخصوص الترتيب أو التقدّم والتأخّر في الخروج للقتال فلا يوجد ترتيب أو تقدم فلان وتقدم فلان في المعركة الحقيقية؛ لأنها كانت اشتباك بين جيشين وليست مبارزة فردية، والمقتل السائد يصوّرها بأنها مبارزات فردية وهذا غير صحيح) انتهى [١].

تقدّم علي الأكبر عليه السلام بهذا المعنى يترتب عليه بعض الحقائق، منها:

١- شجاعة الأكبر الفائقة و إيمانه الراسخ الذي أهّله لأن يكون موضع نظر الإمام الحسين عليه السلام لنيل هذا الوسام الرفيع أعني جعله على مقدمة الجيش.

٢- عظم عطاء الحسين لله سبحانه وهو يدفع بفلذة كبده إلى مقدمة جيشه، والمقدمة - يومذاك - تعني بوضوح الاقتراب أكثر من "مذبح" مشهورة مقاصله وسيوفه بوجه الحق، وأجدني مذهولاً وعاجزاً عن وصف عطاء الحسين تماماً!

٣- كون علي بن الحسين "الأكبر" في مقدمة الجيش عند بدء الالتحام مع جيش ابن سعد لعنه الله، يؤكد عدم دقة النصوص التاريخية التي ذكرت شهادته ووداع أبيه له أثناء القتال بعد شهادة جميع الأنصار، وهو الأمر المعروف والمتداول في مقتل الحسين يوم العاشر استناداً لما ذكرته كتب التاريخ والمقاتل. والصحيح - الذي ينسجم مع حقيقة كون المعركة التحاماً، وكون الأكبر في مقدمة جيش الحسين - أن يكون وداعه لأبيه حصل قبل حدوث الالتحام، وحينئذٍ يمكن فهم كلام الامام الوارد في توديع ابنه مثل: "برز إليهم ..." بأنه إرسال إلى مقدمة الجيش، وهو بروز بالتأكيد، ولا يعني إرساله إلى مبارزة فردية جاء دورها بعد تمام مبارزات الأنصار!

روي: إنّ علي الأكبر لما تقدم: (رفع الحسين شيبته - أو سبابته - نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم! فقد برز إليهم غلام أشبه القوم خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فامنعهم بركات الأرض، فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً، و أقطعهم قطعاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا. قال: ثم صاح الحسين بعمر بن سعد فقال: ما

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

لك قطع الله رحمك، ولا بارك لك في أمرك، وسلّط عليك بعدي من يقتلك على فراشك، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ثم رفع الحسين صوته وقرأ: "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم") [١].

كل من يقرأ هذا الكلام لا يجد صعوبة في إدراك عظم منزلة علي الأكبر عند أبيه الحسين صلوات الله عليه، كما أنّ كلام الإمام الحسين بحق ولده بعد نيله وسام الشهادة يكشف هو الآخر عن ذلك، إذ قال: "قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الرحمان وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعد العفا" [٢].

٤- كحال أي شخصية عظيمة، تتغنّى ببطولتها ومواقفها الأجيال اللاحقة عادة، ذُكِرت بعض الأمور غير الصحيحة التي نسجها البعض - مؤرخون أو رواة - حول مواقف علي الأكبر عليه السلام يوم عاشوراء، والحقيقة إنّ بعض تلك الأمور تسيء أكثر مما تمدح، وتنفّر أكثر مما تقرّب.

منها، على سبيل المثال: مسألة مجيء علي الأكبر إلى أبيه الحسين عليه السلام يشتكي العطش وثقل الحديد فطلب منه أن يضع لسانه على لسانه ... إلخ [٣].

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١١٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٤٢ – ٤٣.

٢- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٤٤.

٣- هذا نص الحكاية: (فلم يزل يقاتل حتّى ضجّ أهل الكوفة لكثرة من قتل منهم، حتّى أنّه روى أنّه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوّى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين وقال: يا بني! عزّ على محمّد وعلى عليّ وعلى أبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك وتستغيث بهم فلا يغيثونك، يا بنيّ هات لسانك، فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه وقال له: خذ هذا الخاتم في فيك وارجع إلى قتال عدوّك، فإنّي أرجو أن لا تمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً) انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٥٥. وأحياناً تُذكر الحكاية بشكل مختصر يتضمّن فقط الشكوى من العطش وثقل الحديد، انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١١٥.

يقول السيد أحمد الحسن - تعقيباً على هذه الحكاية -: (مسألة رجوع علي بن الحسين عطشان وشكا العطش للحسين عليه السلام وأعطاه لسانه ومصّه ..... إلخ، كلها كذب وكلام فارغ.

علي بن الحسين أكبر من أن يشكو العطش؛ فضلاً عن تفاهة الكلام اللاحق.

العباس بن علي يلقي الماء وهو في شدة العطش والإرهاق بمجرد أنه تذكّر عطش الحسين، وعلي بن الحسين يؤذي أباه ويشكو له العطش، هل يعقل هذا؟!! ثم كلام فارغ وبلا معنى من قبيل: "مص لسانه ..." وما شابه من تفاهات سفهاء وعقول فارغة.

علي بن الحسين هو الذي قال: "لا نبالي إن وقع الموت علينا أو وقعنا عليه" يشكو العطش لأبيه ويؤذيه؟!!

علي بن الحسين لا يعرف مكانته في قلب الحسين وكيف سيتألم إن شكا له العطش؟!

كيف يفعل هذا بوعي، وحاشاه؟ وما فائدة هذا الكلام له أو للحسين عليه السلام أو لدين الله!) انتهى [١].

ومنها: مسألة رجوعه أثناء القتال لتوديع أمه فوجدها مغمىً عليها، أو أنّ الإمام سمع صوت علي الأكبر في الميدان يستنجد به ولشدة ذهوله ذهب إلى الاتجاه الآخر فنادته ابنته سكينة أنّ الصوت من ها هنا! وغيرها من قصص نُسجت لاستدرار العواطف و إبكاء الناس! وكأنّ واضعي هذه الحكايات يتصورون أنّ كربلاء يمكن اختزالها بالبكاء فقط كيفما اتفق وبأيّ وسيلة حصلت ولو من خلال تأليف القصص! وإلا ففي ظل ميدان حرب وقتال مشتعل كان علي الأكبر يتوسط لهيبه بل هو المقدّم فيه؛ دفاعاً عن أبيه الحسين (دين الله) [٢] الذي أحاطت به الألوف من كل جانب، في ظل وضع كهذا كيف يمكن

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ الدين وأصل الدينِ هو رجلٌ وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمام أمته وأهل زمانه فمَنْ عرفه عرف الله ومَنْ أنكره أنكر الله ودينه ومَنْ جهله جهل الله ودينه ولا يعرف الله ودينه وشرايعه بغيرِ ذلك الإمام" بصائر الدرجات، الصفار: ٥٤٩.

لسكينة بنت الحسين أن تخالف وصايا أبيها - وحاشاها - وتخرج تنادي على أبيها: "أنّ الصوت من هذا الاتجاه وليس ذاك"؟! ومن أين يمكن لمن كان في مقدمة الجيش أن يحصل على فرصة للمجيء إلى خيمة أمه ليراها ويودعها فيجدها مغمىً عليها، ... إلى آخر القصة؟!

الحقيقة، إنّ بعض القصص تنتقص من عطاء الحسين وأهل بيته وأنصاره في كربلاء وليس كما يتصور مؤلفوها والمدافعون عنها، فكربلاء فيها من الحق ما يملأ وعاء الدهر كله ويفيض، كربلاء الحسين ليست بحاجة إلى تأليف قصص؛ لأن ما جرى فيها حقاً لا يستوعبه هذا العالم بكل ما فيه!

زيارة علي بن الحسين "الأكبر":

ذُكر علي بن الحسين "الأكبر" عليه السلام ضمن زيارات الإمام الحسين عليه السلام المطلقة والخاصة [١]، وقد أُفرد في كثير منها بالسلام كما ورد - مثلاً - في زيارة عاشوراء الشهيرة: "السلام على الحسين، وعلي علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين" [٢]، فالمقصود بعلي بن الحسين هنا: علي الأكبر، وهذا يكشف عن عظيم منزلته عند أبيه الحسين وعند الأئمة المعصومين عموماً.

وهذه إحدى الزيارات الواردة عن الإمام المعصوم، وهي توضح شيئاً من منزلة علي بن الحسين ومقامه الإلهي الرفيع:

عن صفوان الجمّال، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (.. ثم تأتي إلى قبر علي بن الحسين - عليهما السلام - فتقبّله، وتقول: السلام عليك يا ولي الله وابن وليه، السلام عليك يا حبيب الله وابن حبيبه، السلام عليك يا خليل الله وابن خليله، عشت سعيداً ومتّ فقيداً، وقُتلت مظلوماً، يا شهيد ابن الشهيد عليك من الله السلام) [٣].

١- الزيارات المطلقة: هي التي يُزاربها الحسين عليه السلام في كل وقت، والخاصة: هي التي يُزاربها في وقت مخصوص مثل: زيارة عاشوراء، زيارة الأربعين، زيارة ليلة النصف من شعبان، زيارة ليلة القدر، وهكذا.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٣٣٢.

٣- المزار، المشهدي: ٤٣٢ – ٤٣٣.

خصائص العباس(ع) ومقتله:

روى أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام كيفية زيارة العباس بن علي صلوات الله عليه، وهي زيارة عالية المضامين، قال:

(ثم أدخل، وانكب على القبر، وقل: السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته على روحك وبدنك، أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى البدريون والمجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه المبالغون في نصرة أوليائه الذابّون عن أحبائه، فجزاك الله أفضل الجزاء وأوفر جزاء أحد وفي ببيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره، وأشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً وأفضلها غرفاً ورفع ذكرك في العليين وحشرك مع النبيين والشهداء والصالحين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً، أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين جمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المحسنين فإنه أرحم الراحمين) [١].

نص الإمام المعصوم منح العباس عليه السلام عدة صفات وأوسمة، منها:

١. عبد صالح مطيع لله ورسوله وأوصياء رسوله.
٢. مضى على ما مضى عليه البدريّون والمجاهدون في سبيل الله [٢].
٣. لم يكن ناصراً وناصحاً للحسين عليه السلام فحسب، وإنما بالغ في نصرته وبذل غاية المجهود للذبِّ والدفاع عنه بلا هوان ولا نكول.

١- مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٢٥ – ٧٢٦.

٢- لا شك أنّ معركة بدر كانت من أخطر معارك الإسلام، ولذلك كان للشهداء فيها ميزة ومنزلة خاصة؛ لأن رسول الله ورسالته الإلهية كانا مهددين من قبل طغاة قريش وأبي سفيان بالتحديد، والعباس بن علي يوم كربلاء سار على نهج البدريين تماماً؛ دفاعاً عن وريث الرسول وسبطه الحسين بن علي المهدد بالتصفية من قبل وريث أبي سفيان يزيد لعنه الله.

٤. ذو بصيرة و اقتداء بالصالحين و اتّباع للنبيين.

واضح أنها ليست مجرد صفات وكلمات، بل إنها أوسمة عظيمة حقيقية لا مجال للمبالغة فيها.

و أيضاً: روى الشيخ الصدوق شهادة أخرى ووسام آخر بحق العباس قلّده إياه إمام معصوم أيضاً:

(عن ثابت بن أبي صفية، قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين عليهما السلام إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر، ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عزوجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً.

ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس، فلقد آثر و أبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عزوجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة) [١].

الروايات ونصوص المؤرخين ذكرت بعض مواقف العباس يوم عاشوراء، وهي مواقف تكشف شدة إيمانه ونفاذ بصيرته ويقينه وتسليمه لإمامه، كما تكشف عن شجاعته وقوته وكمال صفاته ومواساته و إيثاره، وكأنّ "العبد الصالح" [٢] هذا خُلق

١- الأمالي: ٥٤٧.

٢- عرفنا أنّ هذا الوصف أطلقه عليه الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة المذكورة أعلاه.

لكربلاء ويوم عاشوراء، خُلق للدفاع عن أخيه الحسين (دين الله) وعياله والجود بالنفس دونهم، وقد أدّى مهمته بأروع ما يكون وبأتم وجه تعجز الألفاظ عن بيانه!

وقد تقدم بعض الشواهد التي توضح شيئاً من عطائه في كربلاء، منها:

١- ردّه على شمر بن ذي الجوشن لعنه الله يوم التاسع لما أعطاه وإخوته (عبد الله وجعفر وعثمان) الأمان، ورفضه للعرض المقدم.
٢- تمثيله للحسين عليه السلام في بعض المفاوضات التي حصلت مع قادة الجيش الأموي، منها: مسألة تأجيل هجوم الجيش عصر يوم التاسع من محرم إلى صباح اليوم التالي.
٣- الإتيان بالماء وسقاية معسكر الحسين عليه السلام أكثر من مرة، اضطر في أحدها إلى استعمال القوة، وكان معه ثلاثون فارساً من أنصار الحسين.
٤- حثّه لإخوته وبني هاشم عموماً للدفاع عن الحسين وتقديم أنفسهم دونه.
٥- حمله لواء الحسين ورايته يوم عاشوراء، وما لهذا الأمر من دلالة ورمزية كبيرة، يكفي أن نعرف أنّ أباه علياً عليه السلام كان حامل لواء الرسول صلى الله عليه وآله في كل زحف [١].

وأيضاً: كانت له مواقف ساعة مقتله - صلوات الله عليه - تكشف عن عظمة شخصيته وكمالها.

١- قال ابن عباس: (لعلي بن أبي طالب عليه السلام أربع ما هن لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله. وهو صاحب لوائه في كل زحف. وهو الذي ثبت معه يوم المهراس - يعني يوم أحد - وفر الناس. وهو الذي أدخله قبره) انظر: الإرشاد، المفيد: ١ / ٧٩ – ٨٠.

عن مالك بن دينار قال: (قلت لسعيد بن جبير: من كان يحمل راية رسول الله صلَّى الله عليه وسلم؟ فقال: إنك لرخو الليث. قال مالك: وقال لي معبد الجهني: انا أخبرك كان يحملها في المسير ميسرة العبسي - أو قال: ابن ميسرة - فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب) أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ١٠٦.

"إنك لرخو الليث": أي في حال وسعة (= بطران، باللغة الدارجة). وسبب قول هذا من قبل ابن جبير هو الخوف واستعمال التقية بعدم التصريح باسم علي عليه السلام؛ لأن السؤال كان في زمن بني أمية وتحديداً في وقت حكم الحجاج الثقفي السفاح الذي كان يقتل كل من يذكر فضيلة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه.

في مقتل العباس عليه السلام يوم العاشر ذكرت طريقتان [١]:

الأولى: بعد بدء القتال، ذهب العباس برفقة الإمام الحسين عليه السلام إلى الفرات لاقتحامه والإتيان بالماء للمخيّم، فأحاطوا به وقُتل قبل الحسين عليه السلام:

(اشتد العطش بالحسين عليه السلام فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه، فاعترضه خيل ابن سعد فرمى رجل من بني دارم الحسين عليه السلام بسهم فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع عليه السلام السهم وبسط يده تحت حنكه، حتى امتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به، وقال: "اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك"، ثم اقتطعوا العباس عنه وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه، وكان المتولي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم بن الطفيل السنبسي، فبكى الحسين لقتله بكاءً شديداً) [٢].

الثانية: إنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد بدء المعركة والالتحام بمدة [٣] كلّف أخاه العباس "وحده" بالإتيان بالماء للأطفال والعيال:

(قصد العباس نحو الفرات فأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتى دخل الماء. فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته، فرمى الماء وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب، فحاربهم حتى ضربه رجل على يده اليمنى فقطعها، وحمل القربة على كتفه الأيسر فضربه

١- يوجد كلام كثير للمؤرخين والباحثين في وقت مقتل العباس، وهل أنه آخر من بقي، ومن كانت شهادته أسبق؛ هو أم علي الأكبر؟ ونحوها من الأسئلة التي لا نرى أنّ في طرحها وإجابتها فائدة وثمرة حقيقية بعد معرفتنا بأنّ المعركة الحقيقية كانت التحاماً واشتباكاً شاملاً بين جيشين وليست مبارزات فردية، وبالتالي فليس فيها متقدم ومتأخر بالمعنى الذي يتصوّره هؤلاء. أيضاً: توجد بعض الأقوال الشاذة التي صوّرت مقتل العباس يوم السابع أو التاسع من محرم، وهي غير صحيحة بالتأكيد.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥٠؛ العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٩٢، نقلاً عن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس.

٣- باعتبار أنّ العباس عليه السلام اشترك بالقتال في المعركة، وأكثر بصفوف الجيش الأموي قتلاً وجرحاً، وقد تقدم أنه قام بفك الحصار عن بعض الأنصار واستنقاذهم أثناء القتال.

رجل آخر فقطع يده اليسرى من الزند، فحمل القربة بأسنانه فجاءه سهم فأصاب القربة وأريق ماؤها، ثم جاءه سهم آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه ...) [١].

وبعض المقاتل ذكرت تفاصيل ما جرى عليه وقطع كفّيه الكريمتين وصولاً إلى لحظة شهادته ومصرعه بفلق هامته الشريفة بعامود [٢].

أقول: حقيقة، لا أجد كلمات تفي بوصف موقف العباس عليه السلام ووفائه و إيثاره وتضحيته وحبّه لأخيه الحسين عليه السلام لما اغترف من الماء بيده ثم رماه ولم يشرب منه قطرة مع أنه كان عطشاناً وقلبه يغلي من شدة الظمأ!

وروي: (لما قتل العباس قال الحسين: "الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي") [٣].

واضح من روايات مقتل العباس بن علي صلوات الله عليه، أنّ موضع قتله كان قريباً من الفرات (أو نهر متفرع منه) بعد ذهابه للإتيان بالماء لعيال الحسين. هذه هي الحقيقة، والشاهد عليها - فضلاً عن الروايات والنصوص التاريخية - موضع قبر العباس نفسه كما عليه الآن، لكن هل فعلاً ذهب إلى الفرات وحده؟ وماذا بوسعه أن يفعل والفرات يتواجد عليه المئات من جنود الجيش الأموي، هذا فضلاً عن أنّ طريق الذهاب للفرات يحتاج إلى عبور بعض قطعات الجيش الأموي أيضاً؟

١- انظر: بحار الأنوار: ٤٥ / ٤١ – ٤٢؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٨٤ – ٢٨٥. بتصرف قليل.

٢- (قالوا: وكان العباس السقاء قمر بني هاشم صاحب لواء الحسين عليه السلام وهو أكبر الاخوان، مضى يطلب الماء فحملوا عليه وحمل عليهم وجعل يقول: "لا أرهب الموت إذا الموت رقا * حتى أواري في المصاليت لقى * نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا * إني أنا العباس أغدو بالسقا * ولا أخاف الشر يوم الملتقى". ففرقهم فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي فضربه على يمينه فأخذ السيف بشماله وحمل وهو يرتجز: "والله إن قطعتم يميني * إني أحامي أبدا عن ديني * وعن إمام صادق اليقين * نجل النبي الطاهر الأمين". فقاتل حتى ضعف، فكمن له الحكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة فضربه على شماله فقال: "يا نفس لا تخشي من الكفار * و أبشري برحمة الجبار * مع النبي السيد المختار * قد قطعوا ببغيهم يساري * فأصلهم يا رب حر النار". فضربه ملعون بعمود من حديد فقتله) العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٢٨٣ – ٢٨٤.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٤٢؛ العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٨٥.

توجّهت بالسؤال أعلاه إلى السيد أحمد الحسن، فأجاب:

(نعم بعثه وحده. العباس كان قوي البنية، متدرّباً على القتال منذ نعومة أظفاره، وكان كعلي صلوات الله عليه، ضربته قوية تقتل أو تجرح جرحاً مميتاً، فكانوا يهابونه ويتجنّبون الاشتباك معه مباشرة.

وصحيح أنّ الشجاعة وحدها كافية للإقدام، وشجاعة العباس واضحة وظهرت في مو اقف كثيرة [١]، ولكن الشجاعة وحدها ليست كافية لردع العدو، إنما القوة هي التي كانت الرادع. فالعباس كان يتمتع بضخامة جسمه وكونه فارساً متدرباً لزمن طويل. وقد ثبت هذا أمامهم في الميدان يوم عاشوراء، فهو قتل كثيرين منهم في الاشتباك بين الجيشين قبل ذهابه إلى الفرات؛ لهذا أخذوا يتجنّبونه) انتهى [٢].

ثم أقول: ماذا بوسع الإمام الحسين أن يفعل غير العمل بالممكن، فهو من جهة يسمع أو يرى حال أطفال تشتكي العطش، ومن جهة ثانية: كان قليل الناصر بل وبعض أنصاره استشهد فعلاً بعد بدء المعركة، إضافة إلى أنّ أعداءه قد نزعت الرحمة منهم تماماً وكأنهم وحوش مفترسة، بل نادى بعضهم بأعلى صوته: "لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية"! وبالتالي فلا سبيل أمام الإمام الحسين - والحال هذه - إلا أن يذهب هو أو من يمكن أن يعتمد عليه في أداء مهمة صعبة كهذه، فكلّف أخاه العباس - أثناء المعركة - بالذهاب والإتيان بالماء، وفعلاً ذهب و اقتحم الميدان من جهة الفرات ووصل الشريعة وحمل الماء ليعود به إلى مخيّم الحسين لكنهم - لعنهم الله - قطعوا عليه طريقه وحالوا بينه وبين إيصال الماء إلى أطفال الحسين، وجرى عليه ما جرى.

١- يمكن القول: إنّ نفس امتثال العباس أمر الحسين عليه السلام بالذهاب إلى الفرات دليل كافٍ على شجاعته؛ باعتبار أنّ الثابت تاريخياً أنّ عمر بن سعد كلّف عمرو بن الحجاج ومعه أربعة آلاف مقاتل لحراسة شريعة الفرات والحيلولة دون وصول الماء إلى مخيّم الحسين؛ هذا فضلاً عن أنّ المسير إلى الفرات يقتضي اجتياز بعض قطعات جيش ابن سعد؛ لأن الجيش الأموي كان يحاصر معسكر الحسين من كل الجهات كما تقدم.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

مقتل الحسين(ع):

وقت الوداع:

تذكر المقاتل عادة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما بقي وحيداً دعا عياله وقام بتوديعهم، فطلبت منه ابنته سكينة أن يردهم للمدينة فأجاب بأنّ الأمر غير ممكن ثم صبّرهم وودّعهم وحمل على القوم [1].

لا شك أنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنه مقتول، وهذا أمر واضح من سيرته وكلامه منذ لحظة إعلان ثورته، فكيف الآن وقد بدأ القتال بالفعل وقتل أنصاره وأهل بيته، فبالتأكيد أنه قام بتوديع عياله وبلغهم وصاياه؛ خصوصاً و أنه قد اصطحبهم لمهمة تتعلق بحفظ دين الله كما تقدم بيانه بالتفصيل سابقاً، لكن الإشكال في أمرين:

- وقت التوديع.
- ما قالته بعض نسائه (سواء ابنته سكينة أو غيرها)، إذ ورد في بعض روايات المقتل أنّ سكينة - مثلاً- قالت لأبيها عند الوداع: "يا أبه ردنا إلى حرم جدنا فقال: هيهات لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء ... إلخ".

فهل القضية فعلاً كما صوّرها بعض المؤرخين؟

أقول: لم يكن وقت التوديع بالصورة التي ذكرتها كتب المقاتل والتاريخ، أي لم يكن في أواخر المعركة؛ وتحديداً لحظة بقائه وحيداً صلوات الله عليه، فإنّ طبيعة أحداث المعركة والعدو المجرم من جهة، وطبيعة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وما يتحلّى به من شجاعة وقوة و إباء من جهة أخرى، لا تسمح بتصوير الوداع بالطريقة التي تم نقلها. نعم،

١- قال الشيخ عبد الله البحراني: (أقول: وفي بعض الكتب أن الحسين عليه السلام لما نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعى، التفت إلى الخيمة، ونادى: يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم! عليكن منّي السلام، فنادته سكينة: يا أبه استسلمت للموت؟ فقال: كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين، فقالت: يا أبه ردنا إلى حرم جدنا فقال: هيهات لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء فسكتهن الحسين عليه السلام وحمل على القوم) العوالم - الإمام الحسين: ٢٨٩ – ٢٩٠.

لا مانع من أن يكون وداع الحسين عليه السلام لعياله كان قبل بدء القتال والالتحام، بل ونحن قد عرفنا سابقاً أنّ ليلة العاشر كانت ليلة عبادة ووداع وتثبيت قلوب عبر وصايا إلهية أسداها الحسين لأنصاره وأهل بيته وعياله.

وبخصوص عياله، فإنه - صلوات الله عليه - أعدّهم لمثل هذا اليوم طيلة مسيره إلى كربلاء وأخبرهم بما سيلاقوه، وبالتالي فالنساء كانت تعرف تماماً ما ينتظرها من ألم ومصاب ولم يكنَّ متفاجئات بلحظة وحدة الحسين وغربته بين الألوف التي تحيط به بعد مقتل رجاله (صحبه وأهل بيته) بالرغم من هول المشهد وقساوته على قلوب عائلة الرسول، لكن إعداد الحسين لهنّ لعيش هذه اللحظات الأليمة يكفي لنفي كل ما يفهم منه التراجع" أو "الجزع" وما شابه.

أيضاً: كانت للإمام الحسين صلوات الله عليه وصايا لأخته زينب الكبرى عليها السلام، فهي من ستقود بقية الركب المحمدي بعد شهادته، ويقع على عاتقها مهمة توضيح أهداف ثورته الإلهية وبيانها للناس، وكذلك مهمة حفظ الإمام علي بن الحسين عليه السلام وإرجاعه سالماً إلى المدينة؛ لئلا تخلو الأرض من حجة، إضافة إلى مهمة حفظ العيال (الأطفال والنساء)، وكان مما أوصاها به أيضاً في وداعه لها: أن لا تنساه بدعائها في صلاة نافلة الليل؛ الأمر الذي يكشف عن عظيم منزلتها عنده [١]!

عموماً، سألت السيد أحمد الحسن عن الأمرين المتقدمين، فقال:

(الوداع أكيد ودّعهم الحسين عليه السلام، ولكن ليس بالتسلسل الزمني الذي يُذكر. أما أنّ سكينة أو غيرها تطلب منه التراجع أو يأخذهم للمدينة أو تجزع .... إلخ، فهذا غير صحيح، فكلهم كانوا يعرفون تماماً ما سيحصل لهم والحسين عليه السلام أخبرهم في الطريق إلى كربلاء) انتهى [٢].

١- انظر: زينب الكبرى، جعفر النقدي: ٥٨.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

بهذا نتمكن من الحكم على كل رواية أو نص تاريخي يحاول النيل من موقف الحسين أو عياله (أخواته أو بناته) من خلال تأليف قصص ونسج أقوال وحكايات يُفهم منها التراجع في الموقف أو الجزع لألم المصاب ونحو ذلك، نتمكن من الحكم عليها - بلا تردد - بالوضع والكذب أو التحريف الذي تعمّده البعض، والذي لم يسلم منه حتى الحسين بالرغم من شدة وضوح موقفه [١] فما بالك بنسوته، خصوصاً وأنّ التاريخ - غالباً - لم تكتبه أيادٍ أمينة فضلاً عن تعصّب كثير من المؤرخين أو الرواة لبني أمية المجرمين.

ما لاقاه الحسين أعلى قمم الجنان بنظره!

زحف الجيش الأموي نحو الحسين عليه السلام، وقد بقي وحيداً فريداً، فأحاطوا به وهجموا عليه، وكان يقاتلهم ويكشفهم عن نفسه ومخيّمه وهم ينزاحون عنه انزياح القطيع إذا شدَّ عليه الأسد:

- (قال عبد الله بن عمارة بن عبد يغوث: ما رأيت [مكثوراً] قط أربط جأشاً من الحسين عليه السلام قتل ولده وجميع أصحابه حوله، وأحاطت الكتائب به، فوالله لكان يشد عليهم، فينكشفوا عنه انكشاف المعز[إذا] شد عليها الأسد) [٢].
- عبد الله بن عمار البارقي قال: (فوالله ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جناناً منه ولا أجرأ مقدماً والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب) [٣].

١- عرضنا سابقاً بعض ما نسجه المؤرخون أو الرواة من أنّ الحسين عليه السلام (وحاشاه) عرض على الحر الرياحي أو على عمر بن سعد أن يسمحوا له بالرجوع إلى المدينة أو المسير إلى الشام أو إلى ثغر من ثغور المسلمين، وأوضحنا بطلان هذا التأليف والتحريف والغاية الخبيثة التي تكمن وراءه.

٢- شرح الأخبار، النعمان المغربي: ٣ / ١٦٣ – ١٦٤.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١١، عن حميد بن مسلم باختلاف بسيط.

قال الإمام علي بن الحسين: "كان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت" [١].

الحسين عليه السلام لا يبالي بالموت إطلاقاً، مع أنّ بعض ما نزل به يوم عاشوراء لو نزل على جبال راسيات لأذابها ألماً ووجعاً لو كان لديها ثمة شعور، لكن الجبال تزول ولا يزول صبر الحسين وعطاؤه الإلهي، بل يزيد الأمر عجباً إذا ما عرفنا أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يرى ما يحصل أمامه - من فقد بنيه وإخوته وأهل بيته وصحبه وما ينتظر عياله من سبي - إلا جميلاً؛ لأنه بعين الله ولأجل حفظ دين الله ورسالته وحاكميته، لأنه يرى مراد الله يُنجز ويتحقق، وهذا هو مراد الحسين ولا شيء آخر غير إنفاذ مراد الله!

هذه هي الحقيقة، بالرغم من أنّ الكثيرين يصعب عليهم إدراكها وفهمها، لذلك رأينا بعضهم يشكل على الحسين موقفه وتعريضه نفسه وعياله للأذى، ورأينا بعض آخر يحاول التوسل بالغث والسمين لدفع تلك الإشكالات [٢].

الحقيقة التي ينطوي عليها صدر الحسين صلوات الله عليه أنه بكل ما خوّله الله في هذا العالم من نفس وبدن و أبناء وإخوة وأهل بيت وصحب وعيال (نسوة وأطفال)؛ فضلاً عن مال وجاه ودنيا ... إلخ مما لا يستحق ذكره قبال ما ذكر، كل ذلك يراه ملكاً لله سبحانه ورهن إرادته ومشيئته الجميلة دائماً و أبداً بنظر الحسين!

أشدُّ ما كان يؤلم قلب الحسين عليه السلام في حياته أنه كان يرى نفسه غير متمكن من أن يؤدي شكر نعم الله الوفيرة عليه، بل شكر واحدة من نعمه سبحانه، وها قد حان اليوم الذي يتمكن فيه الحسين (عبد الله) من أن ينفذ مراد الله "حبيبه"، فكيف سيكون عطاء الحسين إذن!

١- معاني الأخبار، الصدوق: ٢٨٨.

٢- عرضنا أهم الإشكالات وجوابها في الجزء الأول، فراجع.

كان صلوات الله عليه يقول في دعائه: (..... وَ اَنَا اَشْهَدُ يَا اِلهِي بِحَقِيقَةِ اِيمَانِي، وَعَقْدِ عَزَمَاتِ يَقِينِي، وَخَالِصِ صَرِيحِ تَوْحِيدِي، وَبَاطِنِ مَكْنُونِ ضَمِيرِي، وَعَلاَئِقِ مَجَارِي نُورِ بَصَرِي، وَاَسَارِيرِ صَفْحَةِ جَبِينِي، وَخُرْقِ مَسَارِبِ نَفْسِي، وَخَذَارِيفِ مَارِنِ عِرْنِينِي; وَمَسَارِبِ سِمَاخِ سَمْعِي، وَمَا ضُمَّتْ وَاَطبَقَتْ عَلَيْهِ شَفَتَايَ، وَحَرَكَاتِ لَفظِ لِسَانِي، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمِي وَفَكِّي، وَمَنَابِتِ اَضْرَاسِي، وَمَسَاغِ مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي، وَحِمَالَةِ اُمِّ رَأْسِي، وَبُلُوغِ فَارِغِ حبَائِلِ عُنُقِي، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ تَامُورُ صَدرِي، وَحمَائِلِ حَبْلِ وَتِينِي، وَنِيَاطِ حِجَابِ قَلْبِي، وَ أَفْلاَذِ حَوَاشِي كَبِدِي، وَمَا حَوَتْهُ شَرَاسِيفُ اَضْلاَعِي، وَحِقَاقُ مَفاصِلِي، وَقَبضُ عَوامِلِي، وَاَطرَافُ اَنَامِلِي وَلَحْمِي وَدَمِي، وَشَعْرِي وَبَشَرِي، وَعَصَبِي وَقَصَبِي، وَعِظَامِي وَمُخِّي وَعُرُوقِي، وَجَمِيعُ جَوارِحِي، وَمَا انْتَسَجَ عَلى ذلِكَ اَيَّامَ رَضَاعِي، وَمَا اَقلَّتِ الاَرْضُ مِنِّي، وَنَوْمِي وَيقَظَتِي وَسُكُونِي وَحرَكَاتِ رُكُوعِي وَسُجُودِي، اَنْ لَوْ حَاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الاَعصَارِ وَالاَحْقَابِ لَوْ عُمِّرْتُهَا اَنْ أُؤَدِّيَ شُكْرَ وَاحِدَة مِنْ أَنْعُمِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلِكَ اِلاَّ بِمَنِّكَ الْمُوجَبِ عَلَيَّ بِهِ شُكْرَكَ اَبَداً جَدِيداً، وَثَنآءً طَارِفاً عَتِيداً. اَجَلْ وَلَوْ حَرَصْتُ اَنَا وَالْعآدُّونَ مِنْ اَنَامِكَ، أَنْ تُحْصِيَ مَدى اِنْعَامِكَ، سَالِفِهِ وَ آنِفِهِ مَا حَصَرْنَاهُ عَدَداً، وَلاَ اَحْصَينَاهُ اَمَداً، هَيْهَاتَ أَنّى ذلِكَ وَ اَنْتَ الْمُخْبِرُ فِي كِتَابِكَ النَّاطِقِ، وَالنَّبَأُ الصَّادِقِ: "وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا" ...) [1].

١- مقطع من دعاء الحسين عليه السلام يوم عرفة.

وللفائدة، هذه معاني بعض المفردات (لغوياً) الواردة في المقطع المنقول:

- "عزمات يقيني": حقوق وفرائض اليقين.
- "علائق مجاري نور بصري": ما يتعلق به نور البصر.
- "أسارير صفحة جبيني": الخطوط التي تكون على جبهة الإنسان.
- "خرق مسارب نفسي": خرق = منفذ، ومسارب = مجاري وممرات والمعنى: منافذ مجاري النفس في البدن.
- "خذاريف مارن عرنيني": الخذاريف هي القطع والعرنين هو ما لان من الأنف.
- "مسارب سماخ سمعي": القنوات والممرات التي توصل الهواء والصوت إلى السمع.
- "مغرز حنك فمي وفكي": مغرز الحنك هو موضع اتصاله بالجسم.
- "حمالة أم رأسي": الحمالة = العلّاقة، أم الرأس = المخ فحمالة أم الرأس: هي التي تربط الرأس بالبدن.
- "بلوغ فارغ حبائل عنقي": ما ينزل منه الطعام إلى جوف الإنسان.
- "تامور صدري": التامور= الوعاء وقيل غلاف أو كيس رقيق يحيط بالقلب ليحافظ عليه.
- "حمائل حبل وتيني": الوتين عرق في القلب وحمائله هي موضع اتصاله بالجسم.

الحسين يختلف بكل شيء حتى في طبيعة نظرته للعلاقة النسبية التي ألفها البشر منذ القدم، فالأب منّا - مثلاً - يحب أبنائه ويحافظ عليهم بشكل غريزي؛ لأنه مجبول على حب البقاء، ولما كان الأبناء يحملون جيناته وراثياً فهو يسعى للحفاظ عليهم ولو بافتدائهم بنفسه، فالدافع كما نرى جيني غريزي، لكن الحسين صلوات الله عليه يرى أنّ رحم كل العلاقات النسبية والسببية هو القرب من الله فالقريب من الله قريب منه ولو بعدت لحمته والبعيد عن الله بعيد عنه وإن قربت لحمته، تلك هي خصيصة خلفاء الله (آل محمد عليهم السلام) وعلى رأسهم الحسين بن علي، لذلك لم نره إلا جواداً بابنه وفلذة كبده "الأكبر" ليقدّمه على مقدمة جيشه كمشروع تضحية وفداء طالما أنّ الأمر يتعلّق بالله سبحانه! وإذا رأينا تأبين الحسين أو تعريفه يختلف أحياناً بين شخص وآخر فلقرب المؤبَّن والمعرَّف من الله أكثر من غيره، فبوصلة الحسين وموشور حركته ينتظم دائماً وفق مقياس القرب والبعد عن الله ولا شيء آخر غير الله سبحانه!

لهذا، فما نراه نحن وجعاً وألماً، يبرّر به بعضنا ما يحصل له من انهيار أحياناً عند نزول المصائب الجسام، كان الحسين صلوات الله عليه يوم عاشوراء يراه أجمل لحظات عمره الشريف، لذلك فهو بالرغم من قتل أهل بيته وصحبه، وبالرغم من عطشه وكل ما ينتظر عياله من أذى، وهو العالم بما سيجري عليهم، كان يزداد عطاءً وشموخاً، بل كان أشد بأساً وأربط جأشاً وأشرق وجهاً وأمضى جناناً!

يقول السيد أحمد الحسن: (ما نراه ألماً ووجعاً ومأساة في قصة الحسين في كربلاء أو في قصة المصلوب ربما يراه الحسين والمصلوب قمة المتعة وأعلى قمم الجنان، ربما يقرب لك الصورة معرفة أنّ الذين يشربون القهوة المرة كل يوم صباحاً يستمتعون بمرارتها التي يراها غيرهم شيئاً لا يطاق) [١].

- "نياط حجاب قلبي": نياط القلب هو عرقه الغليظ الذي إذا قطع مات الإنسان.
- "شراسيف أضلاعي": أطراف الأضلاع المشرفة على البطن.
- "حقاق مفاصلي": هي النقر الموجودة في المفاصل والتي تكون بمثابة الأقفال للقبض والسبط.
- "قبض عواملي": أي ضم الأرجل بعضها لبعض.

١- كتاب بريد الصفحة، السيد أحمد الحسن: الجزء الثاني.

الحسين(ع) يضم طفليه إلى قافلة العطاء:

لما فجع الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده وصحبه يوم عاشوراء، ولم يبقَ غيره وغير عياله نادى: "هل من ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟"، ودعا أخته زينب لتناوله ابنه عبد الله وكان رضيعاً يشتكي العطش، (فناولته ولده الرضيع فحمله نحو القوم وهو ينادي: "يا قوم قتلتم أنصاري وأولادي، وما بقي غير هذا الطفل، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، لقد جفّ اللبن في صدر أمّه". فرماه حرملة بسهم فوقع في نحره فذبحه من الوريد إلى الوريد. فوضع الحسين كفّيه تحت نحر الطفل فلمّا امتلأتا دماً رمى به إلى السماء [١]، وقال: هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله، اللهم لا يكونن طفلي هذا أهون عليك من فصيل، أي فصيل ناقة صالح) [٢].

وروي أنّ الحسين عليه السلام قال: "لا يكون أهون عليك من فصيل، اللهم إن كنت حبست عنّا النصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا" [٣].

١- روي عن الإمام الباقر عليه السلام: "فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض" انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٦٩.

٢- فاجعة الطف، محمد كاظم القزويني: ٦٥ – ٦٦؛ و انظر في قصة مقتل الرضيع: تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٢٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ٤١٥؛ موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٧٤ – ٥٧٦.

وروى الطبرسي: (أنه لما بقي فرداً ليس معه إلا ابنه علي بن الحسين عليهما السلام، و ابن آخر في الرضاع اسمه عبد الله، أخذ الطفل ليودعه، فإذا بسهم قد أقبل حتى وقع في لبّة الصبي فقتله، فنزل عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه، ورمّله بدمه ودفنه، ...) الاحتجاج: ٢ / ٢٥.

٣- انظر: العوالم - الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٢٨٩.

وبالنسبة إلى عمره، فقد اختلفوا بين من يراه ثلاث سنين، ومن يراه ستة أشهر، وبعضهم يرى أنه ولد يوم عاشوراء [١]. و أيضاً: اختلفوا في مسألة دفنه [٢].

ومهما يكن، فقد سألت السيد أحمد الحسن عن هذين الأمرين، فقال: (عمره بحدود ثمانية أشهر، ولم يدفنه الحسين عليه السلام) [٣].

والطفل الآخر: هو عبد الله بن أخيه الحسن عليه السلام، وقصة مقتله:

لما رجع الحسين عليه السلام من المسناة إلى فسطاطه تقدم إليه شمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه فأحاطوا به، فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن النسر الكندي، فشتم الحسين وضربه على رأسه بالسيف، وكان عليه قلنسوة فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه، فامتلأت القلنسوة دماً، فقال له الحسين: "لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين" ثم ألقى القلنسوة ودعا بخرقة فشد بها رأسه واستدعى قلنسوة أخرى فلبسها واعتم عليها، ورجع عنه شمر بن ذي الجوشن ومن كان معه إلى مواضعهم، فمكث هنيهة ثم عاد وعادوا إليه وأحاطوا به. فخرج إليهم عبد الله بن الحسن بن علي عليهما السلام - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين ..... وأهوى أبجر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلدة فإذا يده معلّقة، ونادى الغلام: يا أمتاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: "يا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين. ثم رفع الحسين عليه السلام يده وقال: "اللهم أمسك عنهم قطر

١- ممّن صرّح بأنّ عمره ثلاث سنين: الذهبي في "سير أعلام النبلاء": ٣ / ٣٠٢. وروي عن أبي مخنف: أنّ له من العمر ستة أشهر، انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٧٤. بينما ذكر اليعقوبي في تاريخه: ٢ / ١٧٧ أنّ عمره يوم.

٢- بعض المؤرخين يرى أنّ الحسين عليه السلام وضعه مع القتلى ولم يدفنه، منهم: المفيد في "الإرشاد": ٢ / ١٠٨؛ و ابن نما الحلي في "مثير الأحزان": ٥٣. وبعضهم يرى أنه حفر له بطرف سيفه ودفنه، منهم: ابن أعثم الكوفي في "الفتوح": ٥ / ١١٥؛ والخوارزمي في "مقتل الحسين": ٢ / ٣٧.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

السماء وامنعهم بركات الأرض اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض عنهم الولاة أبداً فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا" [١].

نهوض زين العابدين لنصرة الحسين(ع):

بقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً ولم يرَ أحداً ينصره، فنظر إلى أهله وصحبه مجزرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال، فنادى: "هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟"، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء [٢].

عند ذاك (خرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وكان مريضاً لا يقدر أن يقل سيفه وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع فقال: يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين عليه السلام: يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله) [٣].

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذه الحادثة، فقال: (الحادثة صحيحة إجمالاً، فصحيح أنّ علي بن الحسين زين العابدين نهض للقتال متكئاً على سيفه لما سمع نداء الحسين الأخير وعرف أنه بقي وحيداً) انتهى [٤].

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٠ – ١١. وفي رواية المفيد: (أنّ زينب عليها السلام لحقت الطفل لتحبسه فامتنع عنها، فقال لها الحسين: أحبسيه يا أختي).

٢- انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٦٨.

٣- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٤٦؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٣١٤.

٤- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الحسين(ع) يسلّم وصيته الظاهرة عند اقتراب الوفاة:

هذه رواية توضح مدى اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بحفظ دين الله وإتمام رسالته حتى وهو يعيش اللحظات العصيبة من عمره:

عن الإمام الباقر عليه السلام: (إنّ الحسين لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ووصية باطنة وكان علي بن الحسين مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار ذلك إلينا. فقلت: فما في ذلك فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا) [١].

سألت السيد أحمد الحسن عن معنى الرواية، فقال: (لا إشكال أن تكون هناك عدة نسخ لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه إحداها) انتهى [٢].

١- بصائر الدرجات، الصفار: ١٦٨. والحديث رواه الكليني بتفصيل أكبر: (عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله عز وجل على العباد خمساً، ...) وبعد أن ذكر الصلاة والزكاة والصوم والحج، قال: (ثم نزلت الولاية وإنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجل "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" وكان كمال الدين بولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام ..... قال أبو جعفر عليه السلام: كان والله [علي عليه السلام] أمين الله على خلقه وغيبه ودينه الذي ارتضاه لنفسه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله حضره الذي حضر، فدعا عليا فقال: يا علي إني أريد أن أئتمنك على ما ائتمنني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه فلم يشرك والله فيها يا زياد أحداً من الخلق ثم إن علياً عليه السلام حضره الذي حضره فدعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكرا فقال لهم: يا بني إن الله عز وجل قد أبى إلا أن يجعل فيّ سنة من يعقوب وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكراً، فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإني أخبركم بصاحبكم، إلا إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فاسمعوا لهما وأطيعوا، ووازروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه، فأوجب الله لهما من علي عليه السلام ما أوجب لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن لأحد منهما فضل على صاحبه إلا بكبره، وإن الحسين كان إذ حضر الحسن لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم، ثم إنّ الحسن عليه السلام حضره الذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين عليه السلام، ثم إنّ حسيناً حضره الذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين عليه السلام - فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا) الكافي: ١ / ٢٩٠ – ٢٩١.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الكتاب في الرواية: يعني وصية الرسول ليلة الوفاة التي تضمّنت ذكر الأوصياء الذين يخلفون الرسول صلى الله عليه وآله وهم الاثنا عشر إماماً والاثنا عشر مهدياً [١]، هذا هو دين الله الحق الذي بعث به الرسول، الدين الذي ثار الحسين لأجل تثبيت أركانه بعد أن أوهم الأمويون أنفسهم و أتباعهم أنهم تمكّنوا من تقويضه قبل يوم عاشوراء ولم يتبقَ للإجهاز عليه تماماً سوى قتل الحسين لتمسي حاكمية الناس (المنهج الأموي) بلا منازع! لكن خاب فألهم وفاتهم أنّ دم الحسين المراق - الذي افتدى به دين الله وحاكميته - أبى الله إلا أن يجعله سبباً لاقتلاع جذور الحكم الأموي من أساسه، وسيظل سبباً يقتلع جذور كل شجرة خبيثة تنادي بحاكمية الناس (دين الأمويين). نعم، سيبقى دم الحسين - الثائر لله - هو الساقي شجرة حاكمية الله والبيعة لله (بيعة الإمام المعصوم المنصوص عليه والمنصّب من قبل الله)، لا حاكمية الناس (بيعة فلان وفلان ممّن لا نص إلهي فيهم ولا عصمة عن المعاصي تعتريهم)!

الرواية أعلاه - أيضاً - ربما نفهم منها أنّ الحكمة الكامنة وراء تسليم الإمام الحسين عليه السلام الوصية لابنته فاطمة الكبرى دون ولده الوصي مباشرة، لها ارتباط بمسألة الحفاظ عليه و إبعاد الأنظار عنه لتتم رسالة الله، وقد فعل بعض الأئمة مثل ذلك - أعني الاحتياط لحفظ الأوصياء - لنفس السبب [٢].

بل روي أنّ الحسين عليه السلام أوصى بالظاهر لأخته زينب عليها السلام، وما كان يخرج من علم من الإمام زين العابدين يُنسب إليها؛ حفاظاً عليه من القتل [٣].

١- انظر رواية الوصية المقدسة (الكتاب العاصم للأمة من الضلال) في كتاب الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

٢- فمثلاً: كان المنصور العباسي يترقّب معرفة الإمام بعد الصادق عليه السلام ليقتله، وكان الإمام يعلم بذلك لذلك أظهر وصية ذكر فيها عدة أشخاص منهم أبو جعفر المنصور نفسه ومولى له، وجعل ولده موسى أحد المذكورين، والسبب في ذلك هو حفظه وتفويت غرض الظالم، ولذلك لما سمع أبو جعفر المنصور بوصية الإمام قال: "ليس إلى قتل هؤلاء سبيل"! (عن النضر بن سويد ... ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور وعبد الله وموسى ومحمد بن جعفر مولى لأبي عبد الله قال: فقال أبو جعفر: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل) الكافي: ١ / ٣١٠ – ٣١١.

٣- عن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت الإمام الهادي عليهم السلام قالت: (... إنّ الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم يُنسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٥٠١.

الحسين(ع) يستعد للقتل والسلب:

(وحملت الرجالة يميناً وشمالاً على من كان بقي مع الحسين فقتلوهم حتى لم يبق معه إلا ثلاثة نفر أو أربعة، فلما رأى ذلك الحسين دعا بسراويل يمانية يلمع فيها البصر ففزرها ثم لبسها، و إنما فزرها لكي لا يسلبها بعد قتله) [١].

وروي أنّ الحسين عليه السلام لما أحسّ بالقتل، قال: "إئتوني ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي..." [٢].

ثم برز صلوات الله عليه للقتال ملتحفاً ببردة رسول الله، متقلداً سيفه، مصمّماً على ملاقاة وعد الله، غير آبه بجمعهم ولا ألوفهم إطلاقاً، كان يقول لهم: "ويلكم على مَ تقاتلونني، على حق تركته أم على شريعة بدّلتها أم على سنّة غيرتها"؟ فقالوا: نقاتلك بغضاً منّا لأبيك وما فعل بأشياخنا يوم بدروحنين! واضح أنهم أمويّون حد النخاع، وكان جمعهم يتزاح من أمام صولته كالقطيع على حد وصف الرواة، و ابن أبيه من يتمكن من الثبات بوجهه صلوات الله عليه [٣]. وصاح ابن سعد بجمعه: "الويل لكم! أتدرون من تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كل جانب" فحملوا عليه [٤].

أثناء القتال، كان يسمع أصوات عياله تشتكي العطش، وقد اشتد به العطش أيضاً، فقصد الفرات فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكّنوه من الماء، فقال الحسين عليه السلام: "اللهم أظمئه" فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلأت راحتاه بالدم، فرمى به ثم قال: "اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك" [٥] ثم رجع إلى مكانه وقد أخذ منه العطش مأخذه.

---

١ - الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١١.

٢- انظر: المعجم الكبير، الطبراني: ٣ / ١١٧.

٣- ذكر المؤرخون أراجيز متعددة قالها الحسين عليه السلام أثناء القتال.

٤- انظر: فاجعة الطف، القزويني: ٦٨.

٥- في رواية البلاذري: "اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بي" أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠١.

(عن الجلودي أنّ الحسين حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة و أقحم الفرس على الفرات فلما أولع الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام: أنت عطشان و أنا عطشان والله لا أذوق الماء حتى تشرب، فلما سمع الفرس كلام الحسين شال رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام فقال الحسين: اشرب فأنا اشرب، فأنا اشرب، فمد الحسين يده فغرف من الماء فقال فارس: يا أبا عبد الله تلذذ بشرب الماء وقد هتكت حرمتك، فنفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم فإذا الخيمة سالمة) [١].

قال السيد أحمد الحسن عن هذه الحادثة: إنها (صحيحة إجمالاً، فالحسين عليه السلام لم يشرب الماء ولكن لا يوجد تعارض بين شربهما جميعاً حتى يختار الحسين تقديم فرسه) انتهى [٢].

شاء الله سبحانه أن يُقتل وليه المظلوم مذبوحاً عطشاناً، فبالرغم من أنه اقتحم الفرات واغترف منه لكنه لم يذق منه قطرة!

ثم إنّ شمر بن ذي الجوشن لعنه الله أقبل في جماعة قِبَل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى الحسين نحوهم فحالوا بينه وبين رحله، فقال لهم: "ويحكم إن لم يكن لكم دين فكونوا في أمر دنياكم أحراراً، امنعوا أهلي من طغامكم وسفهائكم"! فقال له شمر: ذاك لك يا ابن فاطمة، و أقدم عليه بالرجالة فجعل شمر يحرّضهم عليه، ثم أقبل في جماعة منهم، فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه حتى إذا أحاطوا به فضاربهم وكشفهم عن نفسه [٣].

ورويت الحادثة بنحو آخر: (فحالوا بينه وبين رحله، فصاح: "ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً". فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟ قال أقول: "أنا الذي

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٢١٥.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢٠١ – ٢٠٢؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٤.

أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حياً". فصاح شمر بأصحابه: تنحوا عن حرم الرجل و اقصدوه بنفسه، فلعمري هو كفو كريم، فتراجع القوم) [١].

الحسين ذبيح اللّه:

تداعت الرجال على الحسين صلوات الله عليه من كل حدب وصوب وهو يقاتلهم فريداً، وقد أخذ العطش ونزف الجراح والتعب مأخذه منه، فرماه أبو الحتوف الجعفي بسهم فوقع في جبهته فنزع الحسين السهم وسال الدم على وجهه ولحيته فقال: "اللهم قد ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة العتاة، اللهم فاحصهم عدداً، و اقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً".

ثم حمل عليهم كالليث المغضب فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه، وهو يتلقّى السهام بنحره وصدره، ويقول: "يا أمة السوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله الصالحين فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، و أيم الله إني لأرجو أن يكرمني ربي بهوانكم ثم ينتقم منكم من حيث لا تشعرون". فصاح الحصين بن مالك السكوني: يا ابن فاطمة، بماذا ينتقم لك منّا؟ فقال: "يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصبُّ عليكم العذاب الأليم". ثم جعل يقاتل حتى أصابته اثنان وسبعون جراحة" [٢].

عن حميد بن مسلم قال: (سمعته - أي الحسين - يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني و أيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون أما والله أن لو قد قتلتموني

١- فاجعة الطف، القزويني: ٦٨ – ٦٩.

٢- انظر: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٣٨ – ٣٩.

لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم) [١].

وروي: إنّ شمر بن ذي الجوشن لعنه الله استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجالة التي تقاتل الحسين، وأمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسهام والنبال حتى صار جسده كالقنفذ فأحجم عنهم وقد أعياه نزف الدم، فوقف ليستريح فرماه أحدهم بحجر في جبهته فمسح الدم عن عينه، فاتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوقع في صدره فقال الحسين: "بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله"، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: "إلهي إنك تعلم انهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره"، ثم أخذ السهم وأخرجه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح فلما امتلأت دماً رمى به إلى السماء، ثم وضع يده على الجرح ثانياً فلما امتلأت لطخ به رأسه ولحيته وقال: "هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله و أنا مخضوب بدمي أقول: يا رسول الله قتلني فلان وفلان. فعند ذلك طعنه صالح بن وهب على خاصرته طعنة، فسقط عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن وهو يقول: "بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله"، ثم جعل يجمع التراب تحت يده كالوسادة فيضع خده عليها يناجي ربه قائلاً: "صبراً على قضائك وبلائك يا رب لا معبود سواك"، ثم أراد أن يقوم فلم يتمكن [٢].

وكان آخر دعاء دعا به الإمام الحسين في تلك اللحظات الأليمة أن قال: "اللهم! متعالي المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء قادر على ما تشاء قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء قريب إذا دعيت محيط بما خلقت قابل التوبة لمن تاب إليك قادر على ما أردت ومدرك ما طلبت وشكور إذا شكرت وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً و أفزع إليك خائفاً و أبكي إليك مكروباً وأستعين بك ضعيفاً و أتوكل عليك كافياً، أحكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد بن عبد الله الذي

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٥ – ٣٤٦.

٢- انظر: فاجعة الطف، القزويني: ٧٤ – ٧٦؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٤٢ – ٤٣.

اصطفيته بالرسالة و ائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين" [١].

ثم إنهم وقفوا بإزاء الحسين، وخرجت أخته زينب عليها السلام إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص: "ويحك يا عمر! أيقتل أبو عبد الله و أنت تنظر إليه"؟ فبكى اللعين و انصرف بوجهه عنها ولم يجبها بشيء، فنادت: "ويحكم أما فيكم مسلم"؟! فلم يجبها أحد بشيء.

وروى هلال بن نافع قال: (إني لو اقف مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ: أبشر أيها الأمير فهذا شمر قد قتل الحسين، قال: فخرجت بين الصفين فوقفت عليه و إنه ليجود بنفسه فوالله ما رأيت قط قتيلا مضمخا بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نوروجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحالة ماء، فسمعت رجلاً يقول: لا تذوق الماء حتى ترد الحامية، فتشرب من حميمها، فسمعته يقول: أنا أرد الحامية فأشرب من حميمها؟ بل أرد على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ركبتم مني وفعلتم بي قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً، ...) [٢].

ومكث الحسين صلوات الله عليه مطروحاً ولو شاءوا أن يقتلوه لفعلوا ولكن كان بعضهم يتكل على الآخر. ونادى شمر على الفرسان والرجالة فقال: ويحكم ما تنتظرون بالرجل؟ ثكلتكم أمهاتكم! فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك على كفه اليسرى فقطعها، وضربه آخر منهم على عاتقه فكبا منها لوجهه، وطعنه سنان بن أنس بالرمح فصرعه، وبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي فنزل ليحتز رأسه فأرعد، فقال له شمر: فتَّ الله في عضدك، ما لك ترعد؟ ونزل شمر اللعين إليه فرفسه برجله وطعنه عدة طعنات

١- مصباح المتهجد، الطوسي: ٨٢٧ – ٨٢٨.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥٧.

واعتلى على صدره ثم ذبحه واحتز رأسه الشريف - أي: وا إماماه واحسيناه - ودفعه إلى خولي بن يزيد لعنه الله وقال له: "احمله إلى الأمير عمر بن سعد [١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: "وجد بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة" [٢]. وروي أكثر من ذلك [٣].

ورد في زيارته صلوات الله عليه: "السلام على من هُتكت حرمته، السلام على من أُريق بالظلم دمه، السلام على المغسّل بدم الجراح، السلام على المجرّع بكاسات الرماح، السلام على المضام المستباح ..... وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات. وأحدقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك. حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحا، تطؤوك الخيول بحو افرها، وتعلوك الطغاة ببو اترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفياً إلى رحلك وبيتك، وقد شُغلت بنفسك عن ولدك وأهلك، وأسرع فرسك شارداً، وإلى خيامك قاصداً، محمحماً باكياً. فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملويّاً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، للوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات والشمر جالس على صدرك، مولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنّده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك، ....." [٤].

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٠ – ١١٢؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥٥ – ٥٦؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٦. وفي رواية البلاذري: أنّ الذابح هو سنان بن أنس، انظر: أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠٣. وروى الطبري: (وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خولي).

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٦.

٣- روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ عدد جراح الحسين عليه السلام كانت ثلاثمائة وبضع وعشرون، وروي: ثلاثمائة وستون جراحة، وقيل أكثر من ذلك، انظر: نفس المهموم، عباس القمي: ٣٢٥.

٤- مقطع من زيارة الناحية المقدسة.

ناشرات الشعور: الشعر يرمز للأفكار، والمعنى: مذهولات تائهات الفكر من هول الموقف وعظم المصاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحداث بعد مقتل الحسين(ع):

التواء السرج بلا حسين!

مؤلم جداً أن ينظر عيال الحسين إلى سرج فرس الحسين ملويّاً، هذا يعني أنّ الحسين هوى من جواده قتيلاً!

عن الإمام الصادق، قال: (و أقبل فرس الحسين عليه السلام حتى لطخ عرفه وناصيته بدم الحسين عليه السلام، وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النبي صلى الله عليه وآله صهيله، فخرجن فإذا الفرس بلا راكب، فعرفن أنّ حسيناً صلى الله عليه قد قُتل، وخرجت أم كلثوم أخت الحسين عليه السلام واضعة يدها على رأسها، تندب وتقول: وا محمداه، هذا الحسين بالعراء، قد سلب العمامة والرداء) [١].

(و أقبل فرس الحسين، وقد عدا من بين أيديهم، أن لا يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين، وذهب يركض إلى خيمة النساء وهو يصهل، ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة فلما نظرت أخوات الحسين وبناته وأهله إلى الفرس ليس عليه أحد رفعن أصواتهن بالصراخ والعويل، ووضعت أم كلثوم يدها على أم رأسها، ونادت: وا محمداه! وا جداه! وا نبياه! وأبا القاسماه! وا علياه! وا جعفراه! وا حمزتاه! وا حسناه! هذا حسين بالعرا، صريع بكربلا، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا. ثم غشي عليها) [٢].

وعن مسألة تلطيخ الفرس ناصيته بدم الحسين وذهابه نحو المخيّم يصهل بصوت عالٍ، سألت السيد أحمد الحسن عن صحة الحادثة، فقال: "الحادثة صحيحة" [٣].

١- الأمالي، الصدوق: ٢٢٦ – ٢٢٧. وروى بعض المؤرخين أنّ فرس الحسين قتل جماعة من جيش ابن سعد: (عن الجلودي أنه كان صرع الحسين فجعل فرسه يحامي عنه ويثب على الفارس فيخبطه عن سرجه ويدوسه حتى قتل الفرس أربعين رجلاً ثم تمرغ في دم الحسين وقصد نحو الخيمة وله صهيل عال ويضرب بيديه الأرض) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٢١٥. و انظر أيضاً: الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٥ / ١١٩ – ١٢٠.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٣٧.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

سلب الحسين(ع):

تمادى الضلال ليبلغ أقصى نقطة ممكنة في الغي والتسافل في هذا العالم الوضيع، فلم يكتفِ الأمويون الأرجاس وغوغائهم الأوباش بقتل الحسين صلوات الله عليه وحز رأسه الشريف، بل عمد بعض المغضوب عليهم إلى سلب الحسين المذبوح!

الطبري: (وسلب الحسين ما كان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خزوكان يسمى بعد قيس قطيفة وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم) [١].

المفيد: (ثم أقبلوا على سلب الحسين عليه السلام فأخذ قميصه إسحاق بن حياة الحضرمي، وأخذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، و انتهبوا رحله و إبله و أثقاله وسلبوا نساءه) [٢].

ابن طاووس: (ثم أقبلوا على سلب الحسين فأخذ قميصه إسحاق بن حوية الحضرمي فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره. ... وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمي لعنه الله فروي أنه صار زَمِناً مقعداً من رجليه، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي وقيل جابر ابن يزيد الأودي لعنهما الله فاعتم بها فصار معتوهاً، وأخذ نعليه الأسود بن خالد لعنه الله، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي وقطع إصبعه مع الخاتم، وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط في دمه حتى هلك. وأخذ قطيفة له كانت من خزقيس بن الأشعث، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد فلما قتل عمروهبها المختار لأبي عمرة قاتله، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي وقيل رجل من نبي تميم يقال له أسود بن حنظلة ... وهذا السيف المنهوب المشهور ليس بذي الفقار فإن ذلك كان مذخوراً

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٦.

٢- الإرشاد: ٢ / ١١٢.

ومصوناً مع أمثاله من ذخائر النبوة والإمامة وقد نقل الرواة تصديق ما قلناه وصورة ما حكيناه) [١].

وبخصوص سلب خاتم الحسين روي: (عن محمد بن مسلم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عن خاتم الحسين بن علي عليهما السلام إلى من صار؟ وذكرت له أني سمعت أنه أخذ من إصبعه فيما أُخذ. قال عليه السلام: ليس كما قالوا، إن الحسين عليه السلام أوصى إلى ابنه علي بن الحسين عليهما السلام وجعل خاتمه في إصبعه، وفوّض إليه أمره، كما فعله رسول الله بأمير المؤمنين، وفعله أمير المؤمنين بالحسن، وفعله الحسن بالحسين، ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي عليه السلام بعد أبيه، ومنه صار إلي، فهو عندي و إني لألبسه كل جمعة وأصلي فيه. قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلي، فلما فرغ من الصلاة مد إلي يده، فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه: لا إله إلا الله عدة للقاء الله، فقال: هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام) [٢].

رض جسد الحسين(ع) بحوافر الخيل:

(ثم إنّ عمر بن سعد نادى في أصحابه من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم إسحاق بن حياة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين فبرص بعد وأحبش بن مرث د بن علقمة بن سلامة الحضرمي فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره) [٣].

(ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطئ الخيل ظهره وصدره فانتدب منهم عشرة وهم: إسحاق بن حوبة الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السنبسي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خثيمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي،

١- اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٦ – ٧٧.

٢- الأمالي: ٢٠٨.

٣- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٣.

وهاني بن شبث الحضرمي، وأسيد بن مالك لعنهم الله فداسوا الحسين عليه السلام بحو افر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره) [1].

فكرة التمثيل عموماً والرض بالخصوص كانت بأمر من ابن زياد لعنه الله كما مرَبنا سابقاً [2]، وقد نفذها ابن سعد لعنه الله بكل بشاعة؛ إذ انتدب عشرة ليدوسوا جسد الحسين صلوات الله عليه كما لاحظناه في النصوص التاريخية.

(وأمر ابن زياد - لعنه الله وغضب عليه - أن يوطأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه فأجريت الخيل عليه) [3].

هتك مخيّم الحسين(ع) ومحاولة قتل زين العابدين(ع):

من صور الألم الفجيع يوم عاشوراء ما جرى على عيال الحسين بعد مقتله، وهجوم أرذل خلق الله على المخيّم المنكوب [4] لنهبه وسلبه وترويع من بقي فيه من نساء وأطفال:

قال الإمام الرضا عليه السلام: "إنّ المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت

١- اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٩ – ٨٠. قال: (جاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زيادة فقال: أسيد بن مالك أحد العشرة عليهم لعائن الله: "نحن رضضنا الصدر بعد الظهر * بكل يعبوب شديد الأسر"، فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره، قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة. قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدنا هم جميعا أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار فشد أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا).

٢- إذ ورد في آخر كتاب لابن زياد بعثه لابن سعد: (انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، وإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره) انظر: الإرشاد، المفيد: ٨٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣٩٠.

٣- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٩.

٤- يضم المخيمّ الحسيني مجموعة من الخيم المتقاربة التي كان تأوي الإمام الحسين عليه السلام وعياله وأهل بيته: (بنيه وإخوته وبني عمومته وعوائلهم)، و أيضاً تأوي صحبه وبعضهم كانوا مع عوائلهم، ولا يوجد إحصاء دقيق لعدد الخيم التي يتألف منها المخيّم ككل.

النيران في مضاربنا، و انتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. ..." [١].

(ومال الناس على الورس والحلل والإبل و انتهبوها، قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيذهب به منها) [٢].

وكان المبادر للهجوم على المخيّم وسلبه شمر بن ذي الجوشن لعنه الله: (و أقبل القوم حتى أحدقوا بالخيمة، و أقبل الشمر بن ذي الجوشن - لعنه الله - حتى وقف قريباً من خيمة النساء فقال لقومه: ادخلوا فاسلبوا بزيهن! قال: فدخل القوم فأخذوا كل ما كان في الخيمة، ... وخرج القوم من الخيمة وأضرموها بالنار) [٣].

(عن عبد الله بن الحسن المثنى، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: دخلت الغاغة علينا الفسطاط، و أنا جارية صغيرة، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجلا يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك، يا عدو الله؟! فقال: كيف لا أبكي و أنا أسلب ابنة رسول الله! فقلت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجئ غيري فيأخذه. قالت: و انتهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا) [٤].

وروى المفيد [٥]: (قال حميد بن مسلم: فو الله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها على ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها، ثم انتهينا إلى علي بن الحسين وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان! إنما هو صبي و إنه لما به! فلم أزل

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٠ – ١٩١.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٦؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢٠٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٧٩. والورس: نبات شبيه بالزعفران يستعمل كالبخور وتلوين الثياب. وقال الدينوري: (ثم مال الناس على ذلك الورس الذي كان أخذه من البعير، وإلى ما في المضارب فانتهبوه) الأخبار الطوال: ٢٥٨.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٠. والبزي: الثياب والأمتعة عموماً.

٤- الأمالي، الصدوق: ٢٢٩.

٥- ومثله الطبري باختصار، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٧.

حتى رددتهم عنه. وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض، وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهن ليتسترن به فقال: من أخذ من متاعهن شيئاً فليرده عليهن؟ فوالله ما رد أحد منهم شيئاً، فوكل بالفسطاط وبيوت النساء وعلي بن الحسين جماعة ممن كانوا معه وقال: احفظوهم لئلا يخرج منهم أحد، ولا تسيئن إليهم) [١].

أقول: ما تبنّاه الطبري والمفيد في مسألة تدخل ابن سعد لحفظ المخيّم بالطريقة التي صُوِّرت، ومسألة حفظ الإمام علي بن الحسين وسلامته من القتل [٢]، غير دقيق:

١- كان اللعين ابن سعد قريباً من المخيّم ويرى ما جرى عليه، لكنه لم يتدخل ليمنع ذلك ابتداءً. نعم، هو وبعض القيادات الكوفية تدخلوا لاحقاً بعد أن أوغل جنودهم في أذى آل الرسول وسلبهم فمنعوهم عن الاستمرار. إنّ الواقع والروايات والنصوص التاريخية كلها تؤكد - بالمجمل - نهب المخيّم وسلب آل الرسول. نعم، ربما يكون ابن سعد جمع النساء ومعهم الإمام زين العابدين في مكان واحد ووضع عليهم حرساً، وأما المخيّم ككل فقد تم نهبه وحرقه، والرواية أعلاه قد تشير إلى ذلك لكن لم تنقله بدقة.

مشهد تقريبي لواقعة الطف يظهر فيها المخيّم الحسيني

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٢ – ١١٣.

٢- لم ينفرد الطبري والمفيد بتبنّي هذه المسألة، وإنما ذكر ذلك جماعة آخرين، منهم: ابن سعد في الطبقات (ترجمة الإمام الحسين - القسم غير المطبوع): ٧٨؛ ابن الجوزي في تذكرة الخوص: ٢٣٢.

وعموماً، بخصوص سلب مخيم الحسين والنساء بالذات، وما يرتبط به من نصوص ذكرت أنّ المرأة كانت تنازع على سترها فتُغلب عليه، سألت السيد أحمد الحسن عن صحة ذلك، وعن سلب ستر النساء بالتحديد، فقال:

(صحيح بقدرٍ ما حيث إنّ هناك من فعل هذا؛ وخصوصاً من جيش الشام، ولكن منع استمرارهم عمر بن سعد وبعض قادة جيش يزيد من الكوفيين.

أما سلب الستر، فما المقصود بالستر؟ هم يلبسون ملابس كثيرة، والنساء كن يعرفن ما سيحصل معهم لهذا أعددن العدة لهذا الأمر، فإذا كان المقصود بالستر كشف رؤوس بعضهن لبعض الوقت فهذا حصل مع بعضهن، وإذا كان المقصود به سلب بعض الملابس مثل عباءة وما شابه من غطاء يوضع فوق الملابس فهذا حصل مع بعضهن، ولكن هن كن مستعدات لهذا ويعلمن أن سيحصل معهن.

سلب المخيم بالتأكيد حصل، لكن زينب عليها السلام لم يحصل أن سلبها أحد؛ لأن عمر بن سعد عرفها ووقف قريباً منها ومنعهم من التقرّب منها، ويوجد خطاب يُنقل بينها وبينه) انتهى [١].

٢- بالنسبة إلى حفظ الإمام زين العابدين عليه السلام من القتل فالملاحظ أنّ الرواية المتقدمة نسبت ذلك إلى شخصين؛ الأول: الراوي حميد بن مسلم؛ المرتزق المتملق وأحد رجالات ابن سعد الذي بعثه من كربلاء إلى الكوفة بعد نهاية المعركة ليبشّر أهله بسلامته و(الفتح) بقتل آل الرسول [٢]! والثاني: عمر بن سعد قائد الجيش الأموي المنفّذ

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

جاء في خطاب زينب عليها السلام لابن سعد: "ويحك يا عمر! أيقتل أبو عبد الله و أنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بشيء، ..." تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٥؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٢.

٢- روى الطبري: (عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة .....) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٩.

لإرادة يزيد و ابن زياد لعنهما الله بقتل الحسين صلوات الله عليه ورض جسده وقتل أهل بيته وصحبه وسبي عياله بعد أسرهم!

لكن الصحيح إنّ من حال دون تنفيذ مراد الظلمة - شمر لعنه الله بالخصوص - هو السيدة زينب عليها السلام التي رمت بنفسها على ابن أخيها (الإمام زين العابدين) وقاءً ودرعاً تفديه بنفسها! فامتنعوا عن قتلها خشية من تعيير العرب لهم، وإلا فهم قوم مرقوا من دين الله بل ومن الإنسانية تماماً وكانوا مجرد وحوش وبهائم بهيئة بشر لا أقل ولا أكثر! وقبل كل شيء هي مشيئة الله سبحانه في حفظ زينب عليها السلام التي كانت سبباً في حفظ وليه وحجته على خلقه؛ لئلا تخلو الأرض من حجة.

مع الالتفات إلى أننا لا نمنع من أن يكون موقف حميد بن مسلم أو عمر بن سعد هو رفض قتل الإمام زين العابدين عليه السلام وربما أبديا رغبتهما تلك بقول أو فعل معين، لكن أن يصوَّر الحال وكأنهما السبب الحقيقي لدفع القتل عن الإمام ويتم إغفال صاحب الدور الحقيقي والحامي الحقيقي - أعني زينب صلوات الله عليها - فهذا الذي نرفضه قطعاً. علماً إنّ إقدام زينب عليها السلام على التضحية بنفسها من أجل سلامة ابن أخيها (الإمام) سيتكرر منها أكثر من مرة أثناء مسيرة السبي المؤلمة.

وما ذكرناه أكدته نصوص تاريخية وليس مجرد تخمين للأحداث:

(وهمَّ شمر الملعون - عليه ما يستحق من الله - بقتل علي الأصغر ابن الحسين وهو مريض، فخرجت إليه زينب بنت علي وقالت: والله لا يُقتل حتى أُقتل) [1].

بل وبعض المؤرخين ذكر أنّ عمر بن سعد لعنه الله هو الآمر بقتل الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (وأمر بقتل علي بن الحسين، فوقعت عليه زينب وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل. فرقّ لها وكفَّ عنه) [2].

١- أخبار الدول و آثار الأُول، القرماني: ١ / ٣٢٣.

٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤١.

٣- ذكرت بعض المصادر أنّ هجوم خيل ابن سعد على مخيّم الحسين أدّى إلى قتل بعض الأطفال تحت حوافر الخيل [١].

٤- لماذا كل هذه القسوة في أحداث الهجوم على مخيّم الحسين عليه السلام؟

السبب: إنّ أغلب من اشترك في نهب المخيم وسلبه وحرقه هم من أهل الشام الذين كان يقودهم شمر بن ذي الجوشن لعنه الله ولعنهم [٢]، وأهل الشام - كما هو معلوم - كانوا نواصب شديدي العداء لأمير المؤمنين صلوات الله عليه وذريته وقد ربّاهم معاوية و ابنه يزيد لعنهما الله سنين طويلة على سبّه والانتقاص منه وعدائه، وكانوا ينتظرون هكذا فرصة لاستئصال أهل هذا البيت والانتقام منهم.

١- (قال الشيخ حسن بن سليمان بن محمد بن الحسن الشويكي في مقتله نقلاً من الجزء العاشر من كتاب المنن لعبد الوهاب الشعراني قال: وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب قتل مع الحسين في الطف، و ابناه سعد وعقيل كانا معه وماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب، وأمهما خديجة ابنة علي بن أبي طالب توفيت بالكوفة. وقال أيضا في مقتله: ومن بنات علي رقية الكبرى، وكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله بن مسلم ومحمد بن مسلم الذين قتلا يوم الطف مع الحسين ومسلم قتل بالكوفة وكان رسوله، وولدت رقية عاتكة من مسلم ولها من العمر سبع سنين وهي التي سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب. وفي بعض المقاتل أن أحمد بن الحسن المجتبى قتل مع الحسين وله من العمر ستة عشر سنة وله أختان من أمه أم الحسن وأم الحسين سحقتا يوم الطف بعد شهادة الحسين عليه السلام لما هجم القوم على المخيم) وفيات الأئمة، مجموعة من العلماء: ١٥٩ – ١٦٠.

٢- عن الإمام الصادق، في حديث طويل يذكر قصة مقتل الحسين صلوات الله عليه، إلى أن يقول: "ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً ولا يرى أحداً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك. وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، ورمي بسهم فوقع في نحره، وخر عن فرسه، فأخذ السهم فرمى به، وجعل يتلقى الدم بكفه، فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو يقول: ألقى الله عز وجل و أنا مظلوم متلطخ بدمي. ثم خر على خده الأيسر صريعاً، و أقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي، وشمر ابن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل ..." الأمالي، الصدوق: ٢٢٦. أقول: نفس هذه المجموعة التي اشتركت بقتل الحسين هي التي هجمت على مخيمه ونهبته وسلبت عياله وأضرمت النار في مضاربه.

حرق المخيّم:

مرَّ بنا قول الإمام الرضا عليه السلام: "... وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا" [١].

(فقال الراوي: ثم أخرج النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة وقلن بحق الله إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام فلما نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن قال فوالله لا أنسى زينب بنت علي عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا حسين مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا إلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى على المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء يا محمداه هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا قتيل أولاد البغايا وا حزناه، وا كرباه، اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا.

وفي رواية: يا محمداه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليهم ريح الصبا وهذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جده محمد المصطفى، بأبي من جده رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى، ...) [٢].

وحده سبحانه يعلم بمدى الألم الذي كان يعتصر قلب عقيلة الطالبيين "زينب" على ما حلَّ بأخيها الحسين صلوات الله عليه، لذلك فهي تبدي هذا الكلام المليء بالغصة

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٠ – ١٩١.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١١٨ – ١١٩.

والحسرة على فقده، ولعلها استحضرت رؤياها التي قصّتها في طفولتها على جدها الرسول وأجرت دموع عينيه، وها هي تراها تتحقق اليوم [١]!

خروج زينب(ع) للحسين(ع):

متى خرجت زينب عليها السلام يوم عاشوراء من المخيّم؟

بعض النصوص التاريخية أشارت إلى خروجها في مواضع عديدة؛ بعضها كان قبل مقتل الحسين عليه السلام [٢]، وفي الطرف الآخر هناك من ينفي خروجها يوم العاشر أصلاً - قبل مقتل الحسين وبعده - وأنّ وقوفها على جسد أخيها كان في اليوم الحادي عشر من محرم عندما أرادوا المسير إلى الكوفة [٣].

ومهما يكن، فقد سألت السيد أحمد الحسن عن مسألة خروج السيدة زينب عليها السلام يوم عاشوراء، فقال:

١- هذه رؤيا زينب عليها السلام: (... فقالت له: يا جداه، رأيت رؤيا البارحة ... كأن ريحاً عاصفاً اسودت الدنيا منه وأظلمت، ففزعت إلى شجرة عظيمة فتعلّقتُ بها من شدة العاصفة فقلعتها الرياح وألقتها على الأرض، فتعلقت بغصن قوي من تلك الشجرة فقطعتها الرياح، فتعلقت بغصن آخر فكسرته الرياح أيضاً، وسارعت فتعلقت بأحد فرعين من فروعهما فكسرته العاصفة أيضاً، ثم استيقظت من نومي). فأجهش الرسول بالبكاء، وفسّر لها رؤياها فقال: (أما الشجرة فجدّك، وأما الفرع الأول فأُمك فاطمة، والثاني أبوك علي، والفرعان الآخران هما أخواك الحسنان، تسودُّ الدنيا لفقدهم وتلبسين لباس الحداد في رزيتهم) انظر: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، القرشي: ٦٨ – ٦٩.

٢- منها: عند شهادة ابن أخيها علي بن الحسين "الأكبر": (وخرجت زينب أخت الحسين مسرعة تنادي: يا أخياه و ابن أخياه، وجاءت حتى أكبّت عليه، فأخذ الحسين برأسها فردها إلى الفسطاط، وأمر فتيانه فقال: "احملوا أخاكم" فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٠٧. ومنها: عند خروج عبد الله ابن الإمام الحسن الذي قتل مع عمّه الحسين عليه السلام في آخر حياته بعد أن أفلت من المخيم وجاء إلى عمه، وتقدمت قصة مقتله. ومنها: عند مصرع الحسين صلوات الله عليه وكلامها مع ابن سعد لعنه الله كما عرضناه في المقتل. هذا ما رواه بعض المؤرخين، وأما الصحيح في المسألة فسنتعرف عليه بعد قليل.

٣- كالشيخ مهدي الحائري صاحب كتاب "شجرة طوبى".

(زينب عليها السلام كانت لديها مهمة أولى مكلّفة بها هي الحفاظ على الإمام علي بن الحسين زين العابدين، فلم تترك الامام علي بن الحسين عليه السلام حتى عاد إلى المدينة سالماً.

زينب عليها السلام لم تترك باب خيمة الامام علي بن الحسين عليه السلام إلا عندما برز الحسين عليه السلام بعد مقتل أهل بيته وأصحابه، وكانت تحاول معرفة حال الحسين عليه السلام وعينها على خيمة علي بن الحسين زين العابدين، وعندما علمت بمقتل الحسين عليه السلام عادت لباب خيمته لمنع أعداء الله عن أذاه.

أيضاً: ذهابها للحسين عليه السلام وقولها: "اللهم تقبل منّا هذا القربان" كان بعد أن هدأت المعركة واطمأنت على حال الإمام زين العابدين عليه السلام) انتهى [١].

وهذا يعني أنّ زينب عليها السلام لم تذهب إلى أخيها الحسين عليه السلام عند مصرعه ومقتله في نفس اللحظة، وأما كلامها مع ابن سعد قبل مقتل الحسين فيمكننا أن نتصور حصوله عند مصرع الحسين عليه السلام وعدم قدرته على النهوض وزمر الضلال تحيط به، ففي تلك الأثناء اقترب ابن سعد لعنه الله من المخيّم [٢] فرأته زينب عليها السلام وكلّمته وهي بالقرب من المخيمّ ثم لما علمت بمقتل أخيها عادت إلى باب خيمة الإمام زين العابدين، أما ذهابها إلى جسد أخيها وقولها كلمتها المعروفة فقد كان بعد أن هدأت المعركة واطمأنت على سلامة ابن أخيها.

نعم، ذهبت زينب بعد سكون المعركة وصمت الأسنة وصهيل الخيل، فوقفت على جسد أخيها السليب، المحزوز الرأس، المبضّع بأسنة الكفر والضلال، المرضوض بخيول أعداء الله، فجلست عنده وقالت: "اللهم تقبّل منّا هذا القربان"...!

تُرى، أيُّ فناء في الله وإخلاص له سبحانه، وأيُّ صبر وجلادة تحمل هذه الإنسانة في جو انحها!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- مخيّم الحسين لا يبعد سوى بضع عشرات الأمتار عن موضع مقتله صلوات الله عليه.

شيء من مصائب يومها (يوم الحسين) لو نزل بأولياء الله وماتوا وجعاً وكمداً وألماً لما حق لأحد أن يلومهم، فما بالك بما شهدته وشاهدته زينب! لكنها مع هذا تتكابر على ألم الجراح وتقولها مدوية: "اللهم تقبل منّا هذا القربان"!

١- واضح أنّ الكلام بصيغة الجمع "اللهم تقبل منّا"؛ لأنّ الحسينَ حسينُ محمدٍ وعليٍ وفاطمة صلوات الله عليهم.

٢- لا شك أنّ مقام الحسين عليه السلام رفيع عند الله ولا يسبقه بالقرب من الله غير جده و أبيه وأمه عليهم السلام، ومن ثمَّ لا يتمكن أيُّ أحد من الوقوف على جسد الحسين ويقول هذ المقولة "تقبل منّا هذا القربان" إلا إذا كان بمستوى الحسين أو كان موصى بقولها في ذلك الموقف من "جهة" أعلى قدراً من الحسين، أو كان يجمع الاثنين معاً أعني أن تكون منزلته بمنزلة الحسين وموصى بقولها من جهة أعلى منه.

٣- القربان: ما ذُبح لوجه الله، ومنه حديث الرسول صلى الله عليه وآله: "الصلاة قربان كل تقي" [١] أي: يُتقرَّب بها إلى الله، الحسين ذُبح دفاعاً عن دين الله وفداء لحاكمية الله، فهو قربان الله وهو ذبيح الله!

لو قدّر لكلام أن يسافر بك إلى عوالم القرب الإلهي والرضا والتسليم له سبحانه لاحتلت كلمة زينب الخالدة هذه موقع الريادة والصدارة! والحقيقة، إنّ كلام زينب كانت مُستأمَنة عليه وموصاة بقوله في ذلك الموقف:

قال السيد أحمد الحسن: (الكلام لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله، هو أول من قاله، ومن ثم لعلي وفاطمة، وزينب سمعته منهم وموصاة منهم بقوله.

الرسول محمد صلى الله عليه وآله لما علم من الله أنّ الحسين هو الذبيح المقصود منذ بداية دين الله على هذه الأرض قال: "اللهم تقبّل منّا هذا القربان") انتهى [٢].

١- الكافي، الكليني: ٣ / ٢٦٥؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ٧ / ٢٨٨.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

زينب عليها السلام قالت ذلك بالرغم من أنّ ألمها على فقد أخيها لا يكاد تصفه الكلمات:

(عن عبد الله بن الفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشورا يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام؟ واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟

فقال: إنّ يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي، بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة. فلما قتل الحسين صلى الله عليه لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة) [١].

أمر آخر يبيّن عظمة العقيلة زينب بنت علي صلوات الله عليها، هو: إنّ المعروف عنها كثرة العبادة، ولم تقطع وردها وعبادتها حتى في ليلة الحادي عشر من محرم بالرغم من كل ما عاشته وشاهدته من مصائب ورزايا وآلام، لكنها كانت تؤدي صلاتها من جلوس بعد أن انهارت قواها بسبب أحداث يوم عاشوراء!

يقول الإمام علي بن الحسين عن عمّته في ليلة الحادي عشر من محرم: "رأيتها تصلي من جلوس" [٢]!

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٢٥ – ٢٢٦.

٢- انظر: شجرة طوبى، الحائري: ٢ / ٣٩٣؛ زينب الكبرى، النقدي: ٦٣.

آيات رافقت قتل الحسين(ع):

(وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة مظلمة سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يُرى فيها أثر عين ولا قدم حتى ظن القوم أنّه قد نزل بهم العذاب، فبقوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم) [١].

وهذه بعض الآيات التي رافقت ساعة قتل الحسين وسلبه صلوات الله عليه:

- انكساف الشمس وظلام حالك في منتصف النهار[٢].
- اسوداد السماء وهبوب تراب أحمر[٣].
- احمرار السماء لعدة أيام، بل أشهر[٤].
- مطرت السماء دماً ورماداً[٥].

١- الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ٥ / ١٣٧؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٤٢.

٢- "عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي". قال الهيثمي: "رواه الطبراني وإسناده حسن" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٧.

٣- "خلف بن خليفة عن أبيه قال لما قتل الحسين اسودت السماء وظهرت الكواكب نهارا حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الأحمر" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٦.

٤- "عن أم حكيم قالت قتل الحسين وأنا يومئذ جويرية فمكثت السماء أياما مثل العلقة". قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله إلى أم حكيم رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٦ – ١٩٧.

"روى سعد الإسكاف قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وقاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنا، ولم تحمر السماء إلا لهما" الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٣٢.

"عن ابن سيرين قال لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣١٢.

"الأسود بن قيس قال احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى ذلك في آفاق السماء كأنها الدم" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٥.

٥- "عن عمار بن أبي عمار، قال: أمطرت السماء يوم قتل الحسين عليه السلام دما عبيطا" الأمالي، الطوسي: ٣٣٠.

"مسلم بن إبراهيم قال: حدثتنا أم سوق العبدية، قالت: حدثتني نضرة الأزدية، قالت: لما أن قتل الحسين، مطرت السماء ماء، فأصبحت وكل شيء لنا ملآن دماً. "جعفر بن سليمان الضبعي: حدثتني خالتي قالت: لما قتل الحسين، مطرنا مطرا كالدم" سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣١٢.

- ما رفع في الشام حجر إلا وتحته دم، ومثله في بيت المقدس [١].
- ما نهب من رحل الحسين تحوّل إلى دم ونيران [٢].
- نوح الجن [٣].
- بعض ما حصل مع المشتركين أو الراضين بقتله [٤].

"عن سالم القاص قال: مطرنا أيام قتل الحسين دما" أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢٠٩. وروي بلفظ: "مطرنا دما يوم قتل الحسين" في: تفسير القرطبي: ١٦ / ١٤١؛ المحاضرات والمحاورات، السيوطي: ٧٩.

عن الحسن بن علي: "لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، ... فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، و انتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، و انتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رمادا ودما" الأمالي، الصدوق: ١٧٧ – ١٧٨.

"قال علي بن عاصم عن حصين: جاءنا قتل الحسين بن علي فمكثنا ثلاثا كأن وجوهنا طليت رمادا" تهذيب الكمال، المزي: ٦ / ٥٢٣.

١- "عن الزهري قال ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم". قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٦.

"عن الزهري قال قال لي عبد الملك أي واحد أنت ان أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت لم ترفع حصاة ببيت المقدس الا وجد تحتها دم عبيط فقال لي عبد الملك إني و إياك في هذا الحديث لقرينان". قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٦.

٢- "عن دويد الجعفي عن أبيه قال لما قتل الحسين انتهبت جزور من عسكره فلما طبخت إذا هي دم". قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٦.

"عن يزيد بن أبي زياد قال: قتل الحسين ولي أربع عشرة سنة، وصار الورس الذي كان في عسكرهم رمادا، واحمرت آفاق السماء، ونحروا ناقة في عسكرهم، فكانوا يرون في لحمها النيران" سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣١٣.

٣- "عن أم سلمة قالت سمعت الجن تنوح على الحسين ابن علي" قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٩.

"عن ميمونة قالت سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي". قال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٩.

٤ - "الربيع بن المنذر الثوري عن أبيه قال جاء رجل يبشر الناس بقتل الحسين فرأيته أعمى يقاد" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٧.

"قال السدي: أتيت كربلاء تاجرا، فعمل لنا شيخ من طي طعاما، فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين، فقلت: ما شارك أحد في قتله إلا مات ميتة سوء. فقال: ما أكذبكم، أنا ممن شرك في ذلك. فلم نبرح حتى دنا من السراج وهو يتقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه، فأخذت النار فيها، فذهب يطفئها بريقه، فعلقت النار في لحيته، فعدا،

تنبيهات:

الأول: روي بكثرة أنّ الحمرة لم تكن تُرى في السماء عند الشروق والغروب حتى قتل الحسين عليه السلام [١].

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذا الأمر، فقال: (الحمرة موجودة قبل مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ولكن بيّنت في "المتشابهات" أنها إشارة لدم علي والحسين عليهما السلام) انتهى [٢].

فألقى نفسه في الماء، فرأيته كأنه حممة أوفحمة" سيرأعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٣١٣؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢/ ١١١.

"عن سيار بن الحكم، قال: انتهبت الناس ورساً من عسكر الحسين، يوم قتل الحسين، فما تطيبت به امرأة إلا برصت" الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي: ٣٣٧.

١- منها: "حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال تعلم هذه الحمرة في الأفق مم هو فقال من يوم قتل الحسين بن علي" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤/ ٢٢٨؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣/ ٢١٢.

"عن محمد بن سيرين قال لم تكن ترى الحمرة في السماء حتى قتل الحسين بن علي" تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤/ ٢٢٨.

٢- من حوارخاص مع السيد أحمد الحسن.

وما أوضحه في "المتشابهات" هو بيان قوله تعالى: "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" الرحمن: ١٧، قال: (هما الحمرة المشرقية، والحمرة المغربية. تشيرالحمرة المشرقية إلى دم علي عليه السلام، والحمرة المغربية إلى دم الحسين عليه السلام، هذا في الأئمة عليهم السلام. أما في المهديين فتشير الحمرة المشرقية إلى دم أحد المهديين نظير علي عليه السلام، والحمرة المغربية تشير إلى دم أحد المهديين عليهم السلام أيضاً نظير الحسين عليه السلام. فهم مشرقان ومغربان، مشرق في الأئمة ومشرق في المهديين، ومغرب في الأئمة ومغرب في المهديين) المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال – ١٤١.

عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: "رب المشرقين ورب المغربين"، قال: (المشرقين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والمغربين الحسن والحسين، وفي أمثالهما تجري) تفسير القمي: ٢/ ٣٤٤.

الثاني: روي أنّ السماء بكت عند مقتل الحسين عليه السلام، ومعنى بكاء السماء: حمرتها [١].

الثالث: كل شيء حزن وبكى - بطريقته - لقتل الحسين صلوات الله عليه إلا الأمويين و أتباعهم، والسبب واضح أنهم أعداء لله ورسوله.

كان ابن زياد لعنه الله يخاطب زينب عليها السلام ويقول: "لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك" [٢].

أما تشفي يزيد لعنه الله بمقتل الحسين عليه السلام فواضح في أبياته [٣]:

لعبت هاشــم بالملـك فـلا	خبر جــاء ولا وحــي نزل
ليت أشياخـي ببـدر شهـدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلـوا واستهلـوا فرحـاً	ولقالـوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

١- "عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة ان السماء بكت على الحسين أربعين صباحا بالدم، وان الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد، وان الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وان الجبال تقطعت و انتثرت وان البحار تفجرت وان الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه" كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٦٧ – ١٦٨.

"عن عبد الله بن هلال، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان السماء بكت على الحسين بن علي ويحيى بن زكريا، ولم تبك على أحد غيرهما، قلت: وما بكاؤهما، قال: مكثوا أربعين يوما تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة، قلت: فذاك بكاؤهما، قال: نعم" كامل الزيارات، ابن قولويه: ١٨١.

"قال السدي: لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السّماء، وبكاؤها حمرتها" انظر: تفسير الطبري: ٢٥ / ١٦٠؛ تفسير الثعلبي: ٨ / ٣٥٣؛ تفسير البغوي: ٤ / ١٥٢؛ تفسير القرطبي: ١٦ / ١٤١.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٠؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٥.

٣- انظر: الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣٤؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠.

وما فعله برأس الحسين لا يصدر إلا من ناصبي ملعون: (ووضع الرأس بين يدي يزيد - لعنه الله - في طست فجعل ينكته على ثناياه بالقضيب وهو يقول:

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما) [١].

جريمة الأمويون بحق الحسين عليه السلام كان الرسول صلى الله عليه وآله على علم بها وأول من بكاها، وقد تقدم في روايات التمهيد [٢] ما يدل على ذلك، ولهذا كان بنو أمية أبغض الأحياء إليه:

(عن أبي برزة الأسلمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بنو أمية، وبنو حنيفة، وثقيف، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) [٣].

الرابع: هذه رؤى بعض المسلمين يوم مقتل الحسين صلوات الله عليه:

رؤيا أم سلمة: (عن زربن حبيش، عن سلمة، قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، فقلت: مالك يا رسول الله مغبراً؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً) [٤].

رؤيا ابن عباس: (عن ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئا قال قلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا قتل ذلك اليوم) [٥].

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠.

٢- في مطلع الجزء الأول، فراجع.

٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤ / ٤٨٠ – ٤٨١.

٤- العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٥٠٧.

٥- مسند أحمد: ١ / ٢٤٢، قال الهيثمي: " رواه أحمد والطبراني ورجاله أحمد رجال الصحيح" مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٤؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٤ / ٣٩٨، قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

حمل الرؤوس إلى الكوفة:

بعد مقتل الإمام الحسين صلوات الله عليه، حمل سنان بن أنس لعنه الله رأسه الشريف، فقيل له: قتلت أعظم العرب خطراً جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأتِ أمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً! فأقبل على فرسه حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ونادى:

أوقر ركابي فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما و أبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وروي: أنه انطلق به إلى عبيد الله وذكر أبياته أعلاه.

(وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي فجعل ينكت بالقضيب على فيه ويقول:

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فيه يلثمه) [١].

وبحسب بعض المؤرخين: فإنّ عمر بن سعد بعث الرأس الشريف إلى ابن زياد عصر يوم عاشوراء مع خولّي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي، وأمر برؤوس الباقين من أهل بيته وصحبه، وكانت اثنين وسبعين رأساً [٢]، فبعثها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٣.

٢- وهناك من يرى أنها كانت ثمانية وسبعين رأساً، في قبال من يرى أنها كانت سبعين رأساً؛ باعتبار أنّ بعض الأنصار - كالحر الرياحي - لم يقطع رأسه، كما سيتضح بعد قليل.

بن الأشعث وعمرو بن الحجاج لعنهم الله جميعاً، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد [١]. وهناك من يرى أنّ بقية الرؤوس رافقت ركب السبايا إلى الكوفة [٢].

ومهما يكن، فقد تنافست مجموعة من القبائل على حمل رؤوس الشهداء، وكلُّ قبيلة كانت تحمل مجموعة من الرؤوس [٣]، وواضح أنّ غايتهم هي التملّق إلى ابن زياد ويزيد لعنهما الله والطمع بنيل جائزتهما! ويا لها من دنيا وضيعة تُقتل فيها الفضيلة ويتنافس الوضعة فيها على كسب الرذيلة والعار المتمثل بحمل رؤوس أشرف الخلق!

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٣.

٢- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٩، قال: (و أقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين عليه السلام يومين، ثم أذن في الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح).

٣- اختلف المؤرخون في ذكر العدد الذي كانت تحمله كل قبيلة، فمثلاً:

قال السيد محمد بن أبي طالب: (وروي أنّ رؤوس أصحاب الحسين وأهل بيته كانت ثمانية وسبعين رأساً و اقتسمتها القبائل ليتقرّبوا بذلك إلى عبيد الله وإلى يزيد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر رأساً، وفي رواية ابن شهرآشوب بعشرين وصاحبهم شمر لعنه الله، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وفي رواية ابن شهرآشوب بتسعة عشر، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً وفي رواية ابن شهرآشوب بتسعة رؤوس، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاءت سائر الناس بثلاثة عشر رأساً، وقال ابن شهرآشوب وجاء سائر الجيش بتسعة رؤوس ولم يذكر مذحج، قال: فذلك سبعون رأساً) انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٦٢.

وقال الطبري والبلاذري: (قال أبو مخنف ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام جيء برؤوس من قتله معه من أهل بيته وشيعته و أنصاره إلى عبيد الله بن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث وجاءت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً وجاءت بنو أسد بستة أرؤس وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس فذلك سبعون رأسا) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٨؛ أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠٧.

أما الدينوري فقال: (و أقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين يومين، ثم آذن في الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح، وكانت اثنين وسبعين رأسا، جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأسا، وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس بن الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمس رؤوس مع عيهمة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأسا مع الوليد بن عمرو) الأخبار الطوال: ٢٥٩.

مَنْ قتل الحسين(ع)؟

"من قتل الحسين"؟ سؤال أجاب عنه المتعصّبون لبني أمية بمحاولة لصق الجريمة بأهل الكوفة وتبرئة أهل الشام، بل وصل الحال ببعضهم إلى تبرئة أميرهم يزيد بن معاوية لعنه الله من الجريمة [١]؟ في قبال الساعين إلى تبرئة الكوفيين تماماً ولو حساب التنكّر للحقائق الثابتة وإخلاء ساحتهم عن المشاركة بقتل الإمام الحسين بل عن أي تقصير بحجة أنّ الإمام خاطب من قاتله يوم عاشوراء ووصفهم بـ"شيعة آل أبي سفيان" [٢]!

إنّ التطرّف - ولا شك - سمة يتصف بها الطرفان على حد سواء، ونحن من جهتنا بحثنا هذه المسألة وأوضحنا الحق الذي نعتقد به [٣]، ونبحث الأمر هنا من زاوية أخرى بما يناسب المقام باختصار، فأقول:

١- نقل بعض المؤرخين روايات مكذوبة تُظهر - بحسب زعم رواتها - عدم رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام واعتبار ما حدث اجتهاداً من ابن زياد، مثلاً: ما روي من قول يزيد لعلي بن الحسين: (لعن الله ابن مرجانة أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن الله قضى ما رأيت ...) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٣ – ٣٥٤؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢.

قال ابن كثير الأموي: (قلت: يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر، وإتيان بعض الفواحش فأما قتل الحسين فإنه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه. وقد قدمنا أنه قال: لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مرجانة - يعني عبيد الله بن زياد - وقال للرسل الذين جاؤوا برأسه: قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا، ولم يعطهم شيئا، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه، وردهم إلى المدينة في محامل وأهبة عظيمة، وقد ناح أهله في منزله على الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك) البداية والنهاية: ٨ / ٢٥٤، ومثله قال ابن تيمية الحراني، انظر: مجموع الفتاوى: ٣ / ٤١٠.

لا شك أنّ ابن كثير وابن تيمية ومن على شاكلتهم، وقبلهم رواة هذه القصص المكذوبة، نواصب كذابون يميلون إلى بني أمية، ويحاولون جاهدين تنزيه يزيد المفضوح - لعنه الله - عن جريمة قتل سبط الرسول مع أنّ الواقع والنصوص المتواترة روائياً وتاريخياً يفضح كذبهم ونصبهم.

٢- تقدم هذا الوصف في بعض خطب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

٣- انظر: يوم الحسين - الجزء الأول، بحث: عدد الجيش وهويّته.

أولاً: في جرائم القتل، تلحظ جميع القوانين الوضعية علاقة السببية بوصفها ركناً أساسياً من أركان الجريمة المادية [١]، والسببية هنا تعني: أن يكون فعل الجاني سبباً في إزهاق نفس المجني عليه، وفي حال تعددت العوامل في حصول النتيجة فإنّ فقهاء القانون بحثوا علاقة السببية باهتمام بالغ ووسّعوا من دائرة السبب في بعض الحالات، أي لا يكتفي القانون بإسناد الجريمة إلى الجاني المباشر وإنما يسرّبه إلى كل العوامل التي ساهمت بمجموعها بحدوث الجريمة ووضعوا لمسألة تعدد العوامل معايير قانونية، أشهرها: معيار "تعادل الأسباب" ومعيار "السبب الملائم" [٢].

إذا اتضح هذا الأمر، وطبّقناه على الجريمة التي ارتكبت بحق الحسين وأهل بيته وصحبه في كربلاء، فلا شك سيكون السبب في قتل الإمام الحسين كل من:

١- يزيد بن معاوية لعنه الله، بوصفه الحاكم الآمر بالقتل [٣].
٢- عبيد الله بن زياد لعنه الله، بوصفه الوالي المنفّذ لأمر الحاكم.

١- وفق القوانين الوضعية فإنّ كل جريمة تتألف من ركنين: مادي ومعنوي، والركن المادي للجريمة يتألف من ثلاثة أركان هي: فعل الجاني، النتيجة التي حلّت بالمجني عليه، علاقة السببية بين الفعل والنتيجة.

٢- لدى القانونيين معايير متعددة في حال تعددت الأسباب في حدوث الجريمة، أشهرها معياران:

الأول: معيار تعادل الأسباب، بمعنى: أنّ الأسباب الموجبة لحدوث الجريمة تُلحظ بقيمة واحدة متساوية حتى وإن تفاوتت نسبة كل منها في حصول النتيجة "القتل"، وبالتالي فالنتيجة تكون مستندة إلى جميع تلك الأسباب، أي: كل سبب منها يكون مسؤولاً عن الجريمة طالما أنه كان سبباً ضرورياً في حصولها.

الثاني: معيار السبب الملائم، وهو معيار لا يساوي بين الأسباب وإنما يلحظ السبب الملائم بطبيعته لحصول النتيجة "القتل"، ووفق هذا المعيار فإنّ العوامل المألوفة لا تقطع علاقة السببية بين نشاط الجاني وبين النتيجة وفي حال تعددت العوامل يكون الجميع مسؤولاً عن النتيجة، بخلاف العوامل الشاذة فإنها تقطعها فيكون السبب الشاذ هو المسؤول عن النتيجة لا غير، فمثلاً: لو أطلق "س" النار على "ص" وأخذ إلى المستشفى وصادف أن احترقت الردهة ومات بسبب الحريق، فالموت حرقاً سبب غير مألوف لعملية إطلاق النار، وبالتالي فلا يكون حكم مطلق النار في هذه الحالة "القتل" وإنما هو "الشروع بالقتل"؛ بسبب توسط السبب الشاذ "الحريق" الذي قطع علاقة "س" بموت "ص"، بخلاف ما لو كان السبب خطأ الطبيب - مثلاً - فإنه لما كان عاملاً مألوفاً ويتوقع حصوله فسيكون هو مع إطلاق النار سببين مسؤولين عن حصول عملية وفاة "ص"، بخلاف معيار تعادل الأسباب فإنّ الوفاة تنسب إلى كل الأسباب سواء كانت أسباباً مألوفة أو غير مألوفة "شاذة".

٣- عرضنا في بحوث الجزء الأول الكتب الرسمية الصادرة من يزيد لعنه الله لولاته في الحجاز والعراق التي تتعلق بالتعامل مع الحسين عليه السلام وخلاصتها: تخييره بين البيعة أو القتل، وأوضحنا أنّ واحدة من أسباب عزل الوليد بن عتبة عن ولاية المدينة هي تأخره في قتل الحسين عليه السلام.

٣- عمر بن سعد لعنه الله، بوصفه القائد العسكري المباشر والمنفذ لأمر الوالي [١].
٤- الجيش الأموي، بقادته ومقاتليه، بوصفهم أداة السلطة والقوة الضاربة بيد قيادة الجيش.

لا شك أنّ امتثال ابن زياد لأمر يزيد أو امتثال ابن سعد لأوامر ابن زياد أو امتثال الجيش لأوامر ابن سعد سياق حكومي وعسكري مألوف ومتّبع في جميع البلدان قديماً وحديثاً، بل قانون جميع الدول يعاقب على التخلّف عن الامتثال ويعتبره خيانة عظمى تصل عقوبتها حد الإعدام أحياناً، وبالتالي فاشتراك يزيد - فضلاً عن ابن زياد [٢] - واعتباره سبباً في جريمة القتل ثابت سواء اعتمدنا نظرية السبب الملائم الذي يتعامل مع الأسباب المألوفة فقط (ولا شك أنّ امتثال القيادة السياسية والعسكرية للحاكم هو سبب مألوف)، فضلاً عن نظرية تعادل الأسباب التي تعتبر كل العوامل أسباباً في الجريمة سواء كانت مألوفة أو غير مألوفة.

١- بخصوص أمر ابن زياد لعمر بن سعد لعنهما الله بقتل الحسين صلوات الله عليه، فقد كان بكتاب رسمي، حتى إنه بعد مقتل الحسين طالبه بالإتيان بالكتاب فاعتذر ابن سعد بضياعه:

قال ابن الأثير: (ثم إنّ ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين: يا عمر ائتي بالكتاب الذي كتبته إليك في قتل الحسين قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب قال: لتجئني به قال: تُرك والله يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهن أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدّيت حقه فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن الحسين لم يقتل فما أنكر ذلك عبيد الله بن زياد) الكامل في التاريخ: ٤ / ٩٣ – ٩٤.

ثم خرج ابن سعد لعنه الله من مجلس ابن زياد وهو يقول: "ما رجع أحد إلى أهله بشرّ مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة" انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١١؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٣. ورواه الدينوري أيضاً، قال: (وروي عن حميد بن مسلم قال: كان عمر بن سعد لي صديقا، فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين، فسألته عن حاله، فقال: "لا تسأل عن حالي، فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعت به، قطعت القرابة القريبة، وارتكبت الأمر العظيم") الأخبار الطوال: ٢٦٠.

٢- ركّزت الحديث على يزيد لعنه الله؛ باعتبار أني لم ألحظ أحداً من المؤرخين والباحثين يخلي مسؤولية ابن زياد لعنه الله عن قتل الحسين صلوات الله عليه.

ثانياً: شبيه بهذه الفكرة نجده في النصوص الدينية أيضاً، فالقرآن الكريم في مسألة قبض الأرواح - مثلاً - يذكر أكثر من سبب، فتارة ينسبه إلى الله سبحانه وأخرى إلى ملك الموت وثالثة إلى الملائكة، فالنتيجة واحدة لكن الأسباب متعددة، قال تعالى:

- "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا" الزمر: ٤٢.
- "قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" السجدة: ١١.
- "وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" الأنفال: ٥٠.

بالتأكيد لا منافاة بين الآيات طالما أنّ المصدر والمستقى واحد وهو الله، وملك الموت "عزرائيل" يعمل بأمره سبحانه، كما أنّ الملائكة تعمل بأمر ملك الموت، وبالنتيجة فإنّ المتوفي الحقيقي في الجميع هو الله.

يقول السيد أحمد الحسن: (فالله سبحانه وتعالى يتوفى الأنفس؛ لأنه الخالق المهيمن على جميع العوالم المحي والمميت، وملك الموت (عزرائيل عليه السلام) يتوفى الأنفس؛ لأنه قائد لملائكة الموت، والملائكة يتوفون الأنفس؛ لأنهم المنفذون لأمر ملك الموت المنفذ لأمر الله سبحانه) [١].

ويقول أيضاً: (وفي كل الأحوال إذا توفى الأنفس الملائكة، أو ملك الموت، فالمتوفي الحقيقي هو الله) [٢].

ولأنّ ما طرحه القرآن الكريم تجري فكرته بخصوص موضوعنا أيضاً، وجدنا الروايات تارة تنسب قتل الحسين إلى يزيد، وأخرى إلى ابن سعد، وثالثة إلى شمر بن ذي الجوشن، وأحياناً إلى الجيش الأموي أو بعض المشتركين فيه، والكل صحيح كما عرفنا.

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال – ١٠٦.

٢- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال – ١٨١.

ثالثاً: بالنسبة إلى اشتراك الجيش الأموي في الجريمة، فقد عرفنا سابقاً أنّ الجيش مؤلّف من أقليّة كوفية، وأكثرية غير كوفية (أغلبهم من الشام). أما الأكثرية الشامية فواضح أنّ سيرتهم كانت قائمة على نصب العداء لآل محمد، ولذلك فإنهم يعتبرون يوم عاشوراء فرصة مُنحت لهم للقضاء على آل الرسول، ولهذا كانت أحداث مخيم الحسين بشعة جداً؛ لأن أغلب المشتركين فيها كانوا من أهل الشام. ولما كان الأغلبية شاميون ويميلون لآل أبي سفيان خاطبهم الحسين يوم عاشوراء بـ"شيعة آل أبي سفيان" [١]!

أما الأقلية الكوفية في الجيش؛ فمنهم: أهل الأطماع والأهواء من الانتهازيين والمرتزقة والفسقة المتملّقين للسلطة الظالمة، وكل قادة الجيش - من الكوفيين - كانوا يتصفون بجميع هذه الرذائل، أمثال: عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وعمرو بن الحجاج، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وسنان بن أنس، وخولي بن يزيد، وقيس بن الأشعث، وحرملة بن كاهل، وحكيم بن طفيل وغيرهم الكثير، وأيضاً: هذه الرذائل - أو بعضها - كانت صفة جميع المقاتلين المشتركين فعلياً في قتال الحسين. وبعض القادة أو المقاتلين اتصف أيضاً برذيلة كونه أموي الهوى والمشرب كعمر بن سعد وقيس بن الأشعث وغيرهم من بعض القادة أو المقاتلين.

ومنهم: المُكرَهون الذين خرجوا لقتال الحسين خوفاً من السلطة، وقليل جداً منهم مال إلى معسكر الحسين عليه السلام والتحق به كما عرفنا سابقاً، وبقي أغلبية المكرهين ضمن الجيش الأموي، وهؤلاء - على أي حال - كانوا ممن كثر السواد على الحسين عليه السلام حتى وإن رجع كثير منهم إلى مؤخرة الجيش ولم يشترك بحربه وقتله فعلياً.

وهكذا نرى أنّ من اشترك بحرب الحسين وقتله فعلياً غالبيتهم العظمى من أهل الشام وبعض الكوفيين المعروفين: إما بولائهم لبني أمية، أو الفسقة والمرتزقة المتملّقين من أهل الطمع والأهواء والضلال، وأكيد معهم بعض من كانوا يُحسبون على محبي آل محمد، وهؤلاء - كما قلت - خرجوا مكرهين وكثير منهم لم يكونوا راضين بقتل الحسين

١- بل يصدق هذا الوصف حتى على الأقلية الكوفية؛ خصوصاً من اشترك منهم في القتال؛ لأنّهم بعد اصطفافهم مع الشاميين في قتال الحسين صار يصح وصفهم بأنهم شيعة لآل أبي سفيان حتى وإن لم يكونوا معروفين بأنهم من شيعتهم قبل ذلك.

وبعضهم ربما لم يكن يتوقع أن يصل الحال إلى قتله، لكن من غير الصحيح إخلاء ساحتهم عن الجريمة سواء اشتركوا بالقتال وشهروا سيوفهم فعلياً بوجه الحسين أو لم يشتركوا؛ لأنهم - بالنتيجة - ساهموا بإكثار السواد عليه.

(٢)

ركب آل الرسول في الكوفة

الزمان: ١١ محرم ٦١ هـ

بعد مقتل الإمام الحسين وخلوّ ركبه المقدس من الرجال - غير الإمام العليل علي بن الحسين - تصدّرت السيدة زينب مشهد قيادة الركب فوضعت نصب عينيها ثلاثة أمور:

- المحافظة على حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.
- جمع نساء وأطفال الركب الحسيني والمحافظة عليهم.
- البدء بنشر هدف الثورة الحسينية وفضح جريمة الأمويين لعنهم الله.

بالنسبة للمحافظة على حياة الإمام علي بن الحسين، فهي من أهم المهام المناطة بزينب عليها السلام؛ لارتباطها بمسألة ديمومة الإمامة وحفظ استمرار حاكمية الله التي يقوم عليها الدين الإلهي، فقد أكد محكم القرآن والسنة [١] - على أنّ الأرض لا تخلو من هادٍ وحجة إلهي يقطع الله به عذر خلقه ولا تكون لأيٍّ منهم حجة عليه؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقد اقتضت مشيئة الله سبحانه أن يكون حفظ الهادي والحجّة الإلهي في هذا العالم بالأسباب الطبيعية؛ الأمر الذي يؤكد صعوبة مهمة زينب عليها السلام وثقلها، لكنها - بتوفيق الله لها - أدّت المطلوب منها بنجاح تام، فوصل الإمام علي بن الحسين إلى مدينة الرسول سالماً ونجّاه الله من القتل، وهذا يعني أنّ مسيرة الدين الإلهي بعد الحسين مدينة لمواقف وتضحيات هذه السيدة الجليلة دون أدنى شك.

١- قال تعالى: "إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" الرعد: ٧، وقال الإمام الصادق عليه السلام: "ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجة، يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله" الكافي، الكليني: ١ / ١٧٨.

مسير الركب إلى الكوفة:

أقام ابن سعد لعنه الله بقية يوم عاشوراء في كربلاء، وفي اليوم الحادي عشر أمر بتجهيز قتلى جيشه ودفنهم، وبقي جسد سبط رسول الله وريحانته وأجساد أهل بيته وصحبه مطروحة على رمضاء كربلاء بلا رؤوس ولا غسل ولا كفن ولا دفن؛ تسفي عليها الرياح والرمال وتلسعها حرارة الشمس اللاهبة!

وعند زوال اليوم الحادي عشر من محرم عام ٦١ هـ أمر اللعين مناديه بالرحيل من كربلاء إلى الكوفة.

- (وساق القوم حُرَم رسول الله من كربلاء كما تُساق الأسارى) [١].
- (وحمل أهله أسرى) [٢]، أي: أهل الحسين عليه السلام.
- (وساقوهم كما يساق سبي الروم) [٣].
- "وسبي أهلك كالعبيد، وصفدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيّات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق" [٤].

لكن بعض المؤرخين - ولأسباب معروفة - ذكر أنّ ابن سعد حمل عائلة الحسين على محامل مستورة، أو أنه كان يحافظ عليهم ويكلؤهم [٥].

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٠.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٧٩.

٣- انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١ / ٦١٣.

٤- مقطع من زيارة الناحية المقدسة.

٥- انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٥٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١٠.

مرور الركب بأرض المعركة:

أذِنَ ابن سعد لعنه الله للركب بالمرور على أرض المعركة ورؤية الشهداء وتوديعهم.

نقل ابن طاووس عن بعض الرواة: (قال: فوالله لا أنسى زينب بنت علي عليه السلام وهي تندب الحسين وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: وا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى وإلى حمزة سيد الشهداء، وا محمداه هذا حسين بالعراء، يسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، يا حزناه يا كرباه، اليوم مات جدي رسول الله، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا.

وفي بعض الروايات: يا محمداه بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عليهم ريح الصبا، وهذا حسين مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من عسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطع العرى، بأبي من لا هو غائب فيرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جده رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبي الهدى، ..... قال: فأبكت والله كل عدو وصديق. ثم إنّ سكينة اعتنقت جسد الحسين عليه السلام، فاجتمع عدة من الاعراب حتى جرّوها عنه) [1].

ومسألة مرور الركب بأرض المعركة ورؤية الحسين وبقية الشهداء، وأيضاً كلام السيدة زينب عليها السلام أعلاه ذكرها مؤرخون كثر [2].

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٥٨ – ٥٩؛ المعالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٣٠٣.

٢- منهم: الطبري في تاريخه: ٤ / ٣٤٨ – ٣٤٩؛ البلاذري في "أنساب الأشراف": ٣ / ٢٠٦؛ ابن الأثير في "الكامل في التاريخ": ٤ / ٨١؛ ابن كثير في "البداية والنهاية": ٨ / ٢١٠.

زينب(ع) تواسي ابن أخيها السجاد بحديث أم أيمن:

(عن قدامة بن زايدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: بلغني يا زايدة أنك تزور قبر أبي عبد الله عليه السلام أحياناً؟ فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك، فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا، والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إن ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً و أقولها ثلاثاً فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزونة.

إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وساير أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا، فيعظم ذلك في صدري، ويشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى، فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي و أبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصرعين بدمائهم مرملين بالعراء، مسلبين لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جدك و أبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً.

فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت: حدثتني أم أيمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام، فعملت له حريرة صلى الله عليهما، و أتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك

الحريرة، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده وعلي عليه السلام يصب عليه الماء.

فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظرا عرفنا فيه السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليّاً ثم وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثم خر ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحيبه، وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك، قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك، فقد أقرح قلوبنا ما ترى من حالك؟

فقال: يا أخي سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط و إني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم، إذ هبط علي جبرئيل فقال يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك و ابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّاك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يُحبَون كما تُحبى، ويُعطَون كما تُعطى، حتى ترضى وفوق الرضا، على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك خبطا خبطا، وقتلا قتلا، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم، ولك فيهم، فاحمد الله عزوجل على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال جبرئيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقى البرية، نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم. وإن سبطك هذا وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفني حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحاء الجنة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الأرض من

أقطارها، ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما تكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار من فيهن: إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي، وانتهك حرمته وقتل عترته، ونبذ عهده وظلم أهله عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين، بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد، مملوءة من ماء الحياة، وحلل من حلل الجنة، وطيب من طيب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب وصلى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم. ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية، فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: "هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء" فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الابصار، يدل عليهم ويعرفون به. وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل وعلي أمامنا، ومعنا من ملائكة الله مالا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق، حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله عز وجل وسيجد أناس حقت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهذا أبكاني وأحزنني، قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه، قلت له يا أبه حدثتني أم أيمن بكذا وكذا. وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد، أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً، فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة، ما لله على الأرض يومئذٍ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم.

ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبرنا بهذا الخبر: أن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته، فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم السوء إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وبأوليائهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه" وهو كذوب إنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك، وأما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً) [١].

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٢٨ / ٥٦ – ٦١.

دخول الركب إلى الكوفة:

في مثل حالة عدو غشوم وحقود ومبغض لآل الرسول، كحالة الأمويين الأرجاس، من الطبيعي أن يختار ابن سعد – ومن قبله ابن زياد – وقتاً مناسباً لدخول الجيش الذي يحمل سبايا آل الرسول إلى الكوفة، وأكيد أنّ النهار وقت يلبّي نشوة الزهو والظفر (الظاهري) الذي كان يملأ صدري هذين المجرمين، ولما كان ابن سعد لعنه الله تحرك بالجيش بمعيّة ركب السبايا المأسور في زوال يوم الحادي عشر من المحرم من كربلاء، فمن الأرجح أن يكون وصول الركب إلى الكوفة في نهار يوم الثاني عشر من محرم عام ٦١ هـ.

اتخذ ابن زياد لعنه الله إجراءات احترازية تحسباً من ردود الأفعال [١]، فأصدر أوامره بنشر قواته العسكرية في شوارع الكوفة ومداخلها، كما أمر بجعل رؤوس الشهداء وسط المحامل أمام النساء، وكذلك أمر أن يُطاف بالركب في الشوارع والأسواق؛ إمعاناً في أذى آل الرسول وأيضاً لتخويف الناس وإرهابهم كما يفعل جميع الطغاة والظلمة عادة. وبخصوص رأس الحسين صلوات الله عليه، فقد أمر اللعين ابن زياد برفعه على رمح طويل والطواف به في سكك الكوفة وقبائلها [٢].

أما أهل الكوفة فقد خرجوا (بين باكٍ بخفاء وهو موقف المحب الخاذل، وبين المعلن بسروره وهو موقف العدو المبغض، وبين من لا يعنيه الأمر شيئاً سوى حب الاستطلاع على طريقة حشر مع الناس عيد) وتراكضوا إلى حيث طريق مرور الركب لرؤية من فيه وتصفّح وجوه الأسارى المحمولين على أقتاب الجمال، وقد أنهكهم التعب، وأعياهم البكاء، وعلاهم الحزن والألم على فقد سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وصحبه:

١- العارف بطبيعة أحداث ثورة الإمام الحسين والمطلع على موقف أهل الكوفة منها، لا يتوقع إطلاقاً حدوث أي ردود أفعال عاجلة على مقتل الحسين وأهل بيته وصحبه، ومن ثمَّ فيمكننا أن نفسّر الإجراءات التي قام بها ابن زياد عند دخول الركب الزينبي الكوفة أنها كانت نتيجة الخوف الذي يراود الطغاة دائماً ولا يفارقهم أبداً.

٢- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٧؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٤ / ٦١.

عن حذلم بن بشير [١] قال: (قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين [عند] منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة من كربلاء ومعهم الأجناد محيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أُقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين ويلتدمن، فسمعت علي بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: ألا إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟) [٢].

قول الإمام علي بن الحسين: "ألا إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟"، يؤكد اشتراك كثير من أهل الكوفة بقتل الحسين صلوات الله عليه سواء بالاشتراك الفعلي في الحرب عليه أو بتكثير السواد عليه ضمن الجيش الأموي.

واضح من خلال النصوص والروايات التاريخية أنّ الأمويين لعنهم الله بالغوا في إيذاء عيال الحسين بطريقة تؤلم من يستمع لها [٣] فضلاً عمّن عاشها:

١- كانت العرب تضع نوع من الفراش على الجمال عندما تريد السفر بها، لكن عيال الحسين حُملوا على الجمال بلا وطاء "فراش"!
٢- ساروا بهم وهم محاطون بجنود الجيش الأموي، وطافوا بهم شوارع الكوفة وأسواقها والناس تتفرج عليهم!
٣- قيّدوا يدي الإمام علي بن الحسين ووضعوا الجامعة في عنقه مع كونه مريضاً!

١- في بعض المصادر: ستير.

٢- الأمالي، المفيد: ٣٢١؛ الأمالي، الطوسي: ٩١. ومسألة بكاء بعض الكوفيين رواها مؤرخون كثر، منهم:

- ابن أعثم الكوفي: (وساق القوم حرم رسول الله من كربلاء كما تُساق الأسارى! حتى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون قال: وعلي بن الحسين في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول: ألا! إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا) الفتوح: ٥ / ١٢٠ – ١٢١.

- اليعقوبي: (وحملوهن إلى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين! فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكين! فمن قتلنا) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٥.

٣- ولا أقول: "من شاهدها"، فألم المشاهد - خصوصاً الكوفي - لا قيمة حقيقية له بعد خذلان أهل الكوفة العام للحسين عليه السلام واشتراك بعضهم - ضمن الجيش الأموي - إما بقتله أو تكثير السواد عليه.

٤- طافوا برأس الحسين صلوات الله عليه سكك الكوفة وقبائلها، وكانت رؤوس أنصاره (أهل بيته وصحبه) تسير أمام الركب الزينبي!

"... ورفع على القنا رأسك، وسبي أهلك كالعبيد، وصفّدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيّات، تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق" [١].

وروي: أنّ امرأة من الكوفيات أشرفت من سطح بيتها على الركب فقالت: من أيّ الأسارى أنتن؟ فقلن: نحن أسارى آل محمد! فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء وأزراً ومقانع وأعطتهن فتغطين [٢].

حقيقةً، إني لأعجب من هذه القسوة في الانتقام من آل الرسول، و انعدام الرحمة في التعامل معهم تماماً من قبل هؤلاء الوحوش! ليتهم عاملوهم كما عامل الرسول صلى الله عليه وآله أسرى بدر بالرغم من كفرهم بالله ورسوله وقد خرجوا لقتل رسول الله ومحو دينه ورسالته [٣]! بينما عيال الحسين لم يكفروا بالله ورسوله أيّاً كانت نظرة من يزعم أنه مسلم لهم! اللهم إلا أن يكون ما جرى عليهم قد صدر ممّن لم يؤمن بالله ورسوله طرفة عين بل ويريد الثأر من محمد صلى الله عليه وآله على كسره كبرياء قريش وتمريغ أنوف طغاتها وقتل بعض عتاتها وجبابرتها في حروبه الدفاعية التي فرضوها عليه، فكانت كربلاء فرصة للثأر [٤]!

١- مقطع من زيارة الناحية المقدسة.

٢- انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٩١.

٣- عن أبي عزيز بن عمير، قال: (كنت في الأسارى يوم بدر، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: استوصوا بالأسارى خيراً. فإن كان ليقدم إليهم الطعام فما تقع بيد أحدهم كسرة إلا رمى بها إلى أسيره، ويأكلون التمر. فكنت أستحي فآخذ الكسرة فأرمي بها إلى الذي رمى بها إلي، فيرمي بها إلي) تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢ / ١١٩.

٤- هذا الأمر يؤكده تمثل يزيد لعنه الله بأبياته الشهيرة ورأس الحسين موضوع أمامه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستهلوا واستطاروا فرحا ولقالوا يا يزيد لا تشل
ما أبالي بعد فعلي بهمُ نزل الويل عليهم أم رحل

هذا هو التفسير المنطقي الوحيد الذي يفسّر صنيع الأمويين بالحسين وأهل بيته وعياله. وحقيقةً، لا أعرف كيف يسمح مسلم لنفسه أن يسمّي هؤلاء (الأمويون و أتباعهم) مسلمين أو يعتقد بإسلامهم أصلاً، فضلاً عن أن يذكرهم بخير أو يترضّى عليهم أو يبرر أفعالهم القبيحة ويدافع عنهم كالوهابيين النواصب؟! ولا أدري أيُّ إسلام يعتقد به الأمويون وهم يفعلون كل هذا الإجرام بعترة رسول الإسلام وذريته (أبنائه وبناته)؟!

قال سهل بن حبيب الشهرزوري: (كنت قد أقبلت في تلك السنة، أريد الحج إلى بيت الله الحرام، فدخلت الكوفة، فوجدت الأسواق معطلة، والدكاكين مغلقة، والناس مجتمعون خلقاً كثيراً، حلقاً حلقاً، منهم من يبكي سراً، ومنهم من يضحك جهراً. فتقدمت إلى شيخ منهم، وقلت له: يا شيخ ما نزل بكم، أراكم مجتمعين كتائب، ألكم عيد لست أعرفه للمسلمين؟ فأخذ بيدي، وعدل بي ناحية عن الناس، وقال: يا سيدي مالنا عيد، ثم بكى بحرقة ونحيب. فقلت: أخبرني يرحمك الله، قال: بسبب عسكرين، أحدهما منصور، والآخر مهزوم مقهور. فقلت: لمن هذان العسكران؟ فقال: عسكر ابن زياد وهو ظافر منصور، وعسكر الحسين بن علي - عليهما السلام - وهو مهزوم مكسور، ثم قال: وا حرقتاه أن يدخل علينا رأس الحسين، فما استتم كلامه إذ سمعت البوقات تضرب، والرايات تخفق، قد أقبلت فمددت طرفي، وإذا بالعسكر قد أقبل ودخل الكوفة. .....

قال سهل بن حبيب: فوقفوا بباب بني خزيمة ساعة من النهار، والرأس على قناة طويلة، فتلا سورة الكهف، إلى أن بلغ في قراءته إلى قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" قال سهل: والله إنّ قراءته أعجب الأشياء، .....

فلما ارتفعت وسكت الرأس، رجع عبيد الله بن زياد، وجلس في مجلسه، ودعا بالرأس، فاحضر بين يديه وهو في طست من الذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه،

لست من خندف إن لم انتقم — من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من أبنائهم — وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا — خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل

انظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٩١. وخندف: نسبة إلى القبائل الخندفية أو ما تسمى بـ "مضر الحمراء" التي تنتسب إلى إلياس بن مضر بن معد بن عدنان وزوجته خندف وهي ليلى بنت حلوان بن عمران، وبنو خندف عدة قبائل منها: قريش وهذيل وكنانة.

وينكتها، ويقول: قد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله. فقال له رجل من القوم: مه فإني [رأيت] رسول الله - صلى الله عليه وآله - يلثم حيث تضع قضيبك، فقال: يوم بيوم بدر، وأراد أن يصلبه في الكوفة، فخشي أن يتكلم عليه بكلام آخر) [١].

وعن: (حاجب عبيد الله بن زياد، أنه لما جيء برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله. فقال رجل من القوم: مه، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثم حيث تضع قضيبك. فقال: يوم بيوم بدر.

ثم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغُلَّ، وحُمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء، يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا في سجن وطبق عليهم) [٢].

قول اللعين: "يوم بيوم بدر" يؤكد ما ذكرناه قبل قليل من أنّ صنيع الأمويين بالحسين وعياله كان ثأراً من الرسول صلى الله عليه وآله.

(عن مسلم الجصاص، قال: دعاني ابن زياد عليه اللعنة لإصلاح دار الامارة بالكوفة، فبينا أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضج؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي عليه السلام، قال: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهبا، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر و أتيت إلى الكناس. فبينما أنا و اقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة، وإذا بعلي بن الحسين عليهما السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً، .....

١- مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٤ / ١٢٤.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢٢٩.

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال و أفواههم وترمي به إلى الأرض، قال: كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم.

ثم إنّ أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: "صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء"، فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبج قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بخرقة وجعلت تقول: يا هلالا لما استتم كمالا * غاله خسفه فأبدا غروبا .....) [1].

وروى جديلة الأسدي ما يشبه رواية الجصاص لكن بشكل مختصر [2].

كما روي أنّ أطفال الركب رموا ما بأيديهم و أفواههم من طعام لما سمعوا كلام عمّتهم أم كلثوم [3].

1- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١١٤؛ العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٣٧٣.

2- قال: (كنت في الكوفة سنة قتل الحسين، فرأيت نساء أهل الكوفة وهنّ مشقّقات الجيوب، ناشرات الشعور، لاطِمات الخدود، فأقبلت إلى شيخ كبير وقلت له: ما هذا البكاء والنحيب؟ فقال: من أجل رأس الحسين، فبينما أنا كذلك وإذا بالعسكر قد أقبل والسبايا معه، ثمّ أخذ أهل الكوفة يطعمون الأطفال بعض التمر والجوز، فصاحت أمّ كلثوم: إنّ الصدقة علينا حرام أهل البيت، وجعلت تأخذه من أيدي الأطفال وترمي به، فضجّت النّاس بالبكاء والنحيب، فقالت أمّ كلثوم: تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، لقد تعديتم علينا عدواناً وظلماً عظيماً، جئتم شيئاً فرياً، تكاد السماوات يتفطّرنَ، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً) مقتل الحسين، أبو مخنف: ١١٠.

3- انظر: مقتل الحسين، أبو مخنف: ١١٠؛ نفس المهموم، عباس القمي: ٢١٣.

فائدتان:

الأولى: مسألة منع أم كلثوم عليها السلام الأطفال عن تناول الطعام الذي أُعطي لهم وهم على المحامل، وقع البحث فيها من قبل جملة من الباحثين، فمعلوم أنّ الصدقة على نحوين: واجبة كالزكاة مثلاً، ومستحبة، وبحسبهم: فإنّ المحرّم على أهل البيت هو الصدقة الواجبة دون المستحبة، ومن هنا صاروا بصدد توجيه ما فعلته أم كلثوم، فذهب بعضهم إلى أنّ المنع كان على سبيل الكراهة وليس منع تحريم، وأضاف آخرون: إنها أرادت إلفات نظر الكوفيين إلى أنّ سبايا الركب ليسوا أيَّ ناس و إنما هم آل الرسول وبالتالي إلفاتهم إلى عظم جريمة الأمويين [١]!

عموماً، سألت السيد أحمد الحسن عن علة المنع، فقال:

(لا يجوز التصدّق على المعصوم وعائلته، وسبايا كربلاء هم عائلة الرسول وعلي وفاطمة والحسين، وعلي بن الحسين بينهم).

ولزيادة التوضيح، قال: (التصدّق على المعصوم غير جائز من الدافع، أي: لا يجوز أن يدفع مالاً للمعصوم بنيّة الصدقة، هل ترى في شيء روي أنّ رسول الله أو أحد المعصومين أخذ صدقة من أحد؟ وحتى الصدقة الواجبة - كالزكاة - لا يأخذونها. نعم، الخمس واجب في أموال الناس وهو بمقام الضريبة، والباقي يمكن أن يوصل المعصوم بهدية، أما صدقة فلا!

طبعاً، غير معلوم أنّ الناس كانوا يتصدّقون على عائلة الحسين ... إلخ، لكن الحال كان بصورة الصدقة، لهذا تمَّ رفضه. يعني يمكن أن يُهدى الطعام، وربما كانت نيّة بعضهم الهدية، وربما كان من أفضل ما لديهم ويقصدون الهدية والصلة ... إلخ، لكن الحال يظهر كأنه صدقة، كانوا أسارى يُجرَّون إلى الحاكم!) انتهى [٢].

١- انظر على سبيل المثال: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، محمد جعفر الطبسي: ٥ / ٩٧ – ٩٨.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الثانية: ورد في رواية الجصاص المتقدمة - وغيرها أيضاً - ذكر سيدتان طالبيتان في ركب أسارى آل محمد، هما: زينب وأم كلثوم، فهل هما شخصية واحدة، أم شخصيتان؟ وبكلمة أخرى: هل كان لدى علي وفاطمة عليهما السلام بنت واحدة اسمها زينب، أم بنتان: زينب وأم كلثوم؟

اختلف الباحثون في المسألة على قولين: فمنهم من قال إنها شخصية واحدة اسمها زينب وكنيتها أم كلثوم [١]، ومنهم من يرى أنهما شخصيتان وهو المشهور[٢].

يقول السيد أحمد الحسن في هذا الصدد:

(هما اثنتان، زينب الكبرى وزينب الصغرى، والصغرى هي التي تكنّى أم كلثوم) [٣].

وهو الأكثر رواية [٤].

١- استناداً إلى بعض المرويات، مثل ما روي: "عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام، قال: إن فاطمة عليها السلام لما احتضرت أوصت عليا، فقالت: إذا أنا مت فتول أنت غسلي، وجهزني، ... و أنا أستودعك الله تعالى وأوصيك في ولدي خيراً، ثم ضمت إليها أم كلثوم، فقالت له: إذا بلغت فلها ما في المنزل، ثم الله لها، فلما توفيت فعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام" الأنوار البهية، عباس القمي: ٦٠.

٢- قال المفيد: (فأولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه سبعة وعشرون ولدا ذكرا و أنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة أم كلثوم، أمهم فاطمة البتول سيدة نساء العالمين) الإرشاد: ١ / ٣٥٤.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٤- هذا مثال للروايات: "عن حماد بن عثمان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار"؟ فقال: المعتقون من النار هم ولد بطنها: الحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم" معاني الأخبار، الصدوق: ١٠٧.

رأس الإمام الحسين(ع) في الكوفة:

الرأس الشريف يسبق الركب في دخول الكوفة:

ذكرنا أنّ عمر بن سعد لعنه الله بعث برأس الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله إلى ابن زياد لعنه الله عصر يوم عاشوراء مع خولّي بن يزيد وحميد بن مسلم. فأقبل به خولي لعنه الله وأراد القصر فوجده مقفلاً فأخذ الرأس معه إلى منزله فوضعه تحت إجّانة (إناء تغسل فيه الثياب)، وكانت له زوجة أسدية وأخرى حضرمية اسمها النوار بنت مالك، قالت:

(أقبل خولّي برأس الحسين فوضعه تحت إجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له ما الخبر ما عندك قال جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار قالت فقلت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا قالت فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الأسدية فأدخلها إليه وجلست أنظر قالت فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ورأيت طيرا بيضا ترفرف حولها) [١].

ثم ذهب به إلى ابن زياد لعنه الله في الصباح.

وأيضاً: أمر اللعين ابن زياد أن يُطاف بالرأس الشريف شوارع الكوفة وسككها وقبائلها، كما أنه لعنه الله أمر بصلبه في ساحة الصيارف بالكوفة بحسب المؤرخين وسيأتي عرض نصوصهم بعد قليل.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨.

وقد روي أنّ رأس الحسين صلوات الله عليه أول رأس رُفع على رمح أو خشبة في الإسلام [١]، و أيضاً: أول رأس محمول، وقيل: هو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام الذي حمل من الموصل إلى الشام [٢]<

ويمكن الجمع بين النصوص والآراء بالقول: أول رأس يُحمل من بلد إلى بلد هو رأس عمرو بن الحمق رضوان الله عليه، لكن رأس الحسين صلوات الله عليه هو أول رأس في الإسلام يُرفع على خشبة أو رمح طويل!

بماذا نطق الرأس الشريف؟

ذكرت الروايات والنصوص التاريخية أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام نطق ببعض الآيات القرآنية وهو مرفوع على الرمح، وهذه بعضها:

١- وردت بذلك روايات عديدة، منها:

- (عن زرقال أول رأس حمل على رمح في الإسلام رأس الحسين ابن علي عليهما السلام فلم أر باكيا وباكية أكثر من ذلك اليوم) كشف الغمة في معرفة الأئمة، الإربلي: ٢ / ٢٦٦.

- (عن زر بن حبيش قال أول رأس رفع على خشبة رأس الحسين رضى الله عن الحسين وصلى الله على روحه) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٧.

- (روي عن ابن مسعود قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، إذ دخل علينا فتية من قريش ومعهم عمر بن سعد لعنه الله، فتغيرلون رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلنا له: يا رسول الله ما شأنك؟ فقال: إنّا أهل بيت، اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، و إني ذكرت ما يلقى أهل بيتي من أمتي من بعدي من قتل وضرب وشتم وسب وتطريد وتشريد. وإنّ أهل بيتي سيشردون ويطردون ويقتلون، وإنّ أول رأس يُحمل على رأس رمح في الاسلام، رأس ولدي الحسين عليه السلام، أخبرني بذلك [أخي] جبرائيل، عن الرب الجليل. وكان الحسين عليه السلام حاضرا عند جده في ذلك الوقت، فقال: يا جداه فمن يقتلني من أمتك؟ فقال: يقتلك شرار الناس، وأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عمر بن سعد لعنه الله. فصار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأوا عمر بن سعد داخلا من باب المسجد، يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام) مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٤ / ٦١ – ٦٢.

٢- تقدم في الجزء الأول من الكتاب خبر مقتله رضوان الله عليه في أطراف الموصل على يد عامل معاوية لعنه الله، وبعث برأسه إلى الشام. وقد وردت بذلك روايات، منها: (عن الشعبي قال: أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦ / ٢٥. و انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤٥ / ٥٠٣ – ٥٠٤.

(ولما أصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة كلها وقبائلها. فروي عن زيد بن أرقم أنه قال: مر به عليّ وهو على رمح و أنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: "أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" فقفَّ - والله - شعري وناديت: رأسك والله - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب) [١].

(روى أبو مخنف عن الشعبي انه صُلب رأس الحسين بالصيارف في الكوفة فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله: "انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى فلم يزدهم إلا ضلالا". وفي أثر أنهم لما صلبوا رأسه على الشجرة سمع منه: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". وسمع أيضاً صوته بدمشق يقول: لا قوة إلا بالله. وسمع أيضا يقرأ: "ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا"، فقال زيد بن أرقم: أمرك أعجب يا ابن رسول الله) [٢].

والسؤال: لا شك أنّ نطق رأس الإمام الحسين عليه السلام وهو على الرمح أمر معجز وليس عادياً، وهو أمر يحصل مع أولياء الله متى ما شاء الله ذلك لحكم وغايات أرادها سبحانه، سواء علمنا بها أو جهلناها، لكن الأهم في الموضوع هو إجابة السؤال التالي: ما السرُّ بين الرأس الشريف وسورة الكهف أو أصحاب الكهف تحديداً؟

بعض الباحثين أرجع السبب إلى وجود مشتركات بين الإمام الحسين وأصحابه وبين أصحاب الكهف، وأهم المشتركات بنظره كانت: الفتوة والنهوض بأعباء المعتقد، القيام لله، الرجعة بزعم أنّ كلا الفريقين سيرجعون في آخر الزمان لنصرة المهدي عليه السلام، إضافة إلى أنّ الناس أيقنت بحقانية أصحاب الكهف وصحة اعتقادهم بعد مئات السنين وكذلك حال الناس مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام [٣].

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٧. قفَّ: أي وقف من الفزع.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢١٨.

٣- انظر: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، الطبسي: ٥ / ١١٧ – ١١٨.

أقول: لا شك أنّ جميع ثورات أهل الحق والهدى الإلهي تلتقي في نقاط اشتراك، بل لابد من ذلك؛ باعتبار أنّ الحق والهدى الحقيقي من الله وهو سبحانه مستقى ومنهل وهدف جميع الثائرين الإلهيين.

لكن السر في نطق الرأس الشريف بآية أصحاب الكهف يتعلق بثورة الإمام المهدي عليه السلام المجمع على ظهوره وقيامه وقيادته دول العدل الإلهي في آخر الزمان في نصوص جميع المسلمين بل وغير المسلمين بعنوان المنقذ والمخلص الموعود.

وبحسب المعتقد الصحيح، ليست "الرجعة" مقطع زمني تابع لعالمنا الذي نحن فيه، إنما هي عالم برأسه وامتحان آخر له قوانينه الخاصة به، يخوض فيه بعض الخلق (من محض الإيمان، ومن محض الكفر) الامتحان، فهو فرصة ثالثة بعد أن كان عالم الذر فرصة أولى وعالم الدنيا فرصة ثانية [١].

وما يحصل في زمن المهدي عليه السلام ليس هو رجوع أصحاب الكهف وأصحاب الحسين بأنفسهم [٢] وإنما هو رجوع بالنظير والمثل، بمعنى: يوجد في أصحاب المهدي عليه السلام من هم نظراء أصحاب الكهف، وفي أصحابه من هم نظراء بعض أصحاب الرسول أو أمير المؤمنين أو الحسين صلوات الله عليهم.

نطْقُ الرأسِ الشريف بآيات لها ارتباط بثورة المهدي عليه السلام العالمية يعني أنّ بين الثورتين اتصالاً وثيقاً ومحكماً، بل يمكننا - وفق ما لدينا من نصوص دينية - أن نشبّه العلاقة بين الثورتين كالعلاقة بين "المقدمة" و"النتيجة" تماماً.

١- فصّل السيد أحمد الحسن الكلام في عالم الرجعة وأجاب عن كثير من الأسئلة المتعلقة به في كتابه: "الرجعة ثالث أيام الله الكبرى"، أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

٢- القول برجوعهم بأنفسهم لهذا العالم يلزم منه الطعن بعدالة الله، فهو سبحانه جعل هذا العالم داراً للامتحان ومنح جميع الخلق فرصة متساوية بنفس الأدوات والشروط ليتقدم من يتقدم باستحقاق ويتأخر من يتأخر باستحقاق كذلك، وواضح أنّ لا تساوي ولا تكافؤ في الفرص في حالة الاعتقاد بمنح البعض فرصة العود والعيش في هذا العالم وأداء الامتحان فيه مرة ثانية!

سُئل السيد أحمد الحسن عن ارتباط قصة أصحاب الكهف بالمهدي "القائم" عليه السلام أو علامات ظهوره أو أصحابه، فقال:

(قصة "أصحاب الكهف" معروفة، وهي باختصار قصة رجال مؤمنين عددهم سبعة كفروا بالطاغوت في زمانهم، والمتمثل بجهتين:

- الأولى: هي الحاكم الظالم الجائر الكافر.
- والثانية: هي علماء الدين الضالون الذين حرّفوا دين الله وشريعته.

فكلّ من هذين؛ الطاغوت نصب نفسه إلهاً يُعبد من دون الله، الحاكم الجائر نصب نفسه إلهاً يُعبد من دون الله في أمور الدنيا ومعاش العباد وسياستهم، والعلماء غير العاملين الضالون نصبوا أنفسهم آلهة يعبدون من دون الله في أمور الدين والشريعة. وهكذا تحرّر هؤلاء الفتية من عبادة الطاغوت، وكفروا بالطاغوت. وهذا الكفر بالطاغوت هو أول الهدى، فزادهم الله هدى بأن عرّفهم طريقه سبحانه، والإيمان به، والعمل لإعلاء كلمته سبحانه وتعالى، "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدى" الكهف: ١٣، "وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً" الكهف: ١٦.

وأصحاب الكهف في زمان قيام القائم عليه السلام هم فتية في الكوفة وفتية في البصرة كما في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام [١]، ورأس الحسين بن علي عليه السلام نطق مرات عديدة، وفي أكثر من مرة سُمع يكرّر هذه الآية: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً" الكهف: ٩، وسُمع يقرأ منها فقط: "أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً" [٢]؛ وذلك لأنّ أصحاب الكهف - وهم أصحاب القائم عليه السلام - هم الذين يأخذون بثأر الحسين عليه السلام، وينتقمون من الظالمين، ويقلبون

١- عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (يخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكا الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً) الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٨٦.

٢- انظر: مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٤ / ١١، ١٣.

أمر الظالمين رأساً على عقب، ولهذا سُمع رأس الحسين عليه السلام أيضاً يقرأ: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ" الشعراء: ٢٢٧.

وكذلك أصحاب القائم عليه السلام قوم عابدون مخلصون لله سبحانه وتعالى، لا يرون القوة إلا بالله، يؤمنون بالله وعليه يتوكلون ويقارعون أكبر قوى الظلم والاستكبار على الأرض، وهي المملكة الحديدية التي أكلت وداست كل الممالك على الأرض كما أخبر عنها دانيال [١]، وهي متمثلة الآن بأمريكا دولة الشيطان [٢]، ولهذا سُمع رأس الحسين عليه السلام يقرأ أيضاً: "لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" الكهف: ٣٩. لأنه لن يأخذ بثأره إلا من كانوا مصداقاً لهذه الآية الكريمة: "لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ".

- وفي رواية: أنهم لما صلبوا رأسه على الشجر سُمع منه: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ" [٣].
- وسُمع أيضاً صوته بدمشق يقول: "لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" [٤].
- وسُمع أيضاً يقرأ: "أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً". فقال زيد بن أرقم: أمرك أعجب يا بن رسول الله [٥].
- وروى الشيخ المفيد رحمه الله أنّ زيد بن أرقم سمع الرأس الشريف ينطق بآية سورة الكهف [٦].
- وروى عن المنهال بن عمرو أنه سمع رأس الحسين يقول: "أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي" [٧].

١- انظر: سفر دانيال – الاصحاح السابع.

٢- للتوضيح أكثر يمكن مراجعة ما ذكره السيد أحمد الحسن في كتاب: الجواب المنير: ١/ إجابة سؤال ١٥.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٢١٨.

٤- نفس المصدر.

٥- نفس المصدر.

٦- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٧.

٧- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٨٨.

أما ما روي أنّ أصحاب الكهف الذين يبعثون مع القائم عليه السلام هم بعض المخلصين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام كمالك الأشتر، فليس المقصود هم أنفسهم، بل المراد في هذه الروايات هو نظائرهم من أصحاب القائم عليه السلام، أي إنّ هناك رجلاً من أصحاب القائم عليه السلام هو نظير مالك الأشتر في الشجاعة والحنكة والقيادة والشدة في ذات الله وطاعة الله والأخلاق الكريمة وكثير من الصفات التي امتازبها مالك الأشتر، فلذلك يصفه الأئمة بأنه مالك الأشتر. .....) انتهى [١].

خطب أهل بيت الحسين(ع) بأهل الكوفة:

أوضحنا فيما سبق أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام تتألف من فصلين؛ انتهى أولهما بمقتل سيد الشهداء صلوات الله عليه وأهل بيته وصحبه، ليبدأ فصل الثورة الثاني (الدور الإعلامي) الذي تقع مسؤولية القيام به على عاتق السيدة زينب عليها السلام بمعية أهل بيتها، وبالتأكيد كان للإمام علي بن الحسين دوراً مهماً فيه أيضاً لكن بشكل يتناسب مع هدف الحفاظ عليه من القتل، ومسألة الحفاظ عليه - كما عرفنا - هي الأخرى إحدى المهام التي كلّفت بها زينب عليها السلام، إضافة إلى مهمة الحفاظ على بقية من كان معها في الركب المحمدي المأسور من نساء وأطفال.

بيان عظم الجريمة التي أقدم عليها الأمويون لعنهم الله يوم عاشوراء وفضح باطلهم و انحر افهم وإجرامهم كان - ولا شك - في غاية الأهمية وبمثابة المتمم الذي لا غنى للثورة الحسينية عنه إطلاقاً؛ لئلا يذهب دم الحسين و أنصاره هدراً وبالتبع تضيع الأهداف التي كان يتوخى تحقيقها من قيامه المقدس [٢]، ومَن غير زينب ابنة علي ومن معها يقوم بهذا الدور البطولي والخطير في ظل حالة الخوف والنكوص عن نصرة الحق والإقبال على الباطل والدنيا التي هيمنت على عموم المسلمين! فكان ما كان منها في خطبها مع أولاد

١- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال - ٧٢.

٢- كانت مسألة ذهاب دم الحسين عليه السلام هدراً حتمية لو لم تتحرّك زينب عليها السلام وركبها المقدس للنهوض بوجه الباطل وفضحه بعد أن كان السكوت والخوف هو المهيمن على و اقع عموم المسلمين قبل و أثناء مقتل الحسين صلوات الله عليه.

الطلقاء (يزيد و ابن زياد لعنهما الله) في الكوفة والشام وفضحهم أمام الملأ في مجالسهم وقصورهم، وكذلك دورها في تقريع أهل الكوفة جرّاء ما ارتكبوه من جرم وخذلان [١].

علماً، إنّ خطب ومو اقف السيدة زينب عليها السلام لم تكن محصورة ببيان جرم الأمويين يوم عاشوراء، و إنما تضمنت تصحيحاً عقائدياً لبعض المفاهيم الباطلة التي تعمد الأمويون زرعها في أذهان الناس لتمرير مشروع ملكهم الشيطاني الخبيث.

خطبة زينب(ع) بأهل الكوفة:

(عن حذلم بن ستير قال: ..... ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أرَخفِرة [٢] قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكتت الأصوات فقالت:

"الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة، ويا أهل الختل والخذل، فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنّة، فما مثلكم إلا "كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم". ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف، والصدر الشنف؟ خوّارون في اللقاء، عاجزون عن الأعداء، ناكثون للبيعة، مضيّعون للذمة، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

١- كانت العقيلة زينب كأمها الزهراء صلوات الله عليها في نصرة الحق والدفاع عنه، ولم يكن دفاعها عن الحق محصوراً بكربلاء، و إنما كانت لها مو اقف في نصرة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، فمثلاً: لما خرج الثلاثة على أبيها أمير المؤمنين في وقعة الجمل، وخرجت حفصة مع بعض النساء يجبن شوارع المدينة ويضربن الدفوف في موقف تأييد لعائشة وهن يرددن: "ما الخبر ما الخبر إن علياً كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر"، خرجت زينب عليها السلام لتوبيخهن وكان معها أم سلمة وأم أيمن، فلما رأتها حفصة استحيت وفرّقت النساء وقالت لها: "إنهن فعلن ذلك بجهل"! فقالت لها زينب: "إن تظاهرتما على أبي فلقد تظاهرتما على رسول الله من قبل" انظر: زينب الكبرى، النقدي: ٢٥.

٢- أي: حييّة من الحياء.

أتبكون؟! إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها [١]، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً. فسليل خاتم الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وأمارة محجّتكم، ومدرجة حجّتكم خذلتم، وله فتلتم؟! ألا ساء ما تزرون، فتعساً ونكساً، فلقد خاب السعي، وتربت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم أتدرون أيُّ كبدٍ لمحمدٍ فريتم، وأيُّ دمٍ له سفكتم، وأيُّ كريمةٍ له أصبتم؟ "لقد جئتم شيئاً إدّا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً"، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض والسماء. أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلا إن ربك لبالمرصاد".

قال: ثم سكتت، فرأيت الناس حيارى، قد ردوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً قد بكى حتى اخضلت لحيته وهو يقول: كهولهم خير الكهول ونسلهم * إذا عد نسل لا يخيب ولا يُخزى) [٢].

١- الضمير يعود إلى القضية الشنيعة التي أتوا بها وهي قتل الحسين صلوات الله عليه و أنصاره.

٢- الأمالي، المفيد: ٣٢١ – ٣٢٢؛ الأمالي، الطوسي: ٩١ – ٩٢.

بعض معاني المفردات في الخطبة:

- ختل: خداع.
- خذل: ترك النصرة.
- رقأت: سكنت وجفّت.
- الرنّة: صوت البكاء المرتفع.
- دخلاً بينكم: أي غشاً وخديعة وخيانة.
- الصلف: بفتح اللام يعني التملّق وبكسرها يعني كثير المدح لنفسه ولا خير عنده.
- النطف: بفتح الطاء يعني المتلطخ بالريب والعار وبكسرها يعني النجس.
- الشنف: العدو المبغض.
- خوّارون: جبناء.
- شنارها: قبحها وفضيحتها.

وهذه بعض الملاحظات:

١- ابتدأت زينب عليها السلام خطبتها بالإشارة إلى أنها ابنة رسول الله: "الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله"؛ لتلفت نظرهم إلى أنّ العائلة المأسورة من قبل الجيش الأموي (الكوفيين منهم والشاميين) التي خرجوا يتفرجون عليها هم عائلة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقد أحرجت زينب - بقولها هذا - الجميع (الجيش والحشود معاً) وجعلت إسلامهم و إيمانهم بالرسول على المحك تماماً!

٢- ألقت عليها السلام باللائمة على أهل الكوفة ووصفتهم بالغدر ونكث العهد والجبن؛ باعتبار أنّ آلافاً كثيرة منهم كاتبوا الحسين صلوات الله عليه وطلبوا منه القدوم وبايعوا رسوله إليهم (مسلم بن عقيل)، لكنهم لم يفوا ببيعتهم، وكثير منهم لم يكتفِ بالخذلان و إنما اضطرهم الخوف إلى الخروج والاصطفاف مع جيش ابن سعد وتكثير السواد على الحسين عليه السلام بل وبعض المكاتبين اشترك بقتله، ولذلك رأينا السيدة زينب عليها السلام حمّلت أهل الكوفة - كغيرهم من الجيش الأموي المحارب - مسؤولية قتل الحسين عليه السلام.

- سليل: منحدر من عائلة شريفة.
- نازلتكم: مصائبكم الشديدة.
- أمارة محجّتكم: علامة طريقكم ومنهجكم.
- مدرجة حجّتكم: طريق وسبيل دليلكم وبرهانكم.
- فتلتم: التويتم عنه.
- تربت الأيدي: افتقرت وما أصابت خيراً أبداً.
- كريمة: الرجل الحسيب.
- شيئاً إدّا: منكراً عظيماً.
- خرقاء: حمقاء.
- شوهاء: قبيحة.
- طِلاع الأرض والسماء: أي ملؤهما.
- المهل: التأجيل والتأخير.
- يحفزه: يحثّه ويعجله، والضمير راجع على الله سبحانه.

٣- وصفت الحسين عليه السلام بأنه "كبد الرسول"؛ إذ قالت: "ويلكم، أتدرون أي كبد لمحمد فريتم"، وهذا بالتأكيد يضع الأمويين في خانة المحاربين لدين الله ورسوله، فاعتداؤهم على الحسين وقتلهم إياه هو بالحقيقة اعتداء على الرسول وفري لكبده! وهو بيان بليغ وبطولي من عقيلة آل أبي طالب في فضح الأمويين وكشف حقيقتهم لعموم الناس!

٤- قولها: "أفعجبتم أن قطرت السماء دماً" يؤكد ما ذكرناه في بحث سابق من أنّ هناك آيات ر افقت مقتل الحسين صلوات الله عليه يوم عاشوراء.

خطبة أم كلثوم بأهل الكوفة:

(وخطبت أم كلثوم بنت علي عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها، ر افعة صوتها بالبكاء، فقالت: يا أهل الكوفة سوأة لكم، مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه و انتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتبّاً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواهٍ دهتكم؟ وأي وزر على ظهوركم حملتم؟ وأي دماء سفكتموها؟ وأي كريمة أصبتموها؟ وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا إن حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمكم ... ستجزون ناراً حرّها يتوقدُ
سفكتم دماء حرّم الله سفكها ... وحرّمها القرآن ثم محمدُ
ألا فأبشروا بالنار إنكمُ غداً ... لفي سقرٍ حقاً يقيناً تخلّدوا
و إني لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبي سيولدُ
بدمعٍ غزيرٍ مستهلٍ مكفكفٍ ... على الخدِّ مني ذائباً ليس يجمدُ

قال: فضج الناس بالبكاء، والحنين والنوح، ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، فلم يُرَ باكية وباكٍ أكثر من ذلك اليوم) [١].

خطبة علي بن الحسين(ع) بأهل الكوفة:

(قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأومئ إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله و أثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير دخل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، و انتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً.

أيها الناس ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ قاتلتموه وخذلتموه فتبا لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوء لر أيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لكم: قتلتم عترتي، و انتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضا: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين، رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فإنا حرب لحربك، سلم لسلمك، لنأخذن ترتك وترتنا [٢]، عمّن ظلمك وظلمنا.

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٩١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١١٢.

٢- الترت: الثأر.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات هيهات!! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل كلا ورب الر اقصات إلى منى، فإنّ الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله، وثكل أبي وبني أبي وجدي شق لهازمي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا.

ثم قال عليه السلام:

لا غرو أن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين و أكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي أصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر نفسي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنما) [١].

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام تضمّنت:

١- التعريف بنفسه و أنه ابن الإمام الحسين؛ سبط الرسول وريحانته، وهو بهذا لا نظير له بمكانته ومنزلته. ثم إنه ذكر ما حلّ بأبيه من ذبح وهتك حرمة وسلب و انتهاب مال وسبي عيال، ولا شك أنّ إثارة هذه الفواجع يلفت نظر السامعين إلى عظم المصاب الذي حل بالإسلام وآل الرسول يومذاك، وواضح أنّ الهدف شحن النفوس وتأليبها على الأمويين الأرجاس.

٢- تقريع أهل الكوفة وتذكيرهم بكتبهم التي بعثوها لأبيه الحسين صلوات الله عليه وبيعتهم له، ثم انقلابهم عليه بخروجهم لقتاله وخذلانهم له، وبيان أنّ من قتله و انتهك حرمته ليس من أمة محمد صلى الله عليه وآله.

٣- وصف أهل الكوفة بالغدر والمكر لما عرضوا عليه النصرة وأنهم رهن إشارته؛ سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه! ولا أعرف أين كان أصحاب هذه الأصوات قبل يومين - من

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣١ – ٣٢.

وقت خطبة الإمام بهم - لما كان الحسين ينادي وحيداً بأعلى صوته: "ألا من ناصر ينصرنا" ولا يجد غير الأسنّة والرماح جو اباً! ثم ما قيمة هذا العرض الآن بعد فوات الأوان!

عموماً، الإمام رفض طلب أهل الكوفة وذكّرهم بغدرهم بأبيه الحسين، ولم يطلب منهم أن يكونوا معه أو ينصروه ويعينوه، بل سألهم أن تكون مو اقفهم - على الأقل - على الحياد؛ لا معه ولا مع بني أمية!

حقيقة، إنّ نفس طلب الإمام هذا فيه خزي وعار كبير عليهم لو كانوا يعقلون؛ لأن أقل مداليل سؤاله الحياد منهم أنهم ليسوا أهلاً لنصرة آل محمد ودين الله إطلاقاً، وأنهم ليسوا بقدر ومستوى الكلام الذي يطلقوه و إنما هو مجرد فورة مشاعر وعواطف غير صادقة ودموع كاذبة وكلام فارغ وغير حقيقي سرعان ما يذوب وينتهي مفعوله في ساعة الجد!

تنبيه:

ذكر بعض المؤرخين خطبة نسبوها للسيدة فاطمة بنت الحسين مع أهل الكوفة [١]، وتضمنت كلاماً غير دقيق أو محرّف ولا يصح في مسألة نسبة قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه لأهل الكوفة وما شابه، مع أنّ قاتله ابن ملجم لعنه الله وهو من الخوارج.

١- انظر: الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٧ – ٢٩؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١١٠ – ١١٢.

عائلة الحسين(ع) في مجلس ابن زياد:

من هوان الدنيا على الله أن يدخل آل رسول الله على دعي ابن دعي في قصره ويشهد هو وجلسائه آثار الفاجعة التي ألمّت بهم وتركت أثرها على وجوه بنات الرسول، فيتشفّى بما جرى على آل محمد من قتل وسلب ونهب وأسر وسبيّ!

يحدّق لهم مليّاً بنظرات لؤمه ليمتّع نفسه الخبيثة وتمتلئ نشوة، ثم ليتنفس الصعداء حيث لا حسين يسير على الأرض بعد اليوم فيؤرق عليهم ملذات ملكهم وعيشهم وحتى رقدتهم؟!

يقال: إنّ للخصومة شرف، وللفروسية مواثيق وأخلاقيات لا يعرفها إلا الفرسان، فمن أخلاقياتها مثلاً: ذم الطعن من الخلف، وكذا الاستمرار في قتال من سقط سيفه من يده، أو قتل الفارس بعد سقوطه من فرسه، أو قتل النساء والأطفال والإساءة لهم، وغيرها من الأمور التي كانت العرب تعرفها وتتخلّق بها فرسانها، كذلك من أخلاقيات الخصومة ترك التشفي بالخصم إن حصلت به نائبة أو حدث مفجع؛ فالتشفي صفة اللئيم والحقود والجبان دائماً.

لكن شيئاً من أخلاقيات الخصومة والفروسية لم نجده لا عند قادة الجيش الأموي في ساحة القتال يوم عاشوراء، ولا في مجلس قصر الطاغية اللعين ابن زياد ولا حتى عند أميرهم يزيد لعنه الله كما سنرى.

زينب(ع) تخزي ابن زياد وتفوّت على إبليس خطّته:

ما جرى لعائلة الحسين صلوات الله عليه في مجلس ابن زياد أمر مؤلم، وأمر غير مستغرب - لو كانت العائلة غير عائلة الحسين - أن يُبان عليها الجزع والانكسار والضعف وربما يبدي - بعض أفرادها لا أقل - حالة الندم والاعتذار للحاكم - ولو ظاهراً وتقية - للحفاظ على أنفسهم من القتل من قبل طاغية فاجر ومستهتر، وهذا ما نشاهده دائماً يصدر من قبل كثيرين من خصوم الطواغيت في حالات أقل بكثير من حالة عائلة الحسين عليه السلام، وكلنا يعرف أنّ واحداً من أساليب الطغاة وأجهزتهم الأمنية القمعية أنهم

يقومون بإجبار ضحاياهم وخصومهم السياسيين على تسجيل اعترافات واعتذارات من مواقفهم ومعارضتهم لأنظمة الحكم ثم يبثوها للناس لتوهين موقف خصومهم.

ابن زياد لعنه الله لم يغب عنه هذا الأمر، كان يمنّي نفسه الخبيثة - مع سائر جند إبليس لعنهم الله - أن يتغلّب على بقية ركب الحسين ويميت ذكرهم ويقتلهم بالحجة والكلمة كما قتل رجالهم بالسيف، أو يصدر من أيٍّ منهم موقف ضعف أو جزع أو استكانة أو اعتذار أو لين وما شابه، فتعلو كلمة إبليس - لعنه الله - أمام الملأ والناس عموماً!

لكن هيهات! نجوم السماء أقرب لابن زياد من نيل ذلك وعلي وفاطمة لا زال لهما بقية على هذه الأرض؛ بقية ورثتهما إخلاصاً ويقيناً وصبراً وشجاعة وفناء في الله ودينه ورسالته، زينب التي لم يسجد أبوها إلا لله ولم يلوّث قلبه وجبهته بالسجود لصنم قط، ولم تداهن أمها باطلاً أو تداري عابثاً بدين الله، ولم يعطِ أخوها الحسين أهل الباطل إعطاء الذليل، جمعت زينب كل ذلك الإباء والشموخ "العلوي الفاطمي الحسيني" وجسّدته بكل ثبات وقوة وبسالة يصعب وصفها وبيانها، عاد معها إبليس وجنده فزعين مذعورين، ففشلت خطتهم وخاب فألهم، ولا زلنا - بعد مرور ما يقرب من ألف وأربعمائة عام - نقرأ مواقف زينب التي زلزلت عروش طغاة بني أمية، لا زلنا نسمع كلماتها التي صكّت مسامعهم وصفعت بها وجوههم عالية مدويّة يترنّم بها جميع الثائرين ضد الباطل والظلم!

ابن زياد وثنايا الحسين(ع):

قبل إدخال عائلة الحسين على ابن زياد لعنه الله، جلس اللعين في قصره وإذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإحضار رأس الحسين صلوات الله عليه ليوضع أمامه:

(ولما وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد - لعنه الله - من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين وأهله، جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه، فجعل ينظر إليه ويتبسم وفي يده قضيب يضرب به ثناياه، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - وهو شيخ كبير - فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما ما لا أحصيه

كثرة تقبلهما، ثم انتحب باكياً. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله؟ والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله) [١].

البخاري - أيضاً - روى فعل ابن زياد هذا عن أنس بن مالك:

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوباً بالوسمة) [٢].

أقول: ما فعله الخبيث ابن زياد برأس الإمام الحسين صلوات الله عليه أمر غير مستغرب من أولاد الأدعياء والبغايا الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله (حقيقة) طرفة عين، وفعله يكشف عن مدى حقده وبغضه للرسول صلى الله عليه وآله بشكل واضح، وهي سيرة أميره يزيد لعنه الله والأمويين عموماً. لكن الغريب أن يحضر مجلس هذا الطاغي الخبيث بعض الصحابة مثل زيد بن أرقم و أنس بن مالك، ولا أعرف أي خير يُرتجى من مجالسة هذا الفاجر، لكنها الدنيا التي وصف الرسول صلى الله عليه وآله حبّها بأنه: "رأس كل خطيئة" [٣]، ولا غرو فإنّ هذين الشخصين بالذات كتما الشهادة بحق أمير المؤمنين عليه السلام لما طلبها منهما مع علمهما [٤]!

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٤، و انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٢. القضيب: عود أو غصن مقطوع، الثنايا: الأسنان التي تكون في مقدم الفم.

٢- صحيح البخاري: ٤ / ٢١٦، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. الوسمة: نبات عشبي يستعمل للصبغ.

٣- الكافي، الكليني: ٢ / ١٣١؛ الجامع الصغير، السيوطي: ١ / ٥٦٦.

٤- هذا مثال من الروايات التي أشارت لذلك:

- (عن زيد بن أرقم قال: نشد عين الناس في المسجد فقال: "أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" فقام اثنا عشر بدرياً، ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك. قال زيد بن أرقم: وكنت أنا فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب الله ببصري، وكان يتندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر) الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٥٢؛ مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي: ٤١؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٠٦.

أيضاً: روى بعض المؤرخين عن بوّاب عبيد الله بن زياد (أنه لما جيء برأس الحسين فوضع بين يديه رأيت حيطان دار الإمارة تسايل دماً) [١].

زينب(ع) تلقم ابن زياد حجراً!

(وأدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكّرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماؤها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتختصمون عنده.

فغضب ابن زياد واستشاط، فقال عمرو بن حريث: أيها الأمير، إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذم على خطابها. فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك.

- (عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: قال عليّ على المنبر: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خمّ: اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. إلا قام فشهد. - وتحت المنبر أنس بن مالك والبراء بن عازب، وجرير بن عبد الله - فأعادها فلم يجبه أحد منهم فقال: اللّهمّ من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها. قال أبو وائل: فبرص أنس، وعمي البراء، ورجع جرير أعرابياً بعد هجرته) أنساب الأشراف، البلاذري: ٢ / ١٥٦ – ١٥٧.

١- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٤ / ٢٢٩.

فرقّت زينب عليها السلام وبكت وقالت له: لعمري لقد قتلت كهلي، و أبدت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً.

فقالت: ما للمرأة والسجاعة؟ إن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت) [١].

وفي بعض الروايات: (فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب رضي الله عنها: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا بن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلح يومئذ! ثكلتك أمك يا بن مرجانة) [٢].

القارئ لهذا الحوار بين رمزي جبهتي الحق والباطل يلاحظ:

١- إنّ انحياز زينب عليه السلام ناحية في قصر الطاغية وعدم وقوفها أمامه وقفة خضوع كما يفعل الأسارى عادة، بل وتجاهلها إجابته لما سأل عنها، يمثل أُولى صفعات الحق للباطل. ولا شك أنّ هذا الفعل يعني الكثير لشخص طاغية ومتجبر كابن زياد الذي أراد أن يظهر زهوه وتسلّطه وعلو كعبه في مجلس قصره الذي كان مكتضاً بحاشيته وزبانيته وناس كثيرين!

٢- قول اللعين: "الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم و أكذب أحدوثتكم" يكشف عن كفره برسالة محمد صلى الله عليه وآله، فليس لدى زينب عليها السلام وإخوتها وأهل بيتها أي أُحدوثة غير أنهم آل بيت رسول الله الذين فرض الله طاعتهم ومحبّتهم ومودّتهم على المسلمين جميعاً في محكم كتابه، ولا أحد مؤمن برسول الله وبكتاب الله يتجرأ على قول ما

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٥ – ١١٦؛ و انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٩ – ٣٥٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١٠. السجاعة: من السجع، وهو الكلام المنثور المقفّى.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٢؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٧١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١١٥ – ١١٦.

قاله ابن زياد إلا أن يكون كافراً بالقرآن والرسول ويريد التشفّي منه بقتل آله والتفنذن في أذى الباقين منهم، وهذه هي حقيقة الأمويين وعلى رأسهم يزيد و ابن زياد لعنهما الله.

ثم إنّ جواب زينب عليها السلام على كلامه فيه تعرية لحاله وفضح باطله أمام الناس؛ إذ ردت عليه بقولها: "الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً"، ولا أحد يستطيع أن ينكر أنها ابنة الرسول وأنّ الله طهر آل محمد تطهيراً، وبالتالي فمن يتعرض لهم بأذى وسوء لا يبقى من إسلامه شيء! وبالتأكيد فإنّ ردّاً كهذا كان بمثابة الصاعقة التي نزلت على رأس هذا الخبيث الفاجر.

٣- لماذا استشاط اللعين غضباً من قول زينب عليها السلام: "كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتختصمون عنده" لما سألها: "كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك"؟! مع أنّ القارئ لكلامها - لأول وهلة - لا يجد فيه إساءة لابن زياد سوى إرجاع الأمر لله الحكم العدل للنظرين طرفين متخاصمين!

الحقيقة، إنّ ابن زياد - لعنه الله - أكّد عقيدة الجبر التي ابتدعها الأمويون لتمرير باطلهم على الناس [1] بقوله: "كيف رأيتِ صنع الله بكِ"، فنسب ما حصل في كربلاء إلى الله وكأنّ الله - تعالى - هو من قتل الحسين و أنصاره!

والحق إنّ الله لم يرد قتل حججه وأوليائه ولذلك نهى عن ذلك واعتبر التعدي عليهم منكراً وذنباً يوجب الخلود في جهنم [2]، و إنما أراد طاعتهم وولايتهم و اتباعهم لذلك أمربها، نعم، لم يجعل امتثال أوامره ونواهيه بالقهر والإكراه؛ لأننا في دنيا امتحان، بل أراد من الإنسان أن يقرر فيها مصيره وعاقبته باختياره هو ليستحق الممتثل المطيع الثواب ويستحق العاصي العقاب، لكن الأمويين ابتدعوا معتقد الجبر ليصوروا للناس شرعية ملكهم الباطل وشرعية أفعالهم المنكرة والقبيحة بحجة أنّ كل ما يحصل – بحسب زعمهم – هو صنع الله ولا دخل للإنسان فيه؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

١- تقدم بيان ذلك في الجزء الأول، فراجع.

٢- قال تعالى: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" النساء:٩٣، هذا جزاء قتل المؤمن عموماً، فما بالك بمؤمن مثل الحسين بن علي وأهل بيت وصحبه؟!

لكن زينب عليها السلام لم تسمح بتمرير باطل ابن زياد على الناس، وهو لعنه الله فهم كلامها وعرف قصدها تماماً وهي ابنة أبيها المعروف ببلاغته وقوة بيانه، فالكتابة – كما هو معلوم – تمثّل أعلى صيغ الوجوب، وقول زينب إنّ "الله كتب" على أخيها وأهل بيته و أنصاره القتل يعني أنّ الله أوجب على الحسين إيجاباً مؤكداً أن يثوربوجه الأمويين ويعلن قيامه عليهم، وهذا يعني أنّ الأمويين – ومنهم ابن زياد بالتأكيد – قد بلغوا بالانحراف والرذيلة والابتعاد عن دين الله حدّاً لا يُسمح فيه لآل الرسول بالسكوت مهما كانت النتائج والتضحيات، ومَنْ أولى من الحسين بتنفيذ مراد الله والقيام نصرة لدين الله وتصحيح الانحراف والباطل حتى وإن كانت ضريبة ذلك قتل الحسين وأهل بيته وسبي عياله!!

ولذلك وصفت زينب ما رأته يوم عاشوراء بالجميل: "ما رأيت إلا جميلاً"؛ لأنه كان إنفاذاً لمراد الله و إنقاذاً لدينه ورسالته وحاكميته سبحانه.

ابن زياد لعنه الله سمع زينب عليها السلام تعلن ذلك أمام الجميع، عرف قصدها من عرف وجهله من جهل، وليس بالضرورة أن يكون الحضور(حاشية ابن زياد) هم المعنيون بفهم كلامها صلوات الله عليها بعد أن كان حالهم حال البهيمة التي لا همَّ لها غير تلبية شهوة البطن والفرج، لكن التالين والأجيال عموماً معنيون بفهمه؛ خصوصاً في الزمن الذي يقدّر الله فيه حصد ثمار ثورة الحسين عليه السلام (وهو زمن المهدي عليه السلام وقيام دولة العدل الإلهي كما تقدم). وعموماً، بالنسبة إلى ابن زياد لعنه الله ربما يكون فهم ما تقصده زينب عليها السلام بكلامها لذلك انتفخت أوداجه واستشاط غضباً. ولا مانع - وفق رواية ابن أعثم - من أن يكون ذكر اسم أمه "مرجانة" ساهم هو الآخر بزيادة غضبه؛ لاشتهارها بالعهر والفجور كما هو معلوم للجميع [1].

١- وصف الإمام الحسين عليه السلام ابن زياد لعنه الله في إحدى خطبه بـ"الدعي بن الدعي"؛ لأن أمّ كل من زياد وعبيد الله (سمية ومرجانة) معروفة بالعهر والزنا، وكل من الأب والابن تم ادعائهما، أما زياد فادعاه معاوية وجعله أخاً له، وأما عبيد الله فادعاه زياد وجعله ابناً له. قال الشيخ عباس القمي: (ابن زياد: هو عبيد الله بن مرجانة الزانية التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لميثم التمار: ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد. و أبوه زياد يقال له زياد بن أمة وتارة زياد بن سمية ومرة زياد بن أبيه ولما استلحقه معاوية يقال له زياد بن أبي سفيان، وكان يقال له أبو المغيرة وكان مع أمير المؤمنين في مشاهده ومع الحسن بن علي عليه السلام إلى زمان صلحه مع معاوية ثم لحق معاوية، ...) الكنى والألقاب: ١ / ٣٠١.

مواجهة علي بن الحسين(ع) لابن زياد:

(وعرض عليه علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: من أنت؟ فقال: "أنا علي بن الحسين". فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال له علي عليه السلام: "قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس". فقال له ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين عليه السلام: "الله يتوفى الأنفس حين موتها".

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلقت به زينب عمته وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه؟ فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجبا للرحم! والله إني لأظنها ودت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به) [١].

وفي رواية أخرى: إنّ الإمام قال لابن زياد: (ذاك أخي وكان أكبر مني فقتلتموه، وإنّ له مطلباً منكم يوم القيامة) [٢].

وفي رواية: إنّ اللعين جعل جعلاً لمن أتاه بالإمام عليه السلام، فأتي به مقيّداً [٣].

١- الإرشاد، المفيد: ١١٦ – ١١٧. وفي رواية الطبري: إنّ ابن زياد لما أمر بقتل الإمام: (..... قال علي بن الحسين من توكل بهؤلاء النسوة وتعلّقت به زينب عمته فقالت يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا قال فاعتنقته فقالت أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه قال وناداه علي فقال يا ابن زياد إن كنت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجل تقياً يصحبهن بصحبة الاسلام) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٠.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٣. مطل: أي حق ودين.

٣- روى البلاذري: (وحدثني بعض الطالبيين أن ابن زياد جعل في علي بن الحسين جعلاً فأتي به مربوطاً، فقال له: "ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين. قال: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟! فقال: كان أخي يقال له: علي بن الحسين وإنما قتله الناس. قال: بل قتله الله "فأمر اللعين بقتله" فصاحت زينب بنت علي يا ابن زياد حسبك من دمائنا فإن قتلته فاقتلني معه!! فتركه) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٠٦ – ٢٠٧.

أقول: إنّ الامام علي بن الحسين عليه السلام أسير عند الطاغية ابن زياد لعنه الله، ولا معنى لأن يجعل جعلاً (أي: مبلغ مالي) لمن يأتيه به، إلا بناءً على حادثة نقلها ابن سعد في طبقاته ثم أخذها منه بعض المؤرخين مفادها: إنّ الإمام عليه السلام فُقد من الركب وضيّفه رجل كوفي قام بإكرامه ثم لما حدد ابن زياد مبلغاً لمن يأتي بالإمام اضطر

وفي رواية: إنّ الإمام قال له: "أبالقتل تهددني؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة! قال: فسكت ابن زياد" [١].

وعموماً، هذه الحادثة لا تفصلها عن واقعة كربلاء سوى يومين فقط، وبالرغم من استهتار ابن زياد لعنه الله وحبّه لسفك الدماء؛ خصوصاً دماء آل محمد إلا أنّ موقف الإمام علي بن الحسين في حواره معه كان يتسم بالقوة والثبات، فلم يدارِ ابن زياد في تمرير عقيدة الجبر المبتدعة التي بدت بقوله: "بل قتله الله" يقصد علي الأكبر، إذ رد عليه الإمام وفضح باطله فقال: "الله يتوفى الأنفس حين موتها" بمعنى: صحيح أنّ الله هو المتوفي للنفس حين الموت لكن هذا لا يمنع - في دنيا الامتحان - من أن تكون هناك أسباب أدت بالإنسان إلى الموت ومنها قتل العمد الذي يحاسب عليه الفاعل حساباً عسيراً كما هو المعلوم في دين الله، فلا جبر ولا تفويض في المسألة.

بل قوة موقف الإمام بدت أكثر وفق الرواية الأخرى التي اتهم فيها ابن زياد وجنده صراحة بقتل أخيه الذي أكد أنّ له حقاً وديناً "مطلاً" في رقابهم وسيأخذه منهم يوم القيامة!

الموقف البطولي الآخر في هذه الحادثة هو تضحية العقيلة زينب عليها السلام بحياتها من أجل سلامة ابن أخيها، وهذا هو الموقف الثاني الذي فدت فيه زينب ابن أخيها الإمام بنفسها، ولذلك قلت سابقاً: إنّ خط الرسالة الإلهية الذي قدّر الله سبحانه له الاستمرار والخلود بعد مقتل الحسين مدين لموقف هذه السيدة الطاهرة صلوات الله عليها.

الكوفي نتيجة الخوف إلى تسليمه فأخذوه وعرضوه على ابن زياد، إلى آخر الحادثة التي عزم فيها على قتله (انظر: الطبقات الكبرى: ٥ / ٢١٢)، وهي حادثة غير صحيحة أو محرّفة على الأرجح.

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٣.

صفعة أخرى يتلقاها ابن زياد من أم كلثوم:

من بين الصفعات التي تلقّاها الباطل المتمثل بابن زياد لعنه الله من جبهة الحق المتمثلة بزينب وركبها المقدس، هو كلام السيدة أم كلثوم "زينب الصغرى" بنت أمير المؤمنين عليه السلام في حوارها معه:

(وأرسل ابن زياد لعنه الله قاصداً إلى أم كلثوم أخت [١] الحسين عليه السلام فقال لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت: يا بن زياد، لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرت عين جده صلى الله عليه وآله به، وكان يقبّله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه. يا ابن زياد، أعد لجده جواباً، فإنه خصمك غداً) [٢].

يكفي في قوة موقفها عليها السلام أنها جعلت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله خصيماً لابن زياد يوم القيامة، وهذا يعني أنها سلبت عنه الإسلام تماماً؛ وإلا إسلام من سيبقى له إذا كان خصمه رسول الإسلام الحق!

وبعد أن جرى ما جرى في المجلس بين آل الرسول وبين ابن زياد لعنه الله نادى بأعلى صوته: "أخرجوهم عنّي" [٣]!

وهكذا نرى أنّ الصفعات الحيدرية التي تلقاها ابن زياد لعنه الله من العقيلة زينب الكبرى عليها السلام وأهل بيتها أفقدته صوابه وكانت تنزل على رأسه كالصاعقة التي تهدم جبروته وتزلزل عرشه بمحضر حاشيته وزبانيته ومستشاريه، وبدل أن يظهر أمامهم بهيئة المنتصر والمنتفخ المغتر بجبروته وسلطانه، كما كان هدفه وغايته من إدخال آل الرسول عليه في مجلسه، ظهر أمامهم خاسئاً مكلّلاً بالخزي والعار، لذلك سعى جاهداً أن يتخلّص من وجودهم بالكوفة بأقصى سرعة ممكنة، ولهذا لم يطل مكوث الركب في الكوفة سوى

١- في المصدر: بنت، وما أثبتناه هو الصحيح.

٢- الأمالي، الصدوق: ٢٢٧.

٣- انظر: الفتوح، ابن اعثم: ٥ / ١٢٣.

بضع أيام قليلة جداً قضوها في سجن أمر اللعين بوضعهم فيه [١]، ثم قام بتسييرهم مع رأس الحسين صلوات الله عليه وبقية رؤوس الشهداء إلى الشام.

دفن أجساد شهداء كربلاء:

الزمان: ١٣ محرم ٦١ هـ
المكان: رمضاء كربلاء

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

"السلام على المهجور في الورى، السلام على من تولى دفنه أهل القرى، السلام على المقطوع الوتين، السلام على المحامي بلا معين. السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب، السلام على البدن السليب، السلام على الثغر المقروع بالقضيب، السلام على الودج المقطوع، السلام على الرأس المرفوع، السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السباع الضاريات" [٢].

١- يظهر من رواية الإمام الصادق عليه السلام أنّ السجن الذي حبس فيه ركب عائلة الحسين كان بعيداً عن قصر الإمارة: إذ يقول حاجب ابن زياد: "ثم أمر بعلي بن الحسين عليه السلام فغل، وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالا ونساء، يضربون وجوههم ويبكون، فحبسوا في سجن وطبق عليهم". وكانوا يأتون بهم إلى مجلس ابن زياد، وبعد انتهاء ما دار بينهم وبينه أمر بإرجاعهم إلى السجن: "فأمر ابن زياد بردهم إلى السجن، وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين عليه السلام" الأمالي، الصدوق: ٢٢٩ – ٢٣٠.

وبعض المؤرخين ذكر أنّ ابن زياد أمر بحبسهم في بيت ملاصق للمسجد أي قريب من قصر الإمارة، انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٢٠٢، وبعضهم ذكر أنّ السجن كان داخل القصر، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، القسم غير المطبوع: ٨١.

٢- مقطع من زيارة الناحية المقدسة.

أرض الدفن:

روي أنّ الإمام الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدّق بها عليهم، وشرط أن يرشدوا الناس إلى قبره، ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام.

وأيضاً: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "إنّ حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه، أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة" [١].

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذه الروايات، فقال:

(الروايات بخصوص ملك الحجج لمحيط قبر الحسين عموماً المعنى صحيح، ومثلها ما روي من كراهة السكن الدائم بقرب قبره) انتهى [٢].

متى دفنت الأجساد الطاهرة؟

بالنسبة إلى وقت الدفن: ذهب كثير من المؤرخين إلى أنه كان يوم الحادي عشر من محرم، أي بعد المقتل بيوم [٣].

لكن المشهور أنّ دفن جسد الإمام الحسين عليه السلام وباقي أجساد الشهداء كان في يوم الثالث عشر من محرم.

---

١ - انظر: مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٠ / ٣٢١.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- إذا رووا: (وقتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً، فدفنهم أهل الغاضرية من بني أسد بعدما قتلوا بيوم) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٤٨؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢٠٥؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٠٥. وأيضاً ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب: ٣ / ٧٢؛ والمفيد في الإرشاد: ٢ / ١١٤؛ وابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب: ٤ / ١١٢؛ وابن طاووس في اللهوف في قتلى الطفوف: ١٢٥.

وعموماً، سألت السيد أحمد الحسن عن صحة ذلك، فقال: "صحيح، الدفن كان يوم الثالث عشر" [١].

وهذا التاريخ يمكن الانتهاء إليه - أيضاً - بعد معرفتنا بتواريخ الحوادث المتزامنة (أقصد القريبة) بحسب الوارد في النصوص والروايات التاريخية؛ إذ تقدم أنّ ركب عيال الحسين تحرّك من كربلاء يوم الحادي عشر من محرم عند الزوال، ودخل الكوفة في اليوم الثاني عشر من محرم وكان محاطاً بالجيش الأموي، وقد انقضى يوم الثاني عشر بين التطواف بهم بشوارع الكوفة وحضور مجلس ابن زياد لعنه الله وأخيراً الزج بهم في الحبس كما عرفنا، وبالتالي فمن غير الممكن أن يكون الدفن قد حصل في نفس اليوم فضلاً عن أن يكون في اليوم الحادي عشر؛ لتعذر حضور الإمام زين العابدين عليه السلام.

لماذا اقتضى الدفن حضور الإمام المعصوم؟

معلوم أنّ التكاليف الإلهية مشروطة بالقدرة والتمكّن: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" البقرة: ٢٨٦، ومسألة تجهيز المعصوم للمعصوم لا تشذ عن هذا القانون الإلهي، بمعنى: أنّ المعصوم يحضر جنازة المعصوم المتوفي ويتولّى أمر تغسيله وتكفينه ودفنه في حال التمكّن من الحضور، فالتكليف - كما قلت - مشروط بالقدرة.

لكن في مسألة دفن جسد الإمام الحسين عليه السلام كان حضور المعصوم ضرورة؛ لأن الأجساد - ومنها جسد الحسين - كانت بلا رؤوس وقد تم التمثيل بها؛ خصوصاً جسد الإمام الحسين صلوات الله عليه، وبالتالي فمن الصعب على عموم الناس التمييز. وقد كانت مشيئة الله سبحانه ضمن الخطة المعدة سلفاً أن يكون قبر الحسين الذبيح مميّزاً

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وردت روايات في كراهة السكن الدائم "الاستيطان" قرب قبر الحسين عليه السلام، منها: عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب شعث مغبر جائع عطشان وسله الحوائج وانصرف عنه ولا تتخذه وطناً" الكافي، الكليني: ٤ / ٥٨٧.

ومشخّصاً ليحج إليه المؤمنون ويقصده الزائرون جيلاً بعد جيل إلى أبد الدهر، وهذا يستدعي تمييزه حتماً [١].

وأمر آخر: مشيئة الله اقتضت أيضاً أن تكون القبور بطريقة معيّنة بحيث يتوسّد الرضيع صدر أبيه الشهيد، ويكون قبر علي الأكبر عند رجلي والده، ويُفرد لحبيب بن مظاهر قبر، ولسائر الأنصار قبر يضمّهم جميعاً عند رجلي الحسين، ويترك العباس بن علي في موضع شهادته ويُدفن فيه، تماماً كما هو المشاهد في ترتيب قبور شهداء الثورة الحسينية اليوم، والذي وردت فيه نصوص كثيرة عن المعصومين صلوات الله عليهم.

بالطبع، لو تُرك بنو أسد (أهل الغاضرية) لحالهم وحدهم، فإنهم لا يهتدون للتشخيص ولهذا الترتيب ولكان الدفن عشوائياً، فمثلاً: كان أيسر عليهم أن يدفنوا العباس وعلي الأكبر وحبيب بن مظاهر مع بقية الشهداء بلا أن يفردوا لهم قبوراً خاصة بهم؛ لأنهم أصلاً لا يعرفون هويتهم بعد أن كانت أجسادهم بلا رؤوس، بل ولكانت جميع القبور بلا أسماء أصلاً؛ لعدم معرفتهم بأصحابها على وجه التعيين [٢]، ولهذا كان حضور المعصوم (المتمثل يومذاك بالإمام علي بن الحسين عليه السلام) ضرورياً ومهماً؛ لأنه أفادهم بأمرين أساسين: معرفة الأجساد وخصوصاً تمييز جسد والده الحسين عليه السلام، وكذلك أرشدهم إلى طريقة ترتيب القبور المرضية عند الله.

١- الروايات في الحث على زيارة الحسين صلوات الله عليه متواترة وكثيرة جداً، هذا مثال منها:

عن الصادق عليه السلام: "والله إنّ الله يباهي بزائر الحسين عليه السلام والوافد إليه الملائكة المقربين وحملة عرشه، فيقول لهم: أما ترون زوّار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة، وعزّتي وجلالي وعظمتي لأوجبنّ لهم كرامتي، ولأحبّنّهم لمحبتي" وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٩٧.

٢- مع أنّ الواقع يؤكد أنّ قبر الحسين صلوات الله عليه وقبور الشهداء كانت مشخّصة منذ البداية لدى أول زائر لهم بعد دفنهم، وهو جابر بن عبد الله الأنصاري، حيث ورد إنه زار الحسين وعلي بن الحسين والعباس والشهداء وسلّم عليهم وصلّى عند قبورهم، وهذا التشخيص - كما قلت - لا يمكن أن يهتدي إليه بنو أسد وحدهم للأسباب التي ذكرناها، ويؤكد حضور الإمام علي بن الحسين عليه السلام بشكل قاطع.

بطبيعة الحال، فإنّ مؤرخي أهل العامة لم يتطرّقوا إلى حضور الإمام زين العابدين ونسبوا الدفن إلى أهل الغاضرية فقط، ومثلهم قال المفيد وآخرون [١].

علماً، إنّ بعض الروايات أكدت حضور الإمام صلوات الله عليه، منها:

- (عن إسماعيل بن سهل، عن بعض أصحابنا قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة و ابن السراج و ابن المكاري فقال علي: بعد كلام جرى بينهم وبينه عليه السلام في إمامته: إنا روينا عن آبائك عليهم السلام أنّ الامام لا يلي أمره إلا إمام مثله، فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو غير إمام؟ قال: كان إماماً قال: فمن ولي أمره؟ قال: علي بن الحسين قال: و أين كان علي بن الحسين؟ كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد، قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف، فقال له أبو الحسن: إن هذا الذي أمكن علي بن الحسين أن يأتي كربلا فيلي أمر أبيه، فهو يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد ويلي أمر أبيه) [٢].

- عن الإمام الصادق عليه السلام: (قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر قال ففتح لأمير المؤمنين عليه السلام بصره فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض يغسلون النبي صلى الله عليه وآله معه ويصلون معه عليه ويحفرون له والله ما حفر له غيرهم حتى إذا وضع في قبره نزلوا مع من نزل فوضعوه فتكلم وفتح لأمير المؤمنين عليه السلام سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى

١- قال المفيد: (ولما رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه رحمة الله عليهم، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله مما يلي رجلي الحسين عليه السلام وجمعوهم فدفنوهم جميعا معا، ودفنوا العباس بن علي عليهما السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن) الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٤.

قال ابن شهراشوب: (ودفن جثثهم بالطف أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوه بيوم، وكانوا يجدون لأكثرهم قبورا، ويرون طيورا بيضا) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٥٩.

قال ابن طاووس: (قال الراوي: ولما انفصل عمر بن سعد لع عن كربلاء خرج قوم بنى أسد فصلوا على تلك الجثث الطواهر المرملة بالدماء ودفنوها على ما هي الآن عليه) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٢٥.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٦٩.

وسمعهم يقولون لأنالوه جهداً و إنما هو صاحبنا بعدك الا انه ليس يعايننا ببصره بعد مرتنا هذه حتى إذا مات أمير المؤمنين عليه السلام رأى الحسن والحسين مثل ذلك الذي رأى ورأيا النبي صلى الله عليه وآله أيضا يعين الملائكة مثل الذي صنعوه بالنبي حتى إذا مات الحسن رأى منه الحسين مثل ذلك ورأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يعينان الملائكة حتى إذا مات الحسين رأى علي بن الحسين منه مثل ذلك ورأي النبي صلى الله عليه وآله وعلياً والحسن يعينون الملائكة ..... هكذا يجرى إلى آخرنا) [١].

والرواية صريحة في تولي الإمام علي بن الحسين عليه السلام تجهيز ودفن والده الإمام الحسين عليه السلام.

تنبيه: بالنسبة إلى حضور الإمام علي بن الحسين إلى كربلاء لدفن الأجساد، فقد كان أمراً غيبياً ولم يحصل وفق الأسباب الطبيعية والعادية المعروفة [٢].

قال السيد المقرّم: (وفي اليوم الثالث عشر من المحرم أقبل زين العابدين لدفن أبيه الشهيد عليه السلام ..... ولما أقبل وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون ولم يهتدوا إلى معرفتهم فأخبرهم عليه السلام عما جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة، وأوقفهم على أسمائهم كما عرفهم بالهاشميين من الأصحاب ...

ثم مشى إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاء عالياً و أتى إلى موضع القبر ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفيه تحت ظهره وقال: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. و أنزله لحده وحده لم يشاركه بنو أسد فيه، وقال لهم: إنّ معي من يعينني، ولما أقرّه في لحده وضع خده على منحره الشريف قائلاً: طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهّدا والحزن سرمدا أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي انت بها مقيم! وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة

١- بصائر الدرجات، الصفار: ٢٤٥.

٢- هذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن في حوار خاص كان معه.

الله وبركاته. وكتب على القبر: هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم مشى إلى عمّه العباس عليه السلام، فرآه بتلك الحالة التي ادهشت الملائكة بين أطباق السماء و أبكت الحور العين في غرف الجنان، ووقع عليه يلثم نحره المقدس قائلاً: على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته. وشقّ له ضريحاً و أنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد: إنّ معي من يعينني.

نعم، ترك مساغاً لبني أسد بمشاركته في مواراة الشهداء، وعيّن لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين، ووضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية الأصحاب. واما الحر الرياحي فأبعدته عشيرته إلى حيث مرقده الآن، وقيل: إنّ أمه كانت حاضرة فلما رأت ما يصنع بالأجساد حملت الحر إلى هذه المكان.

وكان أقرب الشهداء إلى الحسين ولده "الأكبر" عليه السلام، وفي ذلك يقول الإمام الصادق لحماد البصري: "قتل أبو عبد الله غريباً بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه ...") [١].

تقييم عقيدة "السباع" المبتدعة!

راجت في الآونة الأخيرة عقيدة يتشدق بها البعض مفادها: "إنّ جسد المعصوم لا تأكله السباع"، وهم لا يطرحونها كصفة إعجازية تحدث متى ما شاء الله سبحانه ذلك لهون الأمر [٢]، و إنما يصوّرون أنها أمر ملازم وثابت للمعصوم وبه يُعرف، بمعنى (بحسبهم طبعاً): إنك إذا أردت أن تتعرّف على إمام من آل محمد فطريق معرفتك به أنك تلقيه

١- مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم: ٣١٩ – ٣٢١.

٢- باعتبار أنّ المعاجز لا تحصل جز افاً وحسب الطلب، و إنما تُجرى وفق قانون وحكمة إلهية تستدعي ذلك.

للسباع وتنتظر فإن امتنعت عن أكله ثبتت إمامته وإلا بطل مدعاه! هذا ما جادت به قريحة البعض في الزمن الأغبر!

لا شك، إنّ مثل هذه العقائد بدع ليس لها عين ولا أثر في محكم كتاب الله ومتواتر السنة، وهما القطعيان المطلوب توافرهما - أو أحدهما - في مسألة إثبات أو نفي أي أمر عقائدي كما هو المقرر والثابت عند المسلمين حيث إنّ العقيدة بنظرهم تؤخذ بالعلم والقطع لا غير.

النصوص القطعية - قرآناً ورواية - أكدت أنّ المعصوم يُعرف بالنص، ويُعرف أيضاً بالعلم، وأما المعجز المادي فأمره بيد الله وليس أمراً ثابتاً ولازماً دائماً [١]، فإن شاء الله وحصل أيّد النص وإلا فلا يضر عدم حصوله بإمامة الإمام الحق ولا عصمته بعد احتجاجه بالنص والعلم، وهذا الأمر تم بحثه مفصّلاً في كتاب "عقائد الإسلام" [٢]، لكننا هنا نطرح المسألة ليتم تقييمها من وجهة نظر نصوص الثورة الحسينية فحسب، فأقول:

بقي جسد الإمام الحسين صلوات الله عليه مطروحاً بالعراء على رمضاء كربلاء بلا غسل ولا كفن ولا دفن ثلاثة أيام، وإمكانية أن تنال منه السباع واردة (أقول: كإمكان وليس الأمر لابد أن يحصل أو حصل فعلاً)، وليس الأمر بممتنع ومحال تحققه؛ بدليل:

- قوله صلوات الله عليه في خطبته المكيّة الشهيرة: "كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشاً جوفاً، وأجربة سغباً ..." [٣].
- قول السيدة زينب بنت علي عليها السلام ليزيد لعنه الله: "... فهذه الأيدي تنطف من دمائنا وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات ..." [٤].

١- قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ" الإنعام: ١٠٩؛ "قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" العنكبوت: ٥٠.

٢- كتاب عقائد الإسلام، للسيد أحمد الحسن، أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

٣- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٣٨؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٢٩.

٤- بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢٢.

- "فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل" [١].

قال السيد أحمد الحسن معقّباً على النصوص أعلاه:

(و"عسلان الفلوات": أي الحيوانات المفترسة البرية أو الذئاب منها بالخصوص، و"أمهات الفراعل": أي الضباع، وظاهر الكلام واضح. .....

وقد حاول بعضهم تأويل هذه الروايات بتأويلات ضعيفة لا تقوم أمام النقد العلمي. وفي الحقيقة إنه لا يُصار إلى التأويل إلا عند الضرورة ولا ضرورة هنا للتأويل، فلا يوجد دليل عقلي أو نقلي قطعي الصدور والدلالة يدفع للاعتقاد بأنّ جسد خليفة الله لا يمكن أنْ تتجرأ عليه الحيوانات غير العاقلة، في حين ثبت قطعاً تجرؤ الإنسان العاقل على جسده حتى وصل بهم إلى قطع إصبع الحسين صلوات الله عليه، وليتهم قطعوني إرباً دون إصبعه بأبي وأمي هو. .....

أيضاً: في قصة يوسف عليه السلام قال تعالى: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" يوسف: ١٣، ويعقوب خليفة من خلفاء الله ويوسف كذلك، وظاهر قول يعقوب في القرآن حجة ودليل، فيعقوب إذن بحسب القرآن لا يعتقد بهذا الاعتقاد الفاسد، بل يعتقد أنّ يوسف ممكن أنْ يأكله الذئب، وبالتالي خاف عليه من الذئاب وحذّر أبناءه من أنْ يأكل الذئب أخاهم يوسف خليفة الله في أرضه، وأخوة يوسف فهموا واعتقدوا بأنّ الذئب ممكن أنْ يأكل يوسف عليه السلام، لهذا أجابوا يعقوب عليه السلام بقولهم: "قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ" يوسف: ١٤. فيعقوب إذن هو الذي جعل أبناءه يعتقدون بعكس ما يعتقد أهل الضلال اليوم، وصرّح أمامهم بقول واضح بأنه يخاف أنْ يأكل الذئب خليفة الله عليه السلام، فهل خفي على نبي الله يعقوب أنّ خليفة الله لا يأكله الذئب، بينما لم يخفَ هذا الأمر على أصحاب هذه العقائد الباطلة؟!!

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٠٧؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣٤.

أما القول بأنّ يعقوب عليه السلام إنما أراد أمراً باطنياً، وقصد بالذئاب أخوة يوسف عليه السلام، فهذا الأمر لا يتعارض مع كون ظاهر قول يعقوب - وما يفهمه منه من يسمعه وما فهمه منه أبناؤه كما هو واضح من ردهم عليه - دال وبوضوح أنّ الذئب يمكن أنْ يأكل خليفة الله في أرضه يوسف عليه السلام، كما يمكن أنْ يأكل غيره من الناس) انتهى [١].

يؤكد ذلك أيضاً قول الإمام الصادق عليه السلام الذي صرح فيه بأنّ قتلة الحسين لعنهم الله عرّضوا جسده الشريف للسباع:

(عن عبد الله بن حماد البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: ان عندكم - أو قال: في قربكم - لفضيلة ما أوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وإنّ لها لأهلاً خاصة قد سموا لها، وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، الا ما كان من صنع الله لهم وسعادة حباهم الله بها ورحمة ورأفة وتقدم. قلت: جعلت فداك وما هذا الذي وصفت ولم تسمه، قال: زيارة جدي الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله، في ارض فلاة لا حميم قربه ولا قريب، ثم منع الحق وتوازر عليه أهل الردة، حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيّعوا حق رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيته به وبأهل بيته، فأمسي مجفواً في حفرته، صريعاً بين قرابته، وشيعته بين أطباق التراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا) [٢].

١- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث خليفة الله والصفات المعجزة.

٢- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٥٣٧ – ٥٣٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٩٨ / ٧٣.

أحداث هامة قبل مسير الركب إلى الشام:

أول الغيث قطرة!

أثمرت دماء الحسين صلوات الله عليه وجهود زينب صلوات الله عليها وركبها الطاهر في فضح باطل ابن زياد والأمويين لعنهم الله عاجلاً، والركب لا زال موجوداً في الكوفة لم يغادرها بعدُ، إذ ذكرت رو ايات المؤرخين أنّ اللعين ابن زياد جمع الناس في المسجد الأعظم فصعد المنبر خطيباً وقال: "الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين (الفاسقين) وأشياعه وقتل الكذاب بن الكذاب"!

ولم يزد الخبيث على كلامه هذا شيئاً إلا ووثب عليه عبد الله بن عفيف الأزدي [١] قائلاً: "يا عدو الله، إنّ الكذاب و ابن الكذاب أنت و أبوك والذي ولّاك و أبوه، يا ابن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين"؟!

(فقال ابن زياد: عليّ به قال فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه قال: فنادى بشعار الأزد يا مبرورقال وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال ويح غيرك أهلكت نفسك وأهلكت قومك قال وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك) [٢].

كان جندب بن عبد الله الأزدي [٣] رآهم لما أخذوا ابن عفيف، فقال: "قبح الله العيش بعده" فقام وقاتل دونه فأخذوه معه.

١- كان شيعياً، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل واليمنى يوم صفين بعد أن ضُرب على رأسه وحاجبه، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٣.

٢- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٠ – ٣٥١. وقصة مقتله بشكل أكثر تفصيلاً وردت في مصادر كثيرة، منها: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١٠ – ٢١١؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٥٩ – ٦٢.

٣- يقال له: جندب الخير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه،

وروي: (لما أُدخل - ابن عفيف - على عبيد الله، قال له: الحمد لله الذي أخزاك! فقال ابن عفيف: يا عدو الله، بماذا اخزاني؟ .... فقال له: ما تقول في عثمان؟ فقال: يا ابن مرجانة يا ابن سمية يا عبد بني علاج! ما انت وعثمان أحسن أم أساء وأصلح أم أفسد؟ الله ولي خلقه يقضي بينهم بالعدل والحق، ولكن سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد و أبيه! فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت! فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، كنت أسأل الله ان يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك مرجانة، وسألته أن يجعل الشهادة على يدي ألعن خلقه وأشرهم و أبغضهم إليه، ولما ذهب بصري آيست من الشهادة، أما الآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرّفني الاستجابة منه لي في قديم دعائي. فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضربت وصلب.

ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبد الله فقال له: يا عدو الله ألست صاحب علي بن أبي طالب يوم صفين؟ قال: نعم، ولا زلت له ولياً ولكم عدواً! لا أبرأ من ذلك إليك ولا اعتذر في ذلك و اتنصل منه بين يديك! فقال ابن زياد: أما إني سأتقرّب إلى الله بدمك! فقال جندب: والله ما يقرّبك دمي إلى الله، ولكنه يباعدك منه، وبعد: فإني لم يبق من عمري إلا أقله وما أكره أن يكرمني الله بهوانك! فقال: أخرجوه عني، فإنه شيخ قد خرف وذهب عقله! فأخرج وخلي سبيله) [١].

وكان سفيان بن يزيد بن المغفل أيضاً ممّن قاتل دفاعاً عن ابن عفيف و أُتي به لابن زياد، لكنه أخلى سبيله مع جندب بن عبد الله، ربما لأنه خشي ردود أفعال قبيلة الأزد في الكوفة، و أيضاً لشفاعة بعض الأزديين المقرّبين من ابن زياد [٢].

ومهما يكن، فلا شك أنّ السبب الذي حرّك المياه الراكدة بالكوفة هو سيلان دم الحسين صلوات الله عليه ومو اقف بقية أهل بيته في الركب المقدس أعني زينب والإمام علي بن الحسين صلوات الله عليهم ومن كان معهما من بنات علي والحسين صلوات الله عليهما؛ حيث هزّت كلماتهم العلوية ومو اقفهم الشجاعة عرش الطاغية، وكان لها دوي في

١- انظر: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦١ – ٦٢.

٢- قال البلاذري: (و أتي بجندب بن عبد الله، فقال له ابن زياد: والله لأتقربن إلى الله بدمك! فقال: إنما تتباعد من الله بدمي؟! وقال لابن المغفل: قد تركناك لابن عمك سفيان بن عوف فإنه خير منك) أنساب الأشراف: ٣ / ٢١١.

آذان الكوفيين الذين صاروا يتناقلونها ويتناقلون الحجج الواضحة فيها، فهيّجت مكامن الخير المتبقي في بعض النفوس وحفّزت وشالة الضمير المترسّب في قاع القلوب!

ولم يكن موقف ابن عفيف رحمه الله هو الأخير، بل على العكس كان هو باكورة مو اقف الرفض للأمويين، إذ استمر تعاقب المو اقف حتى اشتعال ثورة التوّابين بقيادة سليمان بن صرد ثم أعقبتها ثورة المختار الثقفي التي أبادت قتلة الحسين صلوات الله عليه عن بكرة أبيهم وعلى رأسهم ابن زياد و ابن سعد وشمروسنان وحرملة وخولّي وغيرهم لعنهم الله جميعاً.

هل تصدى المختار الثقفي لابن زياد؟

نقل بعض المؤرخين حادثة حصلت بين المختار الثقفي و ابن زياد لعنه الله بعد مقتل عبد الله بن عفيف الأزدي بأسبوع، مفادها:

(أنّ عبيد الله بن زياد لما قتل ابن عفيف الانصاري، وجاءت الجمعة الثانية، صعد المنبروبيده عمود من حديد، فخطب الناس وقال في آخر خطبته: الحمد لله الذي أعزيزيد وجيشه بالعز والنصر وأذل الحسين وجيشه بالقتل! فقام إليه سيد من سادات الكوفة وهو المختار بن أبي عبيد فقال له: كذبت يا عدو الله وعدو رسوله، بل الحمد لله الذي أعز الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة وأذلك وأذل يزيد وجيشه بالناروالخزي! فحذفه ابن زياد بعموده الحديد الذي كان في يده فكسر جبينه وقال للجلاوزة خذوه! فأخذوه.

فقال أهل الكوفة: أيها الأمير، هذا هو المختار! وقد عرفت حسبه ونسبه، وختنه عمر بن سعد وختنه الآخر عبد الله بن عمر! فأوجس في نفسه خيفة، فحبس المختار ولم يتجرأ على قتله، فكتب المختار إلى عبد الله كتاباً شرح فيه القصة، فكتب ابن عمر إلى يزيد: "أما بعد، أفما رضيت بان قتلت أهل نبيك حتى ولّيت على المسلمين من يسب أهل بيت نبينا ويقع فيهم على المنبر؟! عبر عليه ابن عفيف فقتله، ثم عبر عليه المختار فشجّه وقيّده وحبسه! فإذا انت قرات كتابي هذا فاكتب إلى ابن زياد بإطلاق المختار، وإلا فوالله لأرمين عبيد الله بجيش لا طاقة له به والسلام".

فلما قرأ يزيد الكتاب غضب من ذلك، وكتب إلى ابن زياد: أما بعد، فقد وليتك العراق ولم اولك على ان تسب آل النبي على المنابروتقع فيهم، فإذا قرأت كتابي هذا فأطلق المختار من حبسك مكرماً، و إياك ان تعود إلى ما فعلت، وإلا فوالذي نفسي بيده، بعثت إليك من يأخذ منك الذي فيه عيناك! فلما ورد الكتاب على ابن زياد أخرج المختارمن حبسه، ودعا بمشايخ الكوفة وسلّمه إليهم سالماً، فخرج المختارمن الكوفة هارباً نحو الحجاز.....) [١].

أقول: المشادة التي حصلت بين المختارو ابن زياد لعنه الله و انتهت بضربه وشتروجهه صحيحة، لكن توقيت الحادثة غير دقيق، والصحيح أنّ المختار تم اعتقاله قبل مقتل الحسين عليه السلام وتحديداً بعد شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام بيوم لما دخل هو وعبد الله بن الحارث؛ كل منهما على رأس لواء لنصرة مسلم بن عقيل لكنهما وصلا متأخرين وتم اعتقالهما، كما عرفنا ذلك سابقاً [٢].

أما مسألة توسّط زوج أخته – أعني عبد الله بن عمر [٣] – في فكّ من الحبس، ثم ابتعاده – بعد خروجه من السجن – من الكوفة إلى الحجاز، فهو أمر صحيح وورد ذكره في نصوص المؤرخين بكثرة.

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٢٠٥ – ٢٠٦.

٢- راجع الجزء الأول من الكتاب، بحث مقتل مسلم بن عقيل وما تلاه، وهذا نص ما رواه البلاذري:

(وكان المختارعند خروج مسلم في قرية له تدعى "خطو انية" فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء، وركز المختارر ايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً، ووضح لهما قتل مسلم وهاني وأشيرعليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختارواستعرض وجهه بالقضيب فشترعينه وبقيا في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام) أنساب الأشراف، البلاذري: ٥ / ٢١٥.

٣- حيث كان عبد الله بن عمر متزوجاً من صفية بنت أبي عبيد الثقفية أخت المختار، وأما زوج أخته الآخر فهو عمر بن سعد بن أبي وقاص.

مقتل ولدي مسلم بن عقيل:

روى الشيخ الصدوق في كتاب "الأمالي" رواية طويلة [١] توضح مقتل ولدي مسلم بن عقيل، وخلاصة قصتهما رضوان الله عليهما هي:

إنهما غلامان صغيران تم أسرهما يوم عاشوراء من معسكر الحسين بعد مقتله عليه السلام، فأتي بهما إلى عبد الله بن زياد فسلّمهما إلى سجّان وطلب منه أن يضيّق عليهما، وبعد مدة أعلماه بحالهما ونسيهما فاعتذر لهما وفتح لهما باب السجن فخرجا لكنهما لا يهتديان الطريق فانتهيا إلى باب امرأة وطلبا منها أن تضيفهما، وكان زوج بنتها أموياً خرج مع جيش ابن زياد لقتال الحسين فعثر عليهما ودعا بغلام له ليأخذهما ويقتلهما على شاطئ الفرات ويأتيه برأسيهما فأعلماه بحالهما فتركهما في الطريق ولم يمتثل قول سيده ثم دعا ابنه ففعل نفس الشيء، فتولى اللعين مهمة قتلهما بنفسه، وأخذ رأسيهما لابن زياد طمعاً بجائزته.

فلما وصل إليه وقصّ عليه خبر قتله لهما وكيف أنهما توسلا به بأن لا يقدم على قتلهما لكنه لم يستجب لطلبهما، ولما استمع له اللعين أمر أحد جلاوزته بقتله ونصب رأسه على قناة، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة وهم يقولون: "هذا قاتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله"!

١- انظر: الأمالي، الصدوق: ١٤٣ – ١٤٨.

مسير الركب الزينبي من الكوفة إلى الشام:

الزمان: ١٤ محرم ٦١ هـ
المكان: الكوفة - الشام

قلنا: إنّ ركب آل الرسول وصل الكوفة في اليوم الثاني عشر من محرم، ويظهر من سير الأحداث - بحسب نصوص المؤرخين - أنّ مدة بقائهم في الكوفة كانت قصيرة.

مدة مكوث آل الرسول في الكوفة:

من يطالع النصوص التاريخية ينتهي في المسألة إلى قولين:

الأول: لم يزد بقاء الركب في الكوفة على يومين، بمعنى أنّ حركة الركب من الكوفة باتجاه الشام كانت في يوم الرابع عشر من محرم عام ٦١ هـ، بل بعضهم قال بتحرك الركب في اليوم التالي لوصوله إلى الكوفة [1].

الثاني: إنّ مدة بقاء الركب - بحسب بعض المؤرخين [2] - بمقدار الزمن الذي يحتاجه البريد الحكومي بين الكوفة والشام ذهاباً و إياباً، لكن المدة - على كل حال - لابد أن لا تكون طويلة؛ لأن موعد دخول الركب إلى الشام - كما سيتضح - هو الأول من صفر عام ٦١ هـ.

واضح أنّ القول الثاني يصعب تحققه؛ لأن البريد يحتاج – كحد أدنى – إلى أسبوعين ذهاباً و إياباً مع افتراض أنه بريد خيل سريعة ولا تتوقف، ومع هذا فإنّ المتبقي (عن حلول

١- قال ابن الجوزي: (ثم إنّ ابن زياد حط الرؤوس في اليوم الثاني وجهّزها والسبايا إلى الشام إلى يزيد بن معاوية) تذكرة الخواص: ٢٣٤.

٢- قال ابن الأثير: (إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فغن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان. فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي وفيه كتاب يقول: أوصوا وأعهدوا فقد قارب وصول البريد) الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٩٨.

صفر) أسبوع واحد أو أقل، وهو بالتأكيد غير كافٍ لقطع طريق "كوفة – شام" من قبل ركب يتضمن نساء وأطفال كما هو معلوم.

لا شك أنّ الاختلاف بين المؤرخين منشأه وضوح أو عدم وضوح موقف السلطة الحاكمة في الشام من عائلة الحسين لدى ابن زياد لعنه الله، فمن يرى تأخر خروج ركب السبايا من الكوفة حتى وصول البريد من الشام يفترض بالضرورة عدم وضوح الرؤية لدى ابن زياد في هذا الشأن، ولذا فهو ينتظر رجوع البريد ليرى أمر يزيد فيهم ماذا يكون!

لكننا من خلال عرضنا لأحداث الثورة الحسينية ومجرياتها منذ انطلاقتها من المدينة عرفنا أنّ السلطات الأموية المجرمة كانت تعلم جيداً باصطحاب الحسين عليه السلام لعياله ووصولهم معه إلى كربلاء، وكان البريد متواصلاً باستمرار بين ابن زياد ويزيد لعنهما الله وأكيد أنّ الموقف من عائلة الحسين قد تحدّد وتبيّن كما تحدد الموقف من الحسين عليه السلام نفسه، ومن البعيد جداً أن يجهل ابن زياد موقف أميره. هذا إضافة إلى أنّ ابن زياد لعنه الله كان يتمتع بصلاحيات واسعة، وبالتالي فيمكنه أن يرسل ركب السبايا إلى الشام مع رؤوس الشهداء بلا انتظار أي بريد يصله من الشام؛ عملاً بسيرة ولاة بني أمية آنذاك الذين كانوا يرسلون رأس من تتم تصفيته من معارضي حكمهم الأسود إلى دار إمارة الشام باعتبارها مركز الحكم والقرار الأموي [١].

لذا، فالأرجح أنّ مكوث آل الرسول في الكوفة لم يطل، وأنّ ابن زياد لعنه الله عجّل ببعثهم إلى الشام برفقة رؤوس الشهداء؛ لاعتبارات كثيرة، منها:

- الخوف والخشية من ردود الأفعال وتعاطف بعض الكوفيين معهم؛ خصوصاً بعد الصفعات التي تلقاها من عقيلة الطالبيين وأهل بيتها في خطبهم ومو اقفهم

١- ورد أنّ رسولاً أقبل من طرف يزيد لعنه الله يطلب من ابن زياد لعنه الله بعث سبايا آل الرسول إليه:

روي عن ابن سعد: (وقدم رسول من قبل يزيد بن معاوية يأمر عبيد الله أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من ولده وأهل بيته ونسائه، فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف درهم، فتجهزوا بها) ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد، القسم غير المطبوع)، ابن سعد: ٨١.

فال ابن الجوزي: (ثم دعا ابن زياد زحر بن قيس فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد، وجاء رسول من قبل يزيد فأمر عبيد الله أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من أهله) الرد على المتعصب العنيد: ٥٦.

سواء التي كانت مع حشود الكوفيين أو التي كانت معه في مجلسه، وصار يتداولها الخاصة والعامة.

- إنّ أغلبية الجيش الحاضر في كربلاء لقتال الحسين كان من أهل الشام، وبعد قتل الإمام والقضاء على ثورته قرّر قسم منه العودة إلى الشام مباشرة، وقد اصطحب معه رؤوس الشهداء وركب سبايا آل الرسول كما سنعرف.

ومهما يكن الأمر، سألت السيد أحمد الحسن عن مدة مكوث سبايا آل الرسول في الكوفة، فقال: (لم يتجاوز بقاؤهم في الكوفة اليومين) انتهى [1].

طريقة حمل آل الرسول إلى الشام:

كيف تم حمل آل الرسول إلى الشام؟

وهل كانت رؤوس الشهداء معهم أم سبقتهم بالمسير إلى الشام؟

بعض الباحثين ذوي الهوى والتعصّب الأموي لا يقبل إطلاق وصف "السبايا أو الأسارى" على ركب عائلة الحسين عليه السلام، ويعتبره جزءاً من التوظيفات الشيعية التي حصلت في فترات متأخرة لمآرب وغايات طائفية معينة!

لكن النصوص والروايات التاريخية التي بيّنت كيفية حملهم وطريقة التعامل معهم، وكذلك النصوص الواصلة من أهل البيت المحمولين أعني زينب وعلي بن الحسين عليهما السلام ومن كان معهم، كلها تؤكد ذلك (أعني التعامل معهم بوصفهم سبايا مأسورين)، ومن ثمَّ لا قيمة لأي قول أو خطل أو ميل نفسي لا دليل عليه.

بالنسبة إلى طريقة حمل السبايا، فالملاحظ فيها بحسب ما روى المؤرخون:

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

١- تقييد الإمام علي بن الحسين عليه السلام بأغلال إلى عنقه [١]. وبعض المؤرخين ذكر أنّ النساء كنَّ موثقات بالحبال أيضاً [٢].

٢- حُملت النساء والأطفال على محامل بغير غطاء ولا وطاء، وكانوا يُساقون كالأسارى، ويُطاف بهم من بلد إلى بلد [٣]؛ باعتبار أنّ الطريق الذي سلكه الجيش المرافق لهم يمر بمدن مؤمّنة ووقعة تحت سيطرة الأمويون كما سيتضح.

٣- إضافة للخوف، فقد أخذ منهم الجوع مأخذاً: (عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إنّ عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أُصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليالٍ؛ لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منّا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة) [٤].

وهذه بعض الروايات ونصوص المؤرخين التي تبيّن طريقة حملهم:

- العقيلة زينب بنت علي: "قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيّرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب" [٥].

- الإمام علي بن الحسين: "حملني على بعير يطلع بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على عَلَم، ونسوتنا خلفي على بغال أكفّ، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح" [٦].

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٧ / ٩٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١١.

٢- انظر: تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٣٦.

٣- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٦ – ١٢٧؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٩٩ – ١٠٠.

٤- زينب الكبرى، النقدي: ٦٢ – ٦٣.

٥- قاموس الرجال، التستري: ١١ / ٤١.

٦- إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٨٩.

- بغال أكف: ما يوضع على ظهرها ليركب عليه.

- الفارطة: الذي يسبق ويباري.

- ابن عباس في رسالته إلى يزيد: "ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهر العجيب، حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشأم كالسبي المجلوب، تري الناس أنك قهرتنا، و أنك تأمر علينا ..." [١].

- ابن أعثم والخوارزمي: (فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تُساق أسارى الترك والديلم) [٢].

- ابن حبان: "ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقتاب مكشفات الوجوه والشعور فكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه في رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ثم أعيد الرأس إلى الصندوق ورحلوا ..... ثم أُركب الأسارى من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان أقتاباً يابسة مكشفات الشعور، وأُدخلوا دمشق كذلك" [٣].

- أبو الفرج الأصفهاني: (وحمل أهله أسرى وفيهم عمر وزيد والحسن بنو الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان الحسن بن الحسن بن علي قد ارتث جريحاً فحمل معهم، وعلي بن الحسين الذي أمه أم ولد، وزينب العقيلة، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وسكينة بنت الحسين ...) [٤].

- ابن عبد ربه: (وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على أحقاب الإبل) [٥].

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥٠.

٢- الفتوح: ٥ / ١٢٧؛ مقتل الحسين: ٢ / ٥٥.

٣- الثقات، ابن حبان: ٢ / ٣١٢ – ٣١٣.

٤- مقاتل الطالبيين: ١١٩.

٥- العقد الفريد: ٤ / ٣٥٨.

- الباعوني الشافعي: (وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على الأقتاب) [١].

- ابن العماد الحنبلي: (ولما تم قتله حمل رأسه وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ومن أمر به أو رضيه) [٢].

- الشبراوي: (ومن عجائب الدهر الشنيعة وحوادثه الفظيعة أن يُحمل آل النبي صلى الله عليه وسلم على أقتاب الجمال موثقين بالحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس من العراق إلى أن دخلوا دمشق، فأُقيموا على درج الجامع حيث يقام الأسارى والسبي، والأمر كله لله، لا حول ولا قوة إلا به) [٣].

حقيقة، لا أعرف إن كان هذا النقل الروائي والتاريخي يكفي لمنح جريمة الأمويين لعنهم الله بحق آل محمد الوصف الذي تستحق (الأسر، السبي)، أو لا زال أولئك المتعصبين – معطوبي الفكر والقلب – يرون أنّ حمل آل محمد إلى الشام برفقة رأس ريحانة الرسول ورؤوس أهل بيته وصحبه المرفوعة على الرماح كان نزهة؟!!

ثم إنّ نصوص المؤرخين اختلفت في أمور كثيرة تخص مسير الركب إلى الشام، منها:

أولاً: أسماء أُمراء البعث المصاحب لسبايا آل الرسول، فذكرت بعض النصوص اسم محفز بن ثعلبة العائذي ومعه شمر بن ذي الجوشن [٤]، وذكرت نصوص أخرى اسم زجر أو زحر بن قيس الجعفي ومعه أبو بردة بن عوف وطارق بن أبي ظبيان الأزديان [٥].

١- جواهر المطلب في مناقب الإمام علي عليه السلام، الباعوني الشافعي: ٢ / ٢٧٣.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١ / ٦٨.

٣- الإتحاف بحب الأشراف: ٥٥.

٤- انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤١٦.

٥- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١٢؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٨.

وبعض المؤرخين جمع الكل برواية واحدة [١].

ثانياً: اختلفت نصوص المؤرخين - أيضاً - بمسألة بعث رؤوس الشهداء إلى الشام، وهل أُرسلت مع الركب في بعث واحد، أم سبقته ببعث خاص، أم أنّ الواصل أولاً هو رأس الإمام الحسين صلوات الله عليه ثم لحقته بقية الرؤوس وركب العائلة؟

بعض النصوص ذكرت أنّ رؤوس الشهداء بُعثت مع ركب السبايا [٢]، ونصوص أخرى أشارت إلى أنّ بعث الرؤوس كان قد سبق [٣]، ونصوص ثالثة بيّنت أنّ سبق الرؤوس كان في الخروج من الكوفة فقط ثم التقى به بعث السبايا في الطريق [٤]، وبعضهم روى وصول رأس الإمام الحسين إلى الشام أولاً [٥]. وهكذا نرى أنّ المسائل أعلاه غير محسومة في كلمات ونصوص المؤرخين ولا حتى عند الباحثين الذين اعتمدوا عليها بالدرجة الأساس.

١- قال الدينوري: (قالوا: ثم إنّ ابن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن. فساروا حتى قدموا الشام، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق، وأدخل معهم رأس الحسين، فرمى بين يديه) الأخبار الطوال: ٢٦٠.

٢- قال ابن أعثم: (قال: ثم دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفي فسلّم إليه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ورؤوس إخوته ورأس علي بن الحسين ورؤوس أهل بيته وشيعته رضي الله عنهم أجمعين. ودعا علي بن الحسين أيضاً فحمله وحمل أخواته عماته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية. قال: فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم) الفتوح: ٥ / ١٢٦ – ١٢٧.

٣- رووا: (ثم إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يُدار به في الكوفة ثم دعا زحر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١٢؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٨.

٤- قال المفيد: (ثم إنّ عبيد الله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بنسائه وصبيانه فجهزوا، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، ثم سرح بهم في أثر الرأس مع مجفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس، ...) الإرشاد: ٢ / ١١٨؛ وانظر أيضاً: إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ١ / ٤٧٣.

٥- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٧؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦٢.

سألت السيد أحمد الحسن: هل سارت رؤوس الشهداء قبل الركب منفردة، أو منضمة معه في مسير واحد؟ فما هو الصحيح بعد اختلاف نصوص المؤرخين؟

فأجاب: (أخذ بعض جيش الشام العائد من معركة الطف إلى يزيد لعنه الله رؤوس الشهداء والسبايا معهم في نفس القافلة؛ ليثبتوا له تحقيق مراده لعنه الله في إنهاء ثورة الحسين عليه السلام) انتهى [١].

وما ذكره السيد أحمد الحسن تؤكده نصوص بعض المؤرخين، منهم:

- ابن عبد ربه: (وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على أحقاب الإبل) [٢].
- الباعوني: (وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على الأقتاب) [٣].

لا شك أنّ اصطحاب جيش الشام لرؤوس شهداء كربلاء وسبايا آل الرسول لا يمنع من تواجد بعض الشخصيات الكوفية التي قادت قطيع الكوفيين المشتركين بحرب الحسين أو تكثير السواد عليه، فهي الأخرى تريد أن تعلن ولاءها للأمويين وتبين مساهمتها بالقضاء على ثورة الإمام الحسين، ويكون لها نصيب من عطايا يزيد لعنه الله وجوائزه التي خصصها للمشتركين بقتل ريحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة.

وهذا الطرح (أعني: اصطحاب جيش الشام لرؤوس الشهداء وركب السبايا) [٤] هو الأوفق بالمعطيات ومجريات الأحداث، فالركب بما يحمله من "رؤوس وأسارى" قد يؤدي التهاون في التعامل مع قضيتهم إلى ردة فعل كبيرة تهدد الحكم الأموي برمّته، وهذا يستدعي بطبيعة الحال إلى تولّي قوة عسكرية كبيرة مهمة حراسته في طريق طويل يفصل الكوفة عن الشام!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- العقد الفريد: ٤ / ٣٥٨.

٣- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، الباعوني الشافعي: ٢ / ٢٧٣.

٤- هذا الطرح غائب في نصوص أغلب المؤرخين، أو مغيّب - بالحقيقة - بفعل إرادة سياسية أموية كانت تهدف إلى إبعاد الشام عن جريمة قتل الحسين صلوات الله عليه وعصبها برأس الكوفيين، كما نوهنا له سابقاً.

علماً، إنّ هذه الحيطة نجدها واضحة حتى في اختيار الطريق الذي سلكه جيش الشام؛ فبالرغم من كونها قوات كبيرة لكنها اختارت الطريق الأبعد مسافة كما سنعرف، لا لشيء إلا لكونه يمر بمدن وحواضر مسكونة ومؤمّنة تقع تحت سيطرة الحكم الأموي وبعيدة عن مناطق التوتر، وكان يمكنها اختيار طريق آخر أكثر قرباً واختصاراً يؤدي إلى الشام أيضاً، لكنها تجنبت السير فيه؛ تحسباً للوضع الأمني الذي قد يعترض مسيرها بالركب كما أوضحنا.

ومن الشواهد على حمل أسارى آل محمد ورؤوس الشهداء في قافلة واحدة – إضافة إلى ما تقدم – هو بعض الروايات، منها:

- "جعفر بن محمد عليه السلام قال: قال لي أبي محمد بن علي: سألت أبي علي بن الحسين عن حمل يزيد له فقال: حملني على بعير يطلع بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على عَلَم، ونسوتنا خلفي على بغال أكفّ، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح، حتى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون" [١].

- عن سهل بن سعد قال: (خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوما يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟! قالوا: يا شيخ نراك غريباً! فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً! والأرض لا تخسف بأهلها! قلت: ولم ذاك؟ فقالوا هذا رأس الحسين عترة رسول الله صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتي الآن. قلت: وا عجباً أيُهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! فمن أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له: باب الساعات، فسرت

١- إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣ / ٨٩.

- بغال أكف: ما يوضع على ظهرها ليركب عليه.

- الفارطة: الذي يسبق ويباري.

نحو الباب، فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء.

قال سهل: فدنوت من إحداهن فقلت: يا جارية من أنت؟ فقالت: سكينة بنت الحسين. فقلت لها: ألك حاجة إلي؟ فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمع حديثه. قالت: يا سهل قل لصاحب الرأس: أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا! فنحن حرم رسول الله، قال: فدنوت من صاحب الرأس وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار؟! قال: وما هي؟ قلت: تقدم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك ودفعت له ما وعدته) [١].

ما طلبته سكينة عليها السلام من سهل يؤكد أنّ رؤوس الشهداء كانت مع قافلة أسارى آل محمد كما هو واضح.

من أحداث مسير الركب إلى الشام:

ذكر بعض المؤرخين أحداثاً حصلت أثناء مسير الركب إلى الشام، منها:

١- يد تكتب بيتاً من الشعر: "أترجو أمة قتلت حسيناً * شفاعة جده يوم الحساب"، وقد رويت الحادثة بطرق مختلفة في مصادر كثيرة [٢].

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦٠ – ٦١.

٢- فمثلاً: روي: (لما قتل الحسين عليه السلام بعث برأسه إلى يزيد، فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون ويبتهجون بالرأس، فخرجت عليهم كف من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطراً بدم: أترجو امة قتلت حسيناً * شفاعة جده يوم الحساب). مصادر هذه الحادثة كثيرة جداً، هذه بعضها: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ١٠٥ – ١٠٦؛ مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي: ٢ / ٥٨٣؛ مناقب أمير المؤمنين، ابن المغازلي: ٣١١؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٢١٨؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٩٩؛ المعجم الكبير، الطبراني: ٣ / ١٢٣؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١٠٧.

٢- قصة الراهب مع الرأس الشريف:

قال ابن الجوزي: (ذكر عبد الملك بن هاشم في كتاب "السيرة".... لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال منهم نساء وصبيان وصبيات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أقتاب الجمال موثقين مكشفات الوجوه والرؤوس [١]، وكلما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعد وملّه فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثم يعيدونه إلى الصندوق ويرحلون فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادتهم وأسندوا الرمح إلى الدير، فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نورا من مكان الرأس إلى عنان السماء فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد قال: وهذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نبيكم؟ قالوا: نعم، قال: بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا ثم قال: هل لكم في شئ؟ قالوا وما هو؟ قال : عندي عشره آلاف دينار تأخذوها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذوه قالوا وما يضررنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله فلما أسفر الصبح قال: يا رأس لا أملك إلا نفسي و أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمد رسول الله، وأشهد الله أنني مولاك وعبدك، ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت.

وروي أيضاً: أنّ بيت الشعر هذا كان مكتوباً على صخرة في كنيسة: (فقيل لشيخ في الكنيسة: منذ كم هذا الكتاب؟ فقال: من قبل ان يّبعث صاحبكم بثلاثمائة عام) انظر: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ١٠٦؛ روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٩٤؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١٨.

وقال الدياربكري في تاريخه: (فساروا إلى أن وصلوا إلى دير في الطريق، فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه: أترجو امة قتلت حسيناً ...، فسألوا الراهب عن السطر ومن كتبه؟ فقال: إنه مكتوب ها هنا من قبل أن يبعث نبيكم بخمسمائة عام) تاريخ الخميس: ٢ / ٧٥؛ وروي أيضاً في: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٤ / ٢٤٣؛ أخبار الدول، القرماني: ١٠٨. وذكر ابن عساكر مجموعة من الروايات منها ما ذكرت ستمائة عام، انظر: تاريخ مدينة دمشق: ١٤ / ٢٤٣ – ٢٤٤.

١- لم تكن النساء مكشفات الرؤوس أثناء مسير الركب إلى الشام. نعم، ممكن حصول هذا الأمر لبعض الوقت بالنسبة لبعض النساء يوم عاشوراء أثناء سلب المخيّم كما تقدم.

قال ابن هشام في السيرة: ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحولت خزفا وعلى أحد جانب الدينار مكتوب "لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية" وعلى الجانب الآخر "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" فرموها في برداء) [١].

وشبيه بها قصة رويت عن إسلام راهب على رأس الحسين في مدينة قنسرين [٢].

٣- روي أنّ الأنبياء والملائكة زاروا الرأس الشريف:

(فروى ابن لهيعة وغيره حديثا أخذنا منه موضع الحاجة قال: كنت أطوف بالبيت فإذا برجل يقول اللهم أغفر لي وما أراك فاعلا، فقلت له: يا عبد الله اتقِ الله ولا تقل مثل ذلك فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وروق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم. قال فقال لي: تعالى حتى أخبرك بقصتي فأتيته فقال: اعلم إنا كنا خمسين نفراً ممن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام فكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم فلما جن الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعهم جبرائيل وخلق من الملائكة فدنا جبرائيل من التابوت وأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبله ثم كذلك فعل الأنبياء كلهم وبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأس الحسين عليه السلام وعزّاه الأنبياء وقال له جبرائيل عليه السلام يا محمد إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمتك فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله

١- تذكرة الخواص: ٢٣٦ – ٢٣٧؛ برداء: أي نهر بردى. و أيضاً: ذكر الحادثة بتمامها ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ١٩٩. وروى الخوارزمي حصول الحادثة مع رجل يهودي، انظر: مقتل الحسين: ٢ / ١١٥ – ١١٦.

٢- انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢١٧.

يوم القيامة ثم جاءت الملائكة نحونا ليقتلونا فقلت الأمان الأمان يا رسول الله فقال اذهب فلا غفر الله لك) [١].

٤- و أيضاً: روى البعض أنّ بعض المناطق الو اقعة على الطريق كانت تستقبل ركب آل الرسول بفرح وسرور: (فلما وصلوا إلى بلد تكريت نشرت الأعلام وخرج الناس بالفرح والسرور! فقالت النصارى للجيش: إنّا براء مما تصنعون أيها الظالمون! فإنكم قتلتم ابن بنت نبيكم وجعلتم أهل بيته أسارى!) [٢].

مشاهد في منازل الطريق إلى الشام:

ذكر الشيخ عباس القمي رحمه الله مجموعة من المشاهد التي تقع على طريق مسير الركب الزينبي من الكوفة إلى الشام، فعدَّ منها: مشهد النقطة في الموصل، وفي نصيبين، وفي حماة، وتردد في وجود مشهد للرأس الشريف بمدينة حمص، وكذلك ذكر مشهد عسقلان [٣].

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٠٠ – ١٠١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٢٥ – ١٢٦.

٢- ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٨٩.

٣- أما مشهد الموصل، قال: (وأما مشهده بالموصل فهو، كما في روضة الشهداء، ما ملخصه: إنّ القوم لما أرادوا أن يدخلوا الموصل أرسلوا إلى عامله أن يهيئ لهم الزاد والعلوفة، وأن يزيّن لهم البلدة، فاتفق أهل الموصل أن يهيئوا لهم ما أرادوا، وأن يستدعوا منهم أن لا يدخلوا البلدة، بل ينزلون خارجها، ويسيرون من غير أن يدخلوا فيها، فنزلوا ظاهر البلد على فرسخ منها ووضعوا الرأس الشريف على صخرة، فقطرت عليها قطرة من دم الرأس المكرّم، فصارت تشع ويغلي منها الدم كل سنة في يوم عاشوراء! وكان الناس يجتمعون عندها من الأطراف ويقيمون مراسم العزاء والمآتم في كل عاشوراء، وبقي هذا إلى أيام عبد الملك بن مروان فأمر بنقل الحجر، فلم يُرَ بعد ذلك منه أثر، ولكن بنوا على ذلك قبّة سمّوها مشهد النقطة) نفس المهموم: ٤٢٦.

وعن مشهد نصيبين، قال: (وأما السانحة التي وقعت بنصيبين: ففي الكامل للبهائي ما حاصله: إنهم لما وصلوا إلى نصيبين أمر منصور بن الياس بتزيين البلدة، فزينوها بأكثر من ألف مرآة، فأراد الملعون الذي كان معه رأس الحسين عليه السلام أن يدخل البلد فلم يطعه فرسه! فبدّله بفرس آخر فلم يطعه! وهكذا فإذا بالرأس الشريف قد سقط إلى الأرض، فأخذه إبراهيم الموصلي فتأمل فيه فوجده رأس الحسين عليه السلام فلامهم ووبخهم فقتله أهل الشام، ثم جعلوا الرأس في خارج البلد ولم يدخلوه به. قلت: ولعل مسقط الرأس الشريف صار مشهداً) نفس المهموم: ٤٢٦.

أيضاً: ذكر آخرون أنّ هناك مشهداً في حلب [١].

أما الحموي، فقد ذكر مشهداً لسقط يعود للحسين عليه السلام [٢]. وقد أيّد ذلك السيد المقرّم في مقتله [٣].

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة هذه المشاهد التي وردت في نصوص بعض المؤرخين، فقال: (هناك مشاهد صحيحة لرأس سيد الشهداء) [٤].

وقال عن المشهد في حماة: (وأما المشهد الذي كان بحماة: ففي بعض الكتب نقلاً عن بعض أرباب المقاتل أنه قال: لما سافرت إلى الحج فوصلت إلى حماة رأيت بين بساتينها مسجداً يسمى مسجد الحسين عليه السلام، قال: فدخلت المسجد فرأيت في بعض عماراته ستراً مسبلاً من جدار، فرفعته ورأيت حجراً منصوباً في جدار، وكان الحجر مؤرّباً فيه موضع عنق رأسه أثر فيه، وكان عليه دم منجمد، فسألت من بعض خدام المسجد: ما هذا الحجر والأثر والدم؟ فقال لي: هذا الحجر موضع رأس الحسين عليه السلام فوضعه القوم الذين يسيرون به إلى دمشق) نفس المهموم: ٤٢٦ – ٤٢٧.

وعن مشهد حمص قال: (وأما مشهد الرأس بحمص فما ظفرتُ به، كما أني لم أظفر بمشهد الرأس من كربلاء إلى عسقلان. نعم، في جنب الباب الشمالي من صحن مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام مسجد يسمى مسجد رأس الحسين عليه السلام، وفي ظهر الكوفة عند قائم الغري مسجد يسمى بمسجد الحنّانة فيه يستحب زيارة الحسين عليه السلام لأن رأسه وضع هناك) نفس المهموم: ٤٢٧.

وعن مشهد عسقلان قال أيضاً: (وأما مشهد الرأس الشريف بعسقلان ففي بعض الكتب أنه مشهور) نفس المهموم: ٦٧٨.

١- يقول كامل الغزي: (وفي سنة إحدى وستين قتل الحسين عليه السلام بكربلاء، واحتزّ رأسه الشريف شمر بن ذي الجوشن، وسار به وبمن معه من آل الحسين إلى يزيد في دمشق، فمرَّ بطريقه على حلب ونزل به عند الجبل ووضعه على صخرة من صخراته، فقطرت منه قطرة دم بني على أثرها مشهد عرف بمشهد النقطة) نهر الذهب في تاريخ حلب: ٣ / ٢٤.

٢- قال الحموي: (وفي غربي البلد في سفح جبل جوشن قبر المحسن بن الحسين، يزعمون أنه سقط لما جيء بالسبي من العراق ليحمل إلى دمشق، أو طفل كان معهم بحلب دفن هنالك) معجم البلدان: ٢ / ٢٨٤.

٣- قال السيد المقرم: (وبالقرب من حلب مشهد يُعرف بـ "مشهد السقط" وذلك أنّ حرم الرسول صلى الله عليه وآله لما وصلوا إلى هذا المكان أسقطت زوجة الحسين سقطاً كان يسمى محسناً) مقتل الحسين: ٣٤٦ – ٣٤٧.

٤- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

أيُّ طريق سلكه الركب في مسيره إلى الشام؟

ابتداءً، ينبغي أن نعرف أنّ المسافة بين الكوفة والشام - كخط مستقيم - تبلغ (٨٦٧ كيلو متر)، وبحسب المؤرخين: توجد ثلاث طرق رئيسية بين الكوفة والشام يومذاك، ولكلٍ منها طرق فرعية كثيرة، والطرق هي:

- طريق البادية، أو عرب عقيل: وهو أقصر الطرق بين الكوفة والشام، تبلغ مسافته (٩٢٣ كم)، وواضح أنه أقرب طريق يفصل الشام عن الكوفة. لكن مشكلة هذا الطريق أنه يمر بالصحراء الممتدة بين العراق والشام والتي تعرف بـ"بادية الشام"، وقاطع هذا الطريق يحتاج إلى إمكانيات خاصة وعلى رأسها توفر المياه الكافية. بعض المؤرخين والباحثين يرى أنّ السائر فيه يحتاج إلى أسبوع للوصول.

- طريق الفرات: هذا الطريق عادة ما تسلكه الجيوش والقوافل للاستفادة من المياه والمدن التي تقع على ضفاف الفرات: فهو يمتد من الكوفة باتجاه الشمال الغربي مع مجرى الفرات ثم ينحدر باتجاه الجنوب وينتهي بدمشق، ومن المدن التي يمر بها: الأنبار، هيت، قرقيسيا، الرقة، صفين ...إلخ [١]. وتتفرّع منه طرق فرعية كثيرة، وعموماً يبلغ طوله (١١٩٠ – ١٣٣٣ كم)، وبهذا فهو أطول من طريق البادية و أقصر من الطريق السلطاني.

- طريق شاطئ دجلة (الطريق السلطاني): وهو الطريق الذي يمتد من الكوفة شمالاً مع مجرى نهر دجلة مروراً بتكريت ثم الموصل ومنها ينعطف غرباً ليمر بتلعفر وسنجار ثم نصيبين وعين الوردة وصولاً إلى حلب، ثم ينحدر منها جنوباً ليمر بقنسرين ومعرة النعمان وحماه وحمص ثم بعلبك وصولاً إلى دمشق. يبلغ طول هذا الطريق (١٥٠٠ كم)، وهو أطول الطرق الثلاث كما هو واضح، وله طرق فرعية بعضها يلتقي مع طريق ضفاف الفرات داخل الأراضي السورية.

١- وهو الطريق الذي سلكه جيش أمير المؤمنين عليه السلام في خروجهم لحرب معاوية في "صفين". و أيضاً: هو الطريق الذي سلكه جيش معاوية لحرب الإمام الحسن في منطقة "مسكن".

ومهما يكن، فالمؤرخون وكذا الباحثون لم يحسموا مسألة تحديد الطريق الذي سلكه ركب آل الرسول في مسيره من الكوفة إلى الشام، و إنما طرحوا القضية على مستوى الاحتمال والترجيح الظني لا أكثر:

- بعض الباحثين رجّح سلوك طريق الفرات؛ لأنه أقصر من الطريق السلطاني وبالتالي يكون الأنسب لمسير ركب وقافلة تضم نساءً وأطفالاً[١].
- وبعضهم أشار إلى أنّ الركب قطع طريق البادية؛ لأنه الأقصر[٢].

لكن طريق البادية لا توجد شواهد على سلوكه، بل الشواهد على خلافه مثل قول العقيلة زينب عليها السلام: "أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حر ائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هتكت ستورهنّ و أبديت وجوههنّ يحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناقل" [٣] الذي يقتضي - بطبيعة الحال - سلوكهم طريق تكثر فيه المدن العامرة، وهذا غير موجود في طريق البادية بالتأكيد، إضافة إلى أنها عليها السلام اشتكت ذلك ولم تشكُ من مسألة حرارة الشمس والعطش وما شابه الذي يشعر به من يسلك طريق البادية حتماً!

- وبعضهم احتمل سلوك الطريق السلطاني، ولأنه كان طريقاً طويلاً استبعد تمكن أهل البيت عليهم السلام من زيارة كربلاء في الأربعين الأولى، أي قال برجوعهم من الشام إلى المدينة مباشرة[٤].

١- (ومن مميّزات هذا المسير أنّه ليس طويلاً كالطريق السلطانيّ ولا يوجد فيه مشاقّ الصحراء المحرقة والقاحلة مثل طريق بادية الشام، ولذا فالظاهر أنّ احتمال اختيار هذا الطريق الوسطيّ سيكون أقوى ... باعتبار أنّه أقصر مسافة ومعروف ومحدّد) نهضة عاشوراء، معهد سيد الشهداء: ١ / ٤٨ – ٤٩.

٢- قال الطبسي: (إنهم سلكوا ببقية الركب الحسيني في سفرهم من الكوفة إلى الشام أقصر الطرق مسافة، سواء أكان طريق عرب عقيل أو غيره، ونستبعد أنهم سلكوا ما يسمّى بالطريق السلطاني الطويل) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ٥ / ١٨٥ – ١٨٧. واحتمل المحدث النوري سلوك هذا الطريق.

٣- بحار الأنور، المجلسي: ٤٥ / ١٥٨؛ العوالم – الإمام الحسين، عبد الله البحراني: ٤٠٣ – ٤٠٤.

٤- منهم: الميرزا النوري، انظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٥٠.

تنبيه:

مع أنّ الشواهد التاريخية والمشاهد التي تركها ركب آل الرسول ورؤوس الشهداء [١]، تؤيد سلوك الطريق السلطاني إلا أنّ الكثيرين لم يرجّحوا سلوكه؛ بحجة أنّ الفترة الزمنية لم تكن كافية، خصوصاً مع قبول الأحداث التي جرت للركب في منازل الطريق، فهي - بلا شك - تتطلب وقتاً طويلاً، و أيضاً: خصوصاً عند من يرى أنّ أهل البيت عليهم السلام عادوا من الشام إلى كربلاء لزيارة الحسين صلوات الله عليه، فهذا يتطلب سلوك الطريق الأقرب ليكون بالإمكان - بحسب الفترة الزمنية المتبقية - عودتهم إلى كربلاء في العشرين من صفر كما يعتقدون!

ولأجل حسم هذا الأمر، سألت السيد أحمد الحسن: أيُّ طريقٍ سلكه الركب؟ فقال:

(سلك جيش الشام العائد ليزيد لعنه الله مع غنائمه "رؤوس آل محمد، وسبايا عائلة الرسول محمد صلى الله عليه وآله" ما يُعرف بالطريق السلطاني أو طريق دجلة أو الطريق الذي فيه المشاهد المعروفة، والسبب أنه طريق آمن ويمر بمدن مؤمّنة من الأمويين وبعيدة عن مناطق لا يسيطر عليها الأمويون أو مضطربة في ذلك الوقت كالحجاز والبصرة ووسط وجنوب العراق عموماً) انتهى [٢].

من المؤلم حقاً أن يتم التعامل مع "آل الرسول" بوصفهم "غنائم حرب" و"أسارى" يُطاف بهم البلدان، ويتفرج عليهم القاصي والداني، في ظل حكم يزعم أصحابه أنهم يحكمون باسم الرسول!

المعروف أنّ المرء يُحفظ في ولده، وزينب و ابن أخيها الإمام علي بن الحسين ومن كان معهم في القافلة المسبيّة هم أبناء علي وفاطمة، وفاطمة بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وبالنتيجة فهم ذرية الرسول، وأنهم من بيت أذهب الله الرجس عن أهله وطهّرهم تطهيراً، فهل جزاؤهم القتل والسبي؟!!

١- مثل: مشاهد رأس الحسين عليه السلام في أكثر من موضع، و أيضاً مشاهد أخرى رويت كما عرفنا سابقاً.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

وإني هنا إذ أثير هذا الأمر لا أستغرب من فعل الأمويين؛ لعلمي بقذارتهم ورجسهم، وليس غريباً أن يبغض الرجس الطاهر وينفر منه ويحشد كل قواه للقضاء عليه، لكن الغريب أن تجد بعض مدعي الإسلام يسعون جاهدين إلى تلميع صورة الأمويين واعتبار حكمهم إسلامياً ويضفون على حكام مملكتهم ألقاباً ومزايا حتى يوم الناس هذا!

عموماً، وصل ركب آل الرسول إلى الشام بعد أن قضى ما يناهز الستة عشر يوماً في الطريق إليها؛ إذ عرفنا سابقاً أنّ الركب تحرّك من الكوفة في اليوم الرابع عشر من محرم ودخل دمشق في اليوم الأول من صفر عام ٦١ هـ.

(٣)

ركب آل الرسول في الشام

الزمان: ١ صفر ٦١ هـ

قلنا: إنّ ركب عائلة الإمام الحسين دخل الشام في اليوم الأول من صفر عام ٦١ هـ مصحوباً برأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه.

دخول الركب دمشق:

متى كان الدخول، وكيف؟

بحسب المؤرخين، دخل ركب آل الرسول ومعه رؤوس الشهداء دمشق في اليوم الأول من صفر[١].

قال السيد أحمد الحسن: (١ صفر عام ٦١ للهجرة: دخول قافلة السبايا من عائلة محمد صلى الله عليه وآله رسول الإسلام إلى الشام على يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله جميعاً قائد عبدة هبل. ...)[٢].

١- على سبيل المثال:

- البيروني: (في اليوم الأوّل من شهر صفر أُدخل رأس الحسين مدينة دمشق) الآثار الباقية عن القرون الخالية: ٣٣١.

- الكفعمي: (وفي أوله - أي صفر - أُدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وهو عيد عند بني أمية) المصباح: ٥١٠.

٢- بريد الصفحة، السيد أحمد الحسن: الجزء الأول، أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

بعض الروايات [١] صوّرت الوضع في الشام عند دخول محامل آل الرسول، فقد كانت مظاهر الابتهاج تملأ شوارع دمشق، والناس فيها كانوا بحالة فرح وسرور، والنساء تلعب بالدفوف والطبول، حتى انتهى ركب السبايا إلى درج باب المسجد [٢].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: "لما قُدم على يزيد بذراري الحسين أُدخل بهن نهاراً مكشوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبياً أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين: نحن سبايا آل محمد" [٣]. قال عليه السلام: "... فأقيموا على درج المسجد حيث يُقام السبايا" [٤].

مسألة إيقافهم على درجة المسجد (الموضع الذي يقف فيه السبي والأسرى عادة) هو لعرض الموقوفين على الناس بحيث يسهل التفرج عليهم، وكان إيقاف آل الرسول في ذلك الموضع بأمر من يزيد لعنه الله.

(ثم بعث ابن زياد به - أي رأس الحسين عليه السلام - وبأولاده إلى يزيد بن معاوية فأمر نساءه وبناته فأقمن بدرجة المسجد حيث توقف الأسارى ينظر الناس إليهم) [٥].

(قال: و أتي بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدخلوا مدينة دمشق من باب يقال له باب توماء، ثم أتي بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي. وإذا الشيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين: يا شيخ! هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته، قال: فعرفت هذه الآية "قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى"؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي بن الحسين رضي الله عنه: فنحن القربى يا شيخ! قال: فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: "وآت ذا القربى حقه"؟ قال الشيخ: قد قرأت

١- كرواية سهل بن سعد المتقدمة.

٢- انظر: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٢١٠؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٩٧؛ الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٥٥.

٣- قرب الإسناد، الحميري: ٢٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٦٩.

٤- الأمالي، الصدوق: ٢٣٠.

٥- انظر: تاريخ مختصر الدول، ابن العبري: ١١٠ – ١١١؛ البدء والتاريخ، المقدسي: ٦ / ١٢.

ذلك، فقال علي رضي الله عنه: نحن القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية "واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى". [قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي]: فنحن ذو القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي: فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية الطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتا نادما على ما تكلمه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم! إني تائب إليك مما تكلمه ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس) [١].

الحوار الذي دار بين الإمام علي بن الحسين عليه السلام والشيخ الشامي يكشف عن عظيم رحمة آل محمد بالخلق، فبالرغم من ألم ومعاناة الإمام والحال الذي كان هو وعيال أبيه به لكنه قام بإيضاح دين الله الحق لمن جاءهم شامتاً بهم، فاستوعبه الإمام بخلقه وصبره و أبان له الحق بهدوء حتى أنار الله قلبه بما سمعه منه.

أيضاً: استوعب الإمام عليه السلام شامياً آخر جاءه قائلاً: "أبوك قتل المؤمنين"!

(عن يحيى بن مساور قال: أتى رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: أنت علي بن الحسين؟ قال: نعم. قال أبوك قتل المؤمنين! ... قال: ويلك وبما قطعت على أبي أنه قتل المؤمنين؟ قال: بقوله: إخوانا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم. قال: أما تقرأ القرآن؟ قال: إني أقرأ، قال: أما سمعت قوله: "وإلى عاد أخاهم هوداً، وإلى مدين أخاهم شعيباً، وإلى ثمود أخاهم صالحاً"؟ قال: بلى. قال: كان أخاهم في عشيرتهم أو في دينهم؟ قال: في عشيرتهم [ثم] قال: فرجت عني فرج الله عنك) [٢].

هذه الحوارات تكشف عن عمق التضليل الإعلامي وتزييف الحقائق الذي كانت تمارسه السلطات الأموية المجرمة، حيث استطاعت أن تصوّر لرعاياها أنّ آل الرسول -

---

١- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٩ – ١٣٠.

٢- تفسير فرات الكوفي: ١٩٢.

الذين فرض الله على جميع المسلمين محبتهم ومودتهم وولاءهم - خارجون عن الدين بحيث إنّ قتلهم وأسر من بقي منهم أراح العباد والبلاد!

وهذا درس كبير يمكن للناس أن تتعظ به ولا تتسرّع فتنخدع بوسائل إعلام السلطة الحاكمة وقنواتها المضللة التي يديرها الأبواق والمنتفعون من حكم الظلمة، إذ يعمدون - دائماً - إلى لصق التهم الجاهزة بأي مصلح يقوم بتنبيه الناس للو اقع الفاسد ويسعى إلى إصلاحه!

وبحسب المروي تاريخياً، فإنّ هذه الحادثة هي أول موقف يتكلم فيه الإمام علي بن الحسين عليه السلام منذ خروجه من الكوفة، إذ ورد أنه بقي صامتاً خلال الطريق ولم ينطق بشيء!

ومن الأمور الملفتة عند دخول ركب آل محمد الشام هو نطق رأس الحسين صلوات الله عليه، وقد تقدم في بحوث سابقة أنه نطق في الكوفة ببعض الآيات، وبيّنا سبب نطقه بآيات من سورة الكهف أو سمع يقول: "لا قوة إلا بالله" [١]، وفي دمشق تكررت المسألة، وهذه بعض رو ايات المؤرخين:

- (عن المنهال بن عمرو قال أنا والله رأيت رأس الحسين بن علي حين حمل و أنا بدمشق وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله تعالى "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا" قال فأنطق الله الرأس بلسان ذرب فقال أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي) [٢].
- (وسمع أيضاً صوته بدمشق يقول: لا قوة إلا بالله) [٣].

١- راجع بحث: رأس الإمام الحسين / بماذا نطق الرأس الشريف!

٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٠ / ٣٧٠؛ الخر ائج والجر ائح، الراوندي: ٢ / ٥٧٧.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢١٨.

دخول حاملي رأس الحسين(ع) على يزيد:

روى المؤرخون عن: (عبد الله بن ربيعة الحميري فقال: إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق، إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل عليه، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك وما عندك؟ قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا أو ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فغدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم، جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كانوا إلا جزر جزور أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح، زوارهم العقبان والرخم. فأطرق يزيد هنيهة ثم رفع رأسه فقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما لو أني صاحبه لعفوت عنه) [1].

وروى بعضهم: (..... أطرق يزيد ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا هذا لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن علي، أما والله لو صار إليّ لعفوت عنه، ولكن قبح الله ابن مرجانة. قال: وكان عبد الله بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - قاعداً عند يزيد بن معاوية، فجعل يقول شعراً، فقال يزيد: نعم لعن الله ابن مرجانة، إذ أقدم على قتل الحسين ابن فاطمة، أما والله لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت، ولو كان بهلاك بعض ولدي، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فلم يكن له منه مرد) [2].

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٨ – ١١٩؛ و انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥١ – ٣٥٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٨ / ٤٤٥؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٣ -٨٤.

وبحسب رواية بعضهم: (قال: فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، ورحم الله الحسين. ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء. ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال: أما والله لو أني صاحبك ما قتلتك) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤١ – ٣٤٢؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٠٨؛ الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٤ / ١٢٧.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٧ – ١٢٨.

و أيضاً: روى بعضهم: (عن القاسم بن بخيت قال لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم كيف صنعتم قالوا ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا فأتينا والله على آخرهم وهذه الرؤوس والسبايا فوثب مروان فانصرف و أتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال ما صنعتم فأعادوا عليه الكلام فقال حجبتم عن محمد يوم القيامة لن أجامعكم على أمر أبدا ثم قام فانصرف ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث قال فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال نعم فاعولي عليه وحدّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش عجّل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ...) [١].

من يطالع هذه النصوص التاريخية وما شابهها، وفي نفس الوقت يستحضر الوقائع والأحداث المتقدمة، لا شك أنّ بإمكانه ملاحظة صدق زحر بن قيس لعنه الله - في النص الأول - في بيان عدم استسلام الحسين صلوات الله عليه و أنه اختار الموت على أن يعطي بني أمية إعطاء الذليل "الاستسلام"! وكان صادقاً أيضاً في قوله إنّ الجيش الأموي أحاط بالحسين عليه السلام من كل جانب. لكنه كان كاذباً في بيان هروب جيش الحسين من المعركة وأنهم - حاشاهم - كان يلوذون بالحفر والآكام، وأنّ وقت القضاء عليهم كان قصيراً: "جزر جزور أو نومة قائل"!

هذا كذب صريح و"همبلة" فارغة [٢]! فقد استعرضنا - سابقاً - الروايات والنصوص التاريخية وعرفنا أنّ المعركة بدأت صباح يوم العاشر وامتدت إلى ما بعد الزوال، واستعرضنا - أيضاً - الأسباب التي كانت تقف وراء طول وقت المعركة مع وجود الفارق الكبير بين الجيشين عدة وعدداً، وكان أهمها شجاعة وبسالة الحسين وأهل بيته و أنصاره صلوات الله عليهم أجمعين.

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٥ – ٣٥٦.

٢- الهمبلة: كلمة عاميّة تطلق على الأمر لما يكون غير حقيقي ولا واقعي، ولما يكون القول أكبر من الفعل بكثير.

الأمر الآخر: قول يزيد لعنه الله: "قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما لو أني صاحبه لعفوت عنه"، أو "لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها"، أو قوله لزوجته: "عجّل عليه ابن زياد فقتله قتله الله" ..... إلخ، وكذلك: ما قيل من بكائه ولعنه عبيد الله بن زياد أو ترحّمه على الحسين ونحو ذلك مما يراد به إظهار يزيد بمظهر غير الراضي بقتل الحسين وكأنّ صفحته بريئة من إراقة دم الحسين عليه السلام، أقول: أقوال يزيد لعنه الله هذه لا يمكن تصوّرها إلا عبر أحد وجهين:

إما القول بتحريفها وتزويرها من قبل الرواة أو المؤرخين، وله نظائر كثيرة تقدم بعضها في البحوث السابقة، وهي بلا شك محاولة لتبرئة الأمويين - يزيد لعنه الله بالخصوص - من جريمة قتل آل محمد التي تساوق الكفر بالإسلام ورسوله، وعصبها برأس أحد الأدعياء المنتسبين لهم (ابن زياد في حالتنا)، على طريقة تقديم "كبش فداء" الذي تمارسه بعض الأنظمة الظالمة أحياناً لما تُحرج في مواقف معينة، فخسارة شخص من خلال عصب الجريمة برأسه أيسر من خسارة نظام حكم كامل أو تجريم عائلة مالكة بأجمعها!

أو القول بأنّ يزيد لعنه الله حصل منه ذلك فعلاً؛ تمويهاً ونفاقاً من أجل امتصاص ردود أفعال بعض المسلمين الذين كانوا في مجلسه أو خارج مجلسه ممّن لا زال في نفوسهم شيء من إسلام محمد صلى الله عليه وآله الحقيقي وحب أهل بيته، وبالتالي فيزيد - كذباً ونفاقاً وخوفاً على ملكه [1] - أظهر أنه ما كان يرغب بقتل الحسين و أنه لو كان الأمر له يوم عاشوراء لعفا عنه وما شابه من ألفاظ أو مواقف غير صادقة ولا حقيقية!

وإلا فمن هو الآمر بقتل الحسين؟

ومن الذي عزل والي المدينة لا لشيء إلا لأجل تأخّره في قتل الحسين وعدم التعامل معه بشدة وحزم؟

١- روى بعض المؤرخين خوف يزيد لعنه الله وذعره: (عن ربيعة بن عمر قال: كنت جالساً عند يزيد بن معاوية في بهوٍ له إذ قيل: هذا زحر بن قيس بالباب، فاستوى جالساً مذعوراً وأذن له في الحال .....) تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٦٠.

من الذي ولّى ابن زياد لعنه الله الكوفة وسيّره إليها من البصرة على الفوروطلب منه القضاء على كل من يتعاطف مع الحسين!

من الذي أرسل جيوش أهل الشام إلى العراق لينضم لهم بعض الكوفيين ويسيروا جميعاً لحرب الحسين في كربلاء؟

من طلب من ابن زياد أن يعرض على الحسين إما الاستسلام والبيعة أو القتل؟

كل هذا فعله يزيد لعنه الله بلا أدنى شك، وبالتالي فقتل الحسين صلوات الله عليه جرم يُنسب إلى يزيد أولاً وبالذات قبل أي أحد آخر، لعنة الله عليه وعلى كل من يدافع عنه أو يختلق ويؤلف القصص والحكايات من أجل تلميع صورته القبيحة!

ومن الشواهد التي تؤكد ما ذكرناه هو ما فعله يزيد لعنه الله مع الرأس الشريف، بل بحسب نص الطبري المتقدم (الثالث) أنه صارينكت ثغر الحسين بقضيب في الوقت الذي يتهم فيه ابن زياد بقتل الحسين: "عجّل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره"!

و أيضاً: ما فعله لعنه الله مع عائلة الحسين كما سنعرف بعد قليل.

ومن الشواهد أيضاً: إنّ يزيد لعنه الله لم تكن لديه أيّ ردة فعل تجاه ابن زياد نفسه، إذ لم يقم بمعاقبته ولا حتى معاتبته على قتله للحسين أصلاً، بل ولم يخطر بباله أن يقوم بعزله عن منصبه! وهذا بالتأكيد أيسر وأهون إجراء إداري ممكن اتخاذه بحق واليه لو كان فعلاً أقدم على الجريمة بدون رضا يزيد وأمره!

رأس الحسين(ع) في محضر يزيد:

أُدخل الرأس الشريف على يزيد لعنه الله في مجلسه:

١- روي: (لما دخل بالرأس على يزيد كان للرأس طيب قد فاح على كل طيب) [١].

٢- حامل الرأس الشريف كان يطمع بجائزة من يزيد لعنه الله لكنه لم يحصل على شيء!

عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام: (ثم وضع الرأس في حقّة وأُدخل على يزيد، فدخلت معهم، وكان يزيد جالساً على السرير وعلى رأسه تاج مكلّل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه وقال:

أوقر ركابي فضة أو ذهبا   فقد قتلت السيد المحجّبا
قتلت أزكى الناس أماً وأبا   وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لِمَ قتلته؟ قال رجوت الجائزة! فأمر بضرب عنقه ...) [٢].

٣- كان يزيد لعنه الله لا يبالي بشرب الخمر بمحضر رأس الحسين عليه السلام في بعض مجالسه الخاصة؛ إذ يبدو من النصوص أنّ الرأس الشريف أُدخل على يزيد أكثر من مرة كان أحدها إدخاله مع عائلة الحسين عليه السلام! عن الإمام علي بن الحسين

١- انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢١٨.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٢٨، وفي مصادر أخرى: أخرجه من مجلسه بلا جائزة، انظر: ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٩١ – ٩٢.

عليه السلام: "لما أُتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه" [١].

٤- وضع يزيد لعنه الله الرأس الشريف بين يديه ومنع نساء الحسين من النظر إليه:

- (ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه فرآه علي بن الحسين عليهما السلام فلم يأكل بعد ذلك أبداً) [٢].
- (ثم أُدخل نساء الحسين عليه - يزيد - فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليسترعنهما الرأس، فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد، وولول بنات معاوية) [٣].

٥- قام يزيد لعنه الله بضرب ثنايا الحسين، ولأن بعض المتعصّبين لبني أمية أخزاهم الله ينكر ذلك، سأقوم بنقل جملة من أقوال المؤرخين التي ذكرت الحادثة:

- (ثم أذن - يزيد - للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره) [٤].
- (لما أتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي جعل ينكت بمخصرة معه سنّه ويقول: ما كنت أظن أبا عبد الله يبلغ هذا السن!)، (ثم مال بالخيزرانة بين شفتي الحسين فقال له رجل من الأنصار: ارفع قضيبك هذا فإني رأيت رسول الله يقبّل الموضع الذي وضعته عليه) [٥].
- (فلما وضع الرأس بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينقر ثنيته بقضيب كان في يده ويقول ما أحسن ثناياه) [٦].

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٢؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٢٢٠. قال ابن نما الحلي: (وكان يزيد يتخذ مجالس الشرب واللهو والقيان والطرب، ويحضر رأس الحسين بين يديه) مثير الأحزان: ١٠٣.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٠٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣٢.

٣- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٥ – ٨٦.

٤- تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٢ / ٨٥.

٥- ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٢؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ٥ / ١٩.

٦- الثقات، ابن حبان: ٢ / ٣١٣.

- (فلما مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده) [١].
- (ووضع الرأس بين يدي يزيد لعنه الله في طست فجعل ينكته على ثناياه بالقضيب) [٢].
- (ووضع الرأس بين يدي يزيد، فجعل يزيد يقرع ثناياه بالقصب) [٣].
- (قال الحسن: جعل يزيد بن معاوية يطعن بالقضيب موضع في رسول الله صلى الله عليه وسلم وا ذلّاه) [٤].
- (وحمل رأس الحسين إلى يزيد فوضعه في طست بين يديه وجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ويقول إن كان لحسن الثغر) [٥].
- (ولما جلس يزيد وضع الرأس بين يديه وجعل ينكث بالقضيب على فيه) [٦].
- (فوفده إلى يزيد ومعه الرأس، فوضع بين يديه، وعنده أبو برزة الأسلمي، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه) [٧].
- (لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يطعن بالقضيب) [٨].
- (ووضع رأسه بين يديه وجعل ينكت بالقضيب في وجهه) [٩].
- (ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام) [١٠].

١- بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢١.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠.

٣- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٥.

٤- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / هامش ص٢١٤.

٥- الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٢ / ٢٦٤.

٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤٢. وقال أيضاً: (قال جدي: ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل إليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله) تذكرة الخواص: ٢٦٠.

٧- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٩؛ تهذيب الكمال، المزي: ٦ / ٤٢٨.

٨- البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١٠.

٩- البدء والتاريخ، المقدسي: ٦ / ١٢.

١٠- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣٣.

- (فدخل عليه زيد بن أرقم، ورأى الرأس في الطشت وهو يضرب بالقضيب على أسنانه، فقال: كفّ عن ثناياه فطالما رأيت رسول الله يقبّلها، فقال يزيد: لولا أنك شيخ خرفت لقتلتك) [١].

٦- ماذا أنشد يزيد لعنه الله وهو يضرب ثنايا الحسين صلوات الله عليه؟

روى بعضهم [٢] أنه قال:

يفلقن هاماً من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

و أيضاً: أنشد أبيات ابن الزبعرى [٣]:

(ثم كشف - يزيد - عن ثنايا رأس الحسين بقضيبه ينكته به و أنشد ... فقال بعض جلسائه: ارفع قضيبك فوالله ما أحصي ما رأيت شفتي محمد في مكان قضيبك يقبّله! فأنشد يزيد:

يا غراب البين ما شئت فقل إنما تندب أمراً قد فعل
كلُّ ملكٍ ونعيـمٍ زائلٌ وبناتُ الدهـر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّـوا واستهلّـوا فرحـاً ثم قالوا يا يزيد لا تشـل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشـم بالملك فلا خـبر جاء ولا وحـي نزل

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٥٨.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٦. قال: (... ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ثم قال إن هذا و إيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري: يفلقن هاما من رجال أحبة * إلينا وهم كانوا أعق وأظلما). والحصين بن الحمام شاعر جاهلي. وقد ذكر ذلك جملة من المؤرخين، انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ١١٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١٩؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٢١٣ – ٢١٤؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٣٤ / ٣١٥ – ٣١٦؛ أسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٣٨١؛ وغيرهم.

٣- شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين.

قد أخذنا من عليٍّ ثأرنـا وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدل) [١].

(قال الطبري والبلاذري والكوفي: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد جعل يضرب بقضيبه على ثنيته ثم قال: يوم بيوم بدر، وجعل يقول:

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وقال يحيى بن الحكم أخو مروان:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغلِ
سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسـول الله أمست بلا نسـلِ

فضرب يزيد في صدر يحيى وقال: اسكت لا أمَّ لك. فقال أبو برزة: ارفع قضيبك يا فاسق فوالله رأيت شفتي رسول الله مكان قضيبك يقبّله، فرفع وهو يتذمّر مغضباً على الرجل وزاد غيرهم في الرواية: إنه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أُحد:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّـوا واستهلّـوا فرحـاً ولقالـوا يا يزيد لا تشـل
قد قتلنا السبط من أسباطهم وعدلنـاه ببـدرٍ فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشـم بالدين فـلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نـزل) [٢].

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٥٨.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢٦٠ – ٢٦١.

وقد ذكر تمثّل يزيد لعنه الله بأبيات ابن الزبعرى مؤرخون كثر[١]، ومنهم من ذكر تمثّله ببيت واحد[٢]، ومنهم من ذكر تمثّله ببيتين:

(عن مجاهد قال: جيء برأس الحسين بن علي، فوضع بين يدي يزيد بن معاوية، فتمثل بهذين البيتين، يقول:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّـوا واستهلّـوا فرحـاً ثم قالوا لي: بقيت لأتمثل

قال مجاهد: نافق فيها، ثم والله ما بقي من عسكره أحداً إلا تركه)[٣].

ومنهم من ذكر تمثّله بأكثر من ذلك[٤].

أيضاً: لا شك أنّ هناك أبياتاً أضافها يزيد لعنه الله من عنده، مثل قوله: "لست من خندف ..." أو قوله: "لعبت هاشم بالملك ...":

- قال ابن أعثم: (ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه: لست من عتبة إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعل)[٥].

١- منهم: أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ١١٩؛ وابن أعثم الكوفي في الفتوح: ١٢٩، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٥ / ٣٤٣؛ وابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٦٠ – ٢٦١؛ وغيرهم.

٢- انظر: الأمالي، الصدوق: ٢٣١.

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤٣، وممّن ذكر تمثل يزيد لعنه الله ببيتين أيضاً: أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ١١٩؛ جواهر المطالب، الباعوني الشافعي: ٢ / ٢٩٩.

٤- فبعضهم ذكر تمثّل يزيد لعنه الله بثلاث أبيات، انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ١٠١. وبعضهم أربعة، انظر: الخرائج والجرائح، الرواندي: ٢ / ٥٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٤. وبعضهم خمسة، كما تقدم عن ابن شهراشوب، وانظر أيضاً: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٩؛ اللهوف، ابن طاووس: ٢١٤. وبعضهم ستة، انظر: بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢١؛ الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٢٢. وبعضهم سبعة، انظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١ / ١٩١. وبعضهم ثمانية، كما تقدم عن الخوارزمي.

٥- الفتوح: ٥ / ١٢٩.

- وقال سبط ابن الجوزي: (قال الشعبي: وزاد فيها يزيد فقال: لعبت هاشم بالملك ... الأبيات) [1].

ومما يؤكد إنشاد يزيد لعنه الله لكفره المتقدم، هو ما ورد في احتجاج العقيلة زينب بنت علي عليها السلام، إذ قالت: "... يظهر كفره برسول الله ويفصح ذلك بلسانه وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته غير متحوّب ولا مستعظم يهتف بأشياخه: لأهلّوا واستهلّوا فرحاً * ولقالوا يا يزيد لا تشل ...". وسيأتي عرضه بالتفصيل.

كذلك: ما ذكره يزيد لعنه الله أشار له ابن عباس في رسالته إليه؛ إذ ورد فيها:

(يا يزيد، وإنّ من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين، تُري الناس قدرتك علينا و إنك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله، وفي ظنك أنك أخذت بثأر أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه والأضغان التي تكمن في قلبك كمون النار في الزناد، وجعلت أنت و أبوك دم عثمان وسيلة إلى إظهارها، فالويل لك من ديّان يوم الدين) [2].

بل حتى "ريّا" حاضنة يزيد بن معاوية لعنهما الله شهدت على أنه كان يقرع ثنايا الحسين ويتمثل بأبيات من شعر ابن الزبعرى [3].

٧- بعض الحاضرين في مجلس يزيد لعنه الله استنكر ما فعله برأس الحسين صلوات الله عليه، وقد ذكر المؤرخون أسماء اثنين من الصحابة:

١- تذكرة الخواص: ٢٦١.

٢- تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٧٦.

٣- انظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٩ / ٤٢٠؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٠٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣١٩.

أحدهما: أبو برزة الأسلمي، إذ قال ليزيد لما رآه ينكت ثنايا الحسين بقضيب بيده: "ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت فاه رسول الله على فيه يلثمه" [١].

ثانيهما: زيد بن أرقم؛ إذ قال ليزيد لما رآه يضرب ثنايا الحسين: "ارفع قضيبك فطالما رأيت رسول الله يلثم موضعه فقال إنك شيخ قد خرفت ..." [٢].

وبعض المؤرخين روى الاستنكار عن رجل لم يسمّه [٣]، ومنهم من ذكر أنّ بعض الأمويين اعترض أيضاً [٤].

بل روي انزعاج رأس اليهود الذي كان حاضراً في مجلسه أيضاً:

(ودخل عليه - أي يزيد - رأس اليهود فقال: ما هذا الرأس؟ فقال: رأس خارجي. قال: ومن هو؟ قال: الحسين. قال: ابن من؟ قال: ابن علي. قال: ومن أمه؟ قال: فاطمة. قال: ومن فاطمة؟ قال: بنت محمد. قال: نبيكم؟! قال: نعم. قال: لا جزاكم الله خيراً، بالأمس كان نبيكم واليوم قتلتم ابن بنته؟! ويحك إنّ بيني وبين داود النبي نيفاً وسبعين أباً، فإذا

١- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٣؛ مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٦١؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤٢؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٢٦١؛ تهذيب الكمال، المزي: ٦ / ٤٢٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٠٩، ٢١٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٩.

٢- انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٢ / ٢٦٤؛ إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ١ / ٤٧١؛ كشف الغمة، الأربلي: ٢ / ٢٧٥؛ الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٥٨؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٧٢؛ جواهر المطلب في مناقب الإمام علي، الباعوني الشافعي: ٢ / ٢٩١؛ ينابيع المودة، القندوزي: ٣ / ٢٦؛ أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١ / ٦١٤؛

٣- (عن عبد الواحد القرشي قال: لما أتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي تناوله بقضيب فكشف عن ثناياه فوالله ما البرد بأبيض من ثناياه ثم أنشأ يقول: يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما. فقال له رجل عنده يا هذا ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت شفتي رسول الله في مكانه يقبله فرفعه متذمرا عليه فغضب) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٨ / ٩٥؛ أُسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٣٨١.

٤- تقدم في كلام ابن شهرآشوب أنّ يحيى بن الحكم كان ممّن اعترض على فعل يزيد لعنه الله وأنشد أبيات من الشعر، فضرب يزيد في صدره وأسكته، انظر: مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٦٠ – ٢٦١.

رأتني اليهود كفّرت لي. ثم مال إلى الطشت وقبّل الرأس، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن جدك محمداً رسول الله، وخرج. فأمر يزيد بقتله) [١].

وشبيه بذلك روي عن رسول ملك الروم الذي كان متواجداً في مجلس يزيد أيضاً [٢].

ولما أحسَّ اللعين بانزعاج بعض الحاضرين في مجلسه - بما فيهم أقربائه - من تصرّفه أراد صرفهم إلى بيان أسباب قيام الحسين وثورته عليه مستعملاً أسلوب التشويه:

(... ثم أقبل على أهل مجلسه وقال: هذا يفخر عليّ ويقول: أبي خير من أبي يزيد، وأمي خير من أمه، وجدي خير من جد يزيد، و أنا خير من يزيد، فهذا الذي قتله! ...) [٣].

بنظر يزيد، قضية اختلاف الحسين معه لا تعدو أن تكون صراعاً من أجل الدنيا وحطامها الزائل وملكها الفاني، وهي كذلك - أيضاً - بنظر الكثير من المتعصّبين لبني أمية قديماً وحديثاً، فالدنيا والتفاخر بالجاه والنسب والكرسي ... إلخ هي كل مبلغهم، ومن أين للقابع في جحور الشهوات والراكس في بحور الظلمات أن يدرك أسرار ثورة إلهية وهو لا يرى أبعد من أرنبة أنفه؟!!

الحقيقة، إنّ الصراع بين الإمام الحسين ويزيد هو صراع مبادئ وقيم قبل أي شيء آخر، هو صراع الحق مع الباطل، صراع الفضيلة مع الرذيلة، والنور مع الظلمة، صراع

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٥٨١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٨٧. كفّرت: أي انحنت. وورد نحوه في: العقد الفريد، ابن عبد ربه: ٥ / ١٣٢؛ ترجمة الإمام الحسين (من الطبقات الكبرى)، ابن سعد: ٨٧؛ تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٦٣؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٣.

٢- عن عبيد بن عمير، قال: (كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد، فقال ليزيد: هذا رأس من؟ فقال: رأس الحسين، قال: ومن الحسين؟ قال: ابن فاطمة، قال: ومن فاطمة؟ قال: بنت محمد، قال: نبيكم؟ قال: نعم، قال: ومن أبوه؟ قال: علي بن أبي طالب، قال: ومن علي بن أبي طالب؟ قال: ابن عم نبينا، فقال: تباً لكم ولدينكم ما أنتم وحق المسيح على شيء، إنّ عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر حمار ركبه عيسى السيد المسيح ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار وننذر له النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل، ثم قام ولم يعد إليه) تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٦٣؛ وشبيه بذلك روي في: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٢، مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٨٩.

٣- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٢٨؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣١.

الهدى والاستقامة مع الضلال والانحراف، فمبادئ الثورة - بنظر سيد الشهداء - ترتبط بالحفاظ على دين الله وديمومة رسالته وإحياء مبدأ الحق المتمثل بحاكمية الله الذي سعى الأمويون - ومن مهّد لهم سلطانهم - إلى طمسه وإحياء معالم الباطل المتمثل بحاكمية الناس، ولهذا رأينا الإمام الحسين عليه السلام لم يترك شيئاً إلا وجاد به يوم عاشوراء، وقد أبان أسباب ثورته وقيامه المقدس في خطاباته منذ إعلان موقفه الرافض لبيعة يزيد الفاسق وحتى يوم شهادته.

طبعاً، بالنسبة إلى يزيد و أبيه معاوية لعنهما الله فقد كانا يعرفان هذا جيداً، لكن يزيد - كشأن أي ظالم فاجر - يراهن على جهل الناس وإضلالهم والاستخفاف بعقولهم لإبعادهم عن دين الله وأولياء الله بالمال والدنيا.

٨- ثم بعد كل الذي فعله يزيد لعنه الله برأس الحسين صلوات الله عليه أمر بالتطواف به في مدن الشام [١]، ثم أمر بصلبه في دمشق ثلاثة أيام، وقيل: صلبه على باب مسجد دمشق، وقيل: على باب داره [٢].

١- انظر: شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ١٥٩، قال: (ثم أمر يزيد اللعين برأس الحسين عليه السلام فطيف به في مدائن الشام وغيرها).

٢- روى ذلك مجموعة من المؤرخين، منهم:

ابن عساكر والذهبي: (قال حمزة: وقد كان حدثني بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام) تاريخ مدينة دمشق: ٦٩ / ١٦٠؛ سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣١٩.

- الصفدي: (وقال الشيخ شمس الدين ثم علق الرأس على ما قيل بدمشق ثلاثة أيام) الوافي بالوفيات: ١٢ / ٢٦٤.

- ابن كثير: (قال: ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح) البداية والنهاية: ٨ / ٢٢٢.

- الصدوق والفتال: (ثم أمر - يزيد - برأس الحسين عليه السلام فنصب على باب مسجد دمشق) الأمالي: ٢٣١؛ روضة الواعظين: ١ / ١٩١.

- المجلسي: (قال صاحب المناقب: وذكر أبو مخنف وغيره: أن يزيد لعنه الله أمر بأن يصلب الرأس على باب داره) بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٢.

دخول عائلة الحسين(ع) على مجلس يزيد:

عند دخول آل الرسول على يزيد لعنه الله، كان مجلسه حاشداً بأعيان أهل الشام، وعرفنا في طيّات النصوص السابقة أنّ من ضمن الحضور صحابة وتابعين مثل: أبي برزة الأسلمي وزيد بن أرقم، وكذلك بعض الأمويين كأخوة مروان بن الحكم وبعض أتباعهم كالنعمان بن بشير، و أيضاً: كان من بين الحضور بعض نساء بني أمية مثل ريّا حاضنة يزيد وكذلك زوجته هند بنت عبد الله بن عامر، إضافة إلى وفد أهل الكوفة الذين جاؤوا مع أسارى آل الرسول ورؤوس رجالهم، و أيضاً: بعض كبار الأديان والملل غير المسلمة.

- (فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام ثم أدخلوهم فهنّؤوه بالفتح) [١].
- (ثم أُتي بهم حتى أُدخلوا على يزيد، وعنده يومئذٍ وجوه أهل الشام) [٢].
- (ثم جلس يزيد، ودعي أشراف أهل الشام، وأجلسهم حوله، ثم أدخلهم عليه) [٣].

أما الحالة التي دخل بها آل الرسول على مجلس يزيد لعنه الله فقد وصفتها بعض الروايات ونصوص المؤرخين بأنهم كانوا موثقين ومقرّنين بالحبال والأغلال:

- (ثم أُدخل ثقل الحسين عليه السلام ونساؤه ومن تخلّف من أهله على يزيد وهم مقرّنون في الحبال) [٤].
- (ثم أُتي يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقي من أهله ونسائه فأُدخلوا عليه قد قرّنوا في الحبال فوقفوا بين يديه) [٥].
- (وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال) [٦].

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٣.

٢- الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٠.

٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ٥ / ٣٤٢.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣١؛ العوالم – الإمام الحسن، عبد الله البحراني: ٤٣٢.

٥- ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٣.

٦- شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٣٣ / ٦٨٩ نقلاً عن "التبر المذاب" للعلامة أحمد الحسيني الشافعي - مخطوط.

- (ثمّ أمر بعليّ بن الحسين عليه السلام فأُدخل عليه مغلولاً) [١].

عند دخول عائلة الرسول على يزيد لعنه الله كان أثر السبي والأسر والتعب واضحاً عليهم، ولذلك أضافت نصوص المؤرخين المتقدمة أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام - بعد دخول عائلة الرسول بتلك الحال - خاطب يزيد قائلاً: "ما ظنّك برسول الله لو رآنا على هذه الحالة"! فأمر اللعين بقطع الحبال وفك الأغلال عنهم بعد أن أحرجه الإمام بكلامه، وكانت هذه أول صفعة علوية يتلقاها الفاجر في مجلسه [٢]!

(وقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله سبايا! فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات) [٣].

أيضاً: صوّرت سكينة بنت الحسين حال يزيد لعنه الله لحظة إدخالهم عليه:

(ثم أُدخل نساء الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، فصحن نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله، وولولن و أقمن المأتم، ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فقالت سكينة: والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى منه، و أقبل يقول وينظر إلى الرأس: ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل. ثم أمر برأس الحسين عليه السلام فنصب على باب مسجد دمشق ...) [٤].

لا شك أنّ الإجرام الذي مارسه يزيد لعنه الله ونظامه بحق الحسين عليه السلام وأهل بيته وسبي من بقي منهم وهتك حرمتهم كان يتم بأوامر منه، ولا أقل فإنّ ما فعله برأس الحسين ونكت ثناياه بالقضيب وتمثله بأبيات ابن الزبعرى، و أيضاً: حواراته مع العقيلة زينب عليها السلام والإمام علي بن الحسين - وسيأتي بيانها - كلها أفعال و أقوال تكشف

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ٨٣٧؛ جواهر المطالب، الباعوني الشافعي: ٢ / ٢٩٤.

٢- روى ابن نما: (... فقال علي بن الحسين عليه السلام و أنا مغلول فقلت: أتأذن لي في الكلام؟ فقال: قل ولا تقل هجراً! قلت: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنّك برسول الله لو رآني في الغل؟ فقال لمن حوله: حلّوه) مثير الأحزان: ٩٩.

٣- مثير الأحزان، ابن نما: ٩٩.

٤- الأمالي، الصدوق: ٢٣٠ – ٢٣١.

عن خبثه وبغضه لآل الرسول، والغريب بعد هذا أن نجد بعض الرواة أو المؤرخين يصوّرون تأسف يزيد وتألمه على عائلة الرسول لما أُدخلوا عليه ورآهم بتلك الهيئة المؤلمة و أنه ألقى باللائمة على ابن زياد معتبراً أنّ سبب تصرّفه معهم بهذه القسوة هو عدم وجود "الرحم" التي تربط بينه وبينهم! وكأنّ يزيد لعنه الله وأخزاه صان ورعى "الرحم" التي كانت تربط بينه وبين آل الرسول [1]؟!

حقيقةً، إنّ رائحة الكذب والتزوير الأموي في تلك النصوص واضحة، كما أنّ تخفيف الإجراءات المتخذة بحق آل الرسول من قبل يزيد لاحقاً وتجهيزهم أثناء العودة سببه سياسي له علاقة بتخفيف النقمة عليه بعد أن بانت بوادرها، فأحس بخطورة الأمر وأنّ قتل الحسين يبدو أنه سيكلفه كثيراً وسيكون عاقبته الخيبة والندم!

(وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين) [2].

١- ومن هذه النصوص ما روي عن أبي عوانة بن الحكم الكلبي: (ثم أدخل نساء الحسين على يزيد فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن ثم إنهن أدخلن على يزيد فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة أبنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يزيد يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره قالت والله ما ترك لنا خرص قال يا ابنة أخي ما آتي إليك أعظم مما أخذ منك ثم أخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن و أقمن المأتم وأرسل يزيد إلى كل امرأة ماذا أخذ لك وليس منهن امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها فكانت سكينة تقول ما رأيت رجلا كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية ...) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٥؛ و انظر أيضاً: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٦؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٧.

و أيضاً: قولهم: (... ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة فقال: قبح الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة رحم ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم على هذه الصورة) الإرشاد، المفيد: ٢ / البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١١.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٧.

حوار بين علي بن الحسين(ع) ويزيد ومحاولة قتل الإمام:

حاول يزيد لعنه الله أن يتملّص من جريمة سفك دم سيد شباب أهل الجنة، أثناء حديثه مع عائلة الرسول، في محاولة مفضوحة لإبعاد آثار الجريمة عن ساحته مع أنّ الجميع يعرف أنه المتسبّب الأول بما حلّ بالحسين عليه السلام وعائلة الرسول محمد صلى الله عليه وآله:

عن الإمام الباقر عليه السلام: (قدم بنا على يزيد بن معاوية لعنه الله بعدما قتل الحسين عليه السلام ونحن اثنا عشر غلاماً ليس منّا أحد إلا مجموعة يداه إلى عنقه وفينا علي بن الحسين. فقال لنا يزيد: صيّرتم أنفسكم عبيداً لأهل العراق، ما علمتُ بمخرج أبي عبد الله حتى بلغني قتله. .....) [١].

لكن مواقف أخرى كثيرة فضحت يزيد لعنه الله وأظهرت حقيقته وكشفت عن معدنه المملوء حقداً ونصباً وعداء للرسول وآله الطاهرين:

عن الإمام الصادق عليه السلام: (لما أدخل رأس الحسين بن علي عليهما السلام على يزيد لعنه الله وأدخل عليه علي بن الحسين وبنات أمير المؤمنين عليه السلام وكان علي بن الحسين عليه السلام مقيداً مغلولاً، فقال يزيد: يا علي بن الحسين! الحمد لله الذي قتل أباك، فقال علي بن الحسين: لعن الله من قتل أبي، قال: فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه عليه السلام، فقال علي بن الحسين: فإذا قتلتني فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري، فقال: أنت تردّهم إلى منازلهم ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده .....) [٢].

١- شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٢٦٨. قال القاضي معقّباً على قول يزيد لعنه الله: (كذب عدو الله بل هو الذي جهّز إليه الجيوش وقد ذكرت خبره فيما مضى).

٢- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٣٥٢.

وفي بعض النصوص: إنّه قال للإمام علي بن الحسين: "يا علي، إنّ أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت" [١]!

قول يزيد لعنه الله: "الحمد لله الذي قتل أباك"، "فصنع الله به ما قد رأيت"، لا يكشف عن خبثه وبغضه لآل الرسول فحسب وإنما يكشف - أيضاً - عن بدعة الجبر الأموية؛ إذ نسب قتل الحسين لله سبحانه والحال أنّ القاتل هو ونظامه الإجرامي، وقد تقدم إجابة شبهة الجبر أكثر من مرة في البحوث السابقة.

عموماً، استمر الحوار بين الطاغية وبين الإمام:

(فقال علي بن الحسين: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير". فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه، فلم يدر خالد ما يرد عليه. فقال له يزيد: قل "ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير") [٢].

(... فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلا، ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا "ما أصاب من مصيبة في الأرض - إلى قوله - لا تفرحوا بما أتاكم" فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما أتانا منها) [٣].

وروي أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام لما أجاب يزيد بآية من كتاب الله أطرق اللعين مليّاً وهو مغضب واستشار أهل الشام فيما يفعله بعائلة الرسول [٤]!

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٠؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٣، وفيه: "ثم أقبل على علي بن حسين، فقال: أبوك قطع رحمي، ونازعني سلطاني، فجزاه الله جزاء القطيعة والإثم".

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٠ – ١٣١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٠؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٢؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٦.

٣- تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٣٥٢.

٤- روى القاضي النعمان المغربي: (... فتلا علي بن الحسين: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ...". فأطرق ملياً وجعل يعبث بلحيته وهو مغضب ثم قرأ "ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير". ثم قال: يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟ فقال قائلهم: قد قتل ولا تتخذ جرواً من

أيضاً: روى بعض المؤرخين الحادثة بطريقة أخرى شبيهة بما حصل في مجلس ابن زياد لعنه الله في الكوفة:

(ثم دعا يزيد - لعنه الله - بعلي بن الحسين عليه السلام فقال: ما اسمك؟ فقال علي ابن الحسين، قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين قال: قد كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلتموه. قال: بل الله قتله قال علي: "الله يتوفى الأنفس حين موتها" قال له يزيد: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" فقال علي: "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور". قال: فوثب رجل من أهل الشام فقال: دعني اقتله فألقت زينب نفسها عليه) [1].

أقول: وفق هذا الرواية تكون زينب عليها السلام قد فدت ابن أخيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام للمرة الثالثة بعدما فدته بنفسها في كربلاء وفي الكوفة كما تقدم.

ثم إنّ المؤرخين ذكروا نصوصاً عديدة توضح عزم يزيد على قتل الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام، وسواء كانت المحاولة واحدة حكتها عدة نصوص أم كانت أكثر من محاولة، فإنّ النص التاريخي أعلاه يوضح إقدام زينب عليها السلام للتضحية بنفسها من أجل حفظ وسلامة ابن أخيها الإمام.

كلب سوء. فقال النعمان بن بشير: انظر ما كنت ترى أن رسول الله يفعله فيهم لو كان حياً، فافعله. فبكى يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد ما تقول في بنات رسول الله سبايا عندك. فاشتد بكاؤه حتى سمع ذلك نساؤه، فبكين حتى سمع بكاؤهن من كان في مجلسه) شرح الأخبار: ٣ / ٢٦٨.

وروى ابن عبد ربه: (... فلما وضع الرأس بين يديه تمثل بقول حصين بن الحمام المري: يفلقن هاماً من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما. فقال له علي بن الحسين - وكان في السبي-: كتاب الله أولى بك من الشعر، يقول الله: "ما أصاب من مصيبة ... مختال فخور. فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته، ثم قال: غير هذا من كتاب الله أولى بك وبأبيك، قال الله: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم..."، ما ترون يا أهل الشام في هؤلاء؟ ...) العقد الفريد: ٥ / ١٣١.

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠.

وروي - أيضاً - أنّ بعض الحاضرين هم من أشار على يزيد بقتل الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(فلمّا استشهد - أي الحسين - حمل عليّ بن الحسين مع الحرم وأدخل على اللّعين يزيد وكان لابنه أبي جعفر سنتان وشهور فأدخل معه فلمّا رآه يزيد قال له: كيف رأيت يا عليّ بن الحسين؟ قال: رأيت ما قضاه الله تعالى قبل أن يخلق السّماوات والأرض، فشاور يزيد جلساءه في أمره فأشاروا بقتله وقالوا له: لا تتّخذ من كلب سوء جرواً، فابتدر أبو محمّد الكلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال ليزيد لعنه الله: لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه حيث شاورهم في موسى وهارون فإنّهم قالوا له: أرجه وأخاه، وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا ولهذا سبب. فقال يزيد: وما السّبب؟ فقال: إنّ أولئك كانوا الرّشدة وهؤلاء لغير رشدك ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلا أولاد الأدعياء، فأمسك يزيد مطرقاً ثمّ أمر بإخراجهم على ما قصّ) [1].

ولا شك أنّ ما أوضحه الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان بمثابة لطمة أخرى مباشرة يوجهها لبلاط الطاغية الأموي في عقر داره!

أيضاً: روى ابن عساكر عن حمزة بن زيد الحضرمي عن ريّا (حاضنة يزيد) أنّ أحد الصحابة هو من أشار على يزيد لعنه الله بقتل الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(ولقد جاء رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد أمكنك الله من عدو الله و ابن عدو أبيك فاقتل هذا الغلام ينقطع هذا النسل فإنك لا ترى ما تحب وهم أحياء آخر من ينازع فيه يعني علي بن حسين بن علي لقد رأيت ما لقي أبوك من أبيه وما لقيت أنت منه وقد رأيت ما صنع مسلم بن عقيل فاقطع أصل هذا البيت فإنك إن قتلت هذا الغلام انقطع نسل الحسين خاصة وإلا فالقوم ما بقي منهم أحد طالبك بهم وهم قوم ذوو مكر والناس إليهم مائلون وخاصة غوغاء أهل العراق يقولون ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن علي وفاطمة اقتله فليس هو بأكرم من صاحب هذا الرأس فقال

١- إثبات الوصية، المسعودي: ١٤٥.

الرشدة: أي أولاد حلال، يقال: "ولد لرشدة" أي: ولد من زواج شرعي.

لا قمت ولا قعدت فإنك ضعيف مهين بل أدعهم كلما طلع منهم طالع أخذته سيوف آل أبي سفيان.

قال: إني قد سميت الرجل الذي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا أسميه أبداً ولا أذكره) [١].

الغريب أنّ حمزة الحضرمي - ربما لأجل الإبقاء على هيبة معتقد عدالة الصحابة - كتم اسم الصحابي الذي يدفع يزيد لاجتثاث بيت الرسالة وأن لا يُبقي من آل محمد أحداً ولا ذكراً، فالمعتقد المبتدع يصور عدالة جميع الصحابة ويعتبرهم كلهم خير أمة أُخرجت للناس بما فيهم هذا الناصبي اللئيم!

زينب(ع) تحمّل يزيد مسؤولية ما حصل لآل الرسول:

قلنا إنّ يزيد لعنه الله أراد إبعاد جريمة قتل الحسين عليه السلام عن ساحته وإظهار نفسه بمظهر غير المسؤول عمّا حصل لسبط الرسول ولعائلته، وهذا واضح من خلال بعض النصوص والروايات التاريخية، ولذلك انبرت العقيلة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية لفضحه وبيان كذبه، وأوضحت بما لا لبس فيه مسؤوليته عمّا حصل لآل الرسول (الحسين وعائلته):

(ثم أمر يزيد الملعون أن يحضروا عنده حرم الحسين وأهل بيته.

قالت زينب: يا يزيد أما تخاف الله ورسوله من قتل الحسين؟ وما كفاك ذلك حتى تستجلب بنات رسول الله من العراق إلى الشام! وما كفاك حتى تسوقنا إليك كما تساق الإماء على المطايا بغير وطاء! وما قتل أخي الحسين أحد غيرك يا يزيد، ولولا أمرك ما يقدر ابن مرجانة أن يقتله لأنه كان أقل عدداً وأذل نفساً، أما خشيت من الله بقتله وقد قال

١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٦٩ / ١٦٠.

رسول الله فيه وفي أخيه "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين"؟ فان قلت: لا، فقد كذبت، وإن قلت: نعم، فقد خصمت نفسك، واعترفت بسوء فعلك.

فقال: ذرية يتبع بعضها بعضاً. وبقي يزيد خجلا ساكتاً) [١].

معاملة سبايا!

بعد إدخال عائلة الحسين صلوات الله عليه على يزيد لعنه الله قام رجل من الشاميين الحاضرين في مجلسه فقال: سباؤهم أو نساؤهم لنا حلال، فتصدّى له الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

عن الإمام علي بن الحسين: (ووجه بي إلى يزيد لعنه الله مع سائر حرم الحسين عليه السلام وحرم من أصيب معه فلما صرنا بين يدي يزيد اللعين قام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين نساؤهم لنا حلال. فقال علي بن الحسين عليه السلام: كذبت، إلا أن تخرج من ملة الاسلام، فتستحل ذلك بغير دين. فأطرق يزيد ملياً ...) [٢].

(فلما أتي يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقي من أهله فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام فقال إن سباءهم لنا حلال فقال علي بن حسين كذبت ولؤمت ما ذاك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتأتي بغير ديننا فأطرق يزيد مليا ثم قال للشامي اجلس) [٣].

وطلب شامي آخر من يزيد لعنه الله أن يهب له أحد نساء العائلة النبوية، فتصدّت له زينب الكبرى عليها السلام:

١- ينابيع المودة، القندوزي: ٣/ ٩٢.

٢- شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣/ ١٥٨.

٣- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٢١٢؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٣٠٣.

(... قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه فقالت زينب لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن يخرج من دين الله قال فأعادها الأزرق فقال له يزيد كف عن هذا) [١].

(قالت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام: فلما جلسنا بين يدي يزيد رق لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية - يعنيني - فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذتُ بثياب عمتي زينب، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون. فقالت عمتي للشامي: كذبتَ والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبتِ، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت. قالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها. فاستطاريزيد غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟! إنما خرج من الدين أبوكِ وأخوكِ. قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك و أبوك إن كنت مسلماً. قال: كذبتِ يا عدوة الله. قالت له: أنت أمير، تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنه استحيا وسكت. فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد: اغرب، وهب الله لك حتفاً قاضياً) [٢].

قول يزيد لعنه الله: "ولو شئت أن أفعل لفعلت" يؤكد نصبه وعداءه لله ورسوله ودينه (الإسلام)، وإلا هل يسمح الإسلام الذي بعث به الرسول محمد صلى الله عليه وآله بقتل ولده وسبي بناته والسماح بمعاملتهن معاملة الجواري التي تباع وتملك؟!! واضح أنّ فعل يزيد وقوله بالضد تماماً من أمر الله بوجوب مودة ومحبة آل الرسول [٣]؟!!

١- تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٣.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢١. و انظر أيضاً: الأمالي، الصدوق: ٢٣١؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠؛ روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٩٢؛ الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣٨؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٨٠.

٣- روى البخاري: (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن قوله إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم) صحيح البخاري: ٦ / ٣٧، باب قوله إلا المودة في القربي.

وروى مسلم: (... ثم قال أما بعد الا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب و أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد

قال ابن الجوزي: (ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد على قتله وحمل الرؤوس إليه، و إنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها ..... وكذا قول يزيد: "لي أن أسبيكم" لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين) [١]!

خطب آل الحسين في مجلس يزيد:

إتماماً لثورة الحسين في فصلها الثاني القائم على الكلمة و أثرها الإعلامي الكبير، و إيماناً بأنّ أفضل الجهاد عند الله كلمة حق بوجه سلطان جائر، كان لزينب عليها السلام و ابن أخيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام ومن معهما خطب وكلام قوي ومؤثر في بيان الحق وفضح الباطل في مجلس الطاغية يزيد لعنه الله، وكانت الخطب بمثابة الصاعقة التي هزت عرشه في ديوان قصره وفي مجلسه العام بالتحديد الذي أعدّه للتباهي بقتل آل الرسول وكان يحضره أركان نظامه الإجرامي وحاشيته والمقربين منه.

خطبة العقيلة زينب(ع):

حمّلت زينب عليها السلام في خطبتها يزيد لعنه الله كامل المسؤولية عن قتل الحسين عليه السلام و انتهاك حرمته وسبي عائلته وما جرى عليها من أذى وظلم.

وهذا نص خطبتها [٢]:

أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ...) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٢، باب من فضائل علي رضي الله عنه.

١- تذكرة الخواص: ٢٩٠.

٢- الخطبة وردت في مصادر كثيرة، بعضها يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري، منها: بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢١ – ٢٣؛ الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣٥ – ٣٦؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٠٥ – ١٠٨؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠١؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣٣ – ١٣٥.

(الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. صدق الله تعالى إذ يقول: "ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون" الروم: ١٠.

أظننت يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الأرض و آفاق السماء، وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى - أنّ بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعِظَم خَطَرِك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عِطفك، جذلان مسرور، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا. فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: "وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" آل عمران: ١٧٨.

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، و أبديت وجوههن، يحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف. ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي. وكيف ترجى المراقبة ممن لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنَف والشنَآن، والإحَن والأضغان؟! ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم: "لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل" منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك. وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء آل ذرية محمد صلى الله عليه واله، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب. أتهتف بأشياخك؟ زعمت تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت.

اللهم خذ بحقنا، و انتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا. فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، و انتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم. "وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" آل: عمران: ١٦٩. فحسبك بالله حاكما، وبمحمد خصما، وبجبرائيل ظهيرا. وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين أن "بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا" الكهف: ٥٠ و أيكم "شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُندا" مريم: ٧٥.

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، فإني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى. ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء. فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل. فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك. وأنّ الله ليس بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوّل.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها. فهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وشملك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: "أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" هود:١٨.

فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة. وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، وحسن المآب، ويختم بنا الشر افة. إنه رحيم ودود، و"حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" آل عمران:١٧٣ "نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الأنفال:٤٠) [١].

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦٣ – ٦٤. وهذا بعض معاني المفردات - لغوياً - للفائدة:

- خطرك: شأنك ومقامك.
- عطفك: جانبك.
- جذلان: فرح.
- مستوسقة، متسقة: منقادة، منتظمة.
- يستشرفهن: ينظر إليهن.
- أهل المناهل والمناقل: أهل المياه والطرق المختصرة.
- فوه: فمه.
- الشنف: البغض.
- الشنآن: عداوة مع سوء خلق.
- الإحن: الحقد المضمر.
- تنكتها بمخصرتك: تضربها بعصا ونحوها.
- نكأت القرحة: قشرت الجرح قبل أن يبرأ، وهو كناية عن العدوان بتهييج المصائب والآلام.
- الأفة: أهل الرجل وماله.

من الصعب أن نحيط بنحو تفصيلي بكل ما أشارت له سيدة النساء بعد أمها العقيلة الطالبية زينب الكبرى في خطبتها، فما ورد فيها من سيل علوي هادر يحتاج دراسة خاصة به لوحده، لكني - باختصار- يمكن أن أُلفت النظر إلى بعض الأمور:

١- افتتحت العقيلة صلوات الله عليها خطبتها بآية: "ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوء أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ..."، ومخاطبها - كما نعرف - هو يزيد بن معاوية لعنهما الله، ومناسبة الآية لحال يزيد الفاسق واضح، فهو- بإقدامه على قتل آل رسول الله وأسر وسبي من بقي منهم والتفنن بإيذائهم و انتهاك حرمتهم - يكون من أبرز مصاديق المكذبين بآيات الله والمستهزئين بها؛ إذ لا أحد يؤمن بالله ورسوله وكتابه يجرؤ على فعل ذلك!

٢- ينظر الطغاة والفراعنة للدنيا بوصفها داراً للخلود ولا شيء بعدها، فهي همهم الأكبر وبالتالي يكون طلب الراحة والسلامة فيها هدفاً لهم لجمع أكبر قدر ممكن من الملذات! ومن الطبيعي - والحال هذه - أن يستعمل الطغاة سلاح الفتك والقتل والإبادة لمنافسيهم؛ لأن الغلبة والنصر- بمنظورهم - ينحصر بتغييب جسد الخصم وإزاحته بدفنه تحت الثرى، ولذا كان شعار معاوية بوجه علي عليه السلام: "دفناً دفناً"!

في قبال منطق الطغاة الدنيوي الضيق والمحدود جداً يبرز منطق أولياء الله بأفقه الواسع والرحب الذي يعتبر الآخرة دار القرار والخلود وهي الحياة الحقيقية، أما الدنيا فهي دار امتحان واختبار وسعي وعمل، ومن ثمَّ كانت النواميس التي قدّرها الله سبحانه للدنيا تناسب تماماً كونها دار ابتلاء، بل وإنّ البلاء والأذى فيها يتناسباً طردياً مع درجة

- الشعث: الأمر المتفرق.
- تنطف: تتلطخ.
- تتحلب: سال ريقها.
- تنتابها العواسل: تتردد عليها الذئاب.
- تؤمها الفراعل: تقصدها الضباع.
- ناصب: قاوم.
- ترحض: تغسل.
- فند: خطأ.

إيمان العبد! وبالتالي فممكن جداً أن يتألم أولياء الله فيها بقتل أجسادهم أو قتل شخصياتهم أو سجنهم وتعذيبهم وتبعيدهم عن أوطانهم ونحو ذلك؛ لأنهم أصلاً غرباء فيها بعد أن كانوا دعاة آخرة وليسوا من أبناء الدنيا! وممكن أيضاً أن يتمادى الظلمة بظلمهم ويدوم حكمهم لفترة زمنية معينة بعد أن كانوا دعاة دنيا واختاروا أن يكونوا أبناءً لها!

على هذا، فألم أولياء الله في الدنيا لا يعني هوانهم على الله! كما أنّ منح الطغاة أياماً للحكم في دار زائلة فانية لا يعني علو شأنهم عند الله! بل على العكس تماماً، أي: كلما ازداد أذى ولي الله في دعوته الخلق إلى الله كلما ارتفع مقامه عند الله، وكلما تمتع الظالم في الدنيا وطغى أكثر كلما ازداد عذابه في الآخرة، هذه هي معادلة الله في هذا العالم!

زينب عليها السلام بيّنت أنّ أذى يزيد لعنه الله الذي أنزله بآل محمد لا يعني هوانهم على الله، كما لا يعني كرامة يزيد على الله! كلا أبداً، فواحدة من نواميس عالم الامتحان هو "الإمهال والاستدراج"، فالله سبحانه يمهل الظالم ليزداد إثماً بتسافله بصورة أكبر فيستحق العقوبة الأقصى: "... إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ"!

٣- زينب عليها السلام بيّنت كذلك قدر يزيد الحقيقي بين عموم المسلمين فوصفته بـ "ابن الطلقاء"، وكأنها ترمي إلى قول جدها الرسول محمد صلى الله عليه وآله الذي كان يكرره أخوها الإمام الحسين أيام ثورته: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء" [١]!

الطلقاء: هم مشركو قريش الذين عفا عنهم الرسول بعد فتح مكة عام ٨ هـ، وكان منهم أبو سفيان و ابنه معاوية، فهؤلاء لم يسلموا رغبة في الإسلام ولا حباً بالله ورسوله، و إنما أسلموا - ظاهراً - خوفاً من القتل لا أكثر، ولذلك كل من قرأ سيرتهم و أفعالهم يجد حرباً بلا هوادة ضد آل الرسول وينتهي يقيناً إلى معرفة أنّ آل أبي سفيان ممّن لم يؤمنوا بالله ورسوله طرفة عين أبداً!

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٧؛ الأمالي، الصدوق: ٢١٦؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤ / ٣١٢.

وبالنسبة إلى يزيد، فهو لم يرث أبا سفيان (عدو رسول الله اللدود)، ولم يرث معاوية (العدو اللدود لأمير المؤمنين علي عليه السلام) فحسب، ولكنه أيضاً - من جهة الأم - وريث جدته "هند" التي لاكت كبد عم الرسول "حمزة"؛ انتقاماً منه لمقتل أبيها وعمها وأخيها يوم أُحد، وقد تقدم بيان ذلك، وعقيلة الطالبيين زينب عليها السلام أشارت إلى ذلك في خطبتها أيضاً؛ إذ قالت: "لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء"!

٤- أثارت زينب عليها السلام - أيضاً - مسألة تمثل يزيد لعنه الله بأبيات ابن الزبعرى وهو يضرب ثنايا سبط الرسول وريحانته، فالثأر لقتلى بدر المشركين يؤكد أنّ ما حل بآل الرسول من قتل وسبي كان انتقاماً من الرسول نفسه! وهذا كفر بالرسول صراحة، وهو ما يفسّر حجم الأذى الذي حلَّ بالحسين عليه السلام وعائلته من قبل يزيد الفاجر وزمرته كما نوهت له سابقاً. ولهذا أشارت زينب أنّ الخصم هو محمد صلى الله عليه وآله: "ولتردن على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته و انتهاك حرمته في لحمته وعترته ..... فحسبك بالله حاكماً وبمحمد خصماً"!

٥- زينب عليها السلام فضحت تستّر يزيد بالإسلام كذباً، وجعلت كذلك إسلام الحاضرين على المحك، بجعلها جدها الرسول صلى الله عليه وآله خصماً ليزيد ومن سانده في جريمته، وإلا فأيّ إسلام و إيمان بالرسول يسمح بقتل سبطه وحمل بناته سبايا؟! أيُّ إسلام يسمح بتلطخ الأيدي القذرة بدماء آل محمد وبأذن بسيل لعاب الأفواه النجسة لنهش لحومهم؟!! هذا أيضاً أوضحته زينب في خطبتها.

٦- بلغت زينب عليها السلام في خطبتها قمة العزة والرفعة باستكثارها مخاطبة يزيد لعنه الله وتوبيخه وتقريعه! فعلاً، من هوان الدنيا على الله أن يسمح الزمن الرديء لحفيدة الرسول و ابنة علي وفاطمة وأخت سيدا شباب أهل الجنة؛ وريثة الشرف والنبل والعفة والنجابة بالوقوف "أسيرة" في مجلس طليق زنديق معاند وريث عهر وفسق وفجور، خمّير عابث لاهٍ؛ كلُّ همّه اللعب مع القرود والكلاب!

٧- الحق باقٍ ببقاء الله والدار الآخرة، والباطل زائل بزوال الدنيا الفانية، هذه حقيقة في جدلية الصراع بين الحق والباطل منذ لحظة بزوغ فجر الرسالة الإلهية على هذه الأرض حتى آخر يوم فيها، ولأن الحسين لله وثار لتثبيت وإرساء معالم دين الله وحاكميته فهو باقٍ

ببقاء الله وببقاء الدار الآخرة، وأنّ يزيد مهما طغى وتفرعن وحاول أن يمحو ذكر الحسين ونهجه فلن يتمكن أبداً، ولكل زمان حسين، لهذا قطعت زينب الكبرى عليها السلام وعداً مدوياً صك أسماع يزيد لعنه الله أنه مهما سعى جاهداً لمحو ذكر آل محمد ونهجهم فإنه لن يبلغ مراده ولن يدرك منتهى شرفهم ومقامهم: "فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا"!

أيضاً: أبلغته بأنه لا يهنأ بملك بعد قتل الحسين وأنّ أيامه قليلة! وفعلاً لم يدم ملكه بعد قتل الحسين سوى ثلاث سنين لا غير، إذ هلك في سنة ٦٤ هـ!

٨- أمور أخرى مهمة وردت في خطبتها أيضاً، منها:

قولها: "وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا": ملك آل محمد = ملك الله، وملك الله يعني حاكمية الله، فالله سبحانه هو المالك الحقيقي لعوالم الخلق كلها بكل ما فيها، وهو الذي اختار خلفاءه (أنبياء، رسل، أئمة) وأمرهم بدعوة الخلق إليه وأوجب على الخلق طاعتهم و اتباعهم، وبالتالي فمطالبة خلفاء الله بالقيادة والملك هو امتثال وتنفيذ لأمر الله ومراده سبحانه، فالملك في الحقيقة لله ومنه ترشح لخلفاء الله بأمر الله، أما غيرهم فهو إن ملك كان معتدياً باغياً ظالماً غاصباً لا أقل ولا أكثر.

قولها: "وتلك الجثث الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها الذئاب وتؤمها الفراعل" يؤكد بطلان عقيدة السباع في طريقة التعرف على المعصومين عليهم السلام كما تقدمت الإشارة لها.

خطبة الإمام علي بن الحسين(ع):

موقف آخر يُضاف إلى مو اقف عائلة الحسين التي لا ينتهي عطاؤها وقد أخذت على عاتقها مهمة بيان الحق وفضح الباطل، السبب الذي اصطحبهم الحسين لأجله في مسيره إلى كربلاء، هذه المرة من ولده علي بن الحسين عليه السلام.

(روي أنّ يزيد أمر بمنبر وخطيب ليذكر للناس مساوئ للحسين و أبيه علي عليهما السلام، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله و أثنى عليه و أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين: "ويلك أيها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار".

ثم قال: "يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب"، فأبى يزيد فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له ليصعد فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً. ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود [١]، فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

"أيها الناس، أعطينا ستاً وفضّلنا بسبع: أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأن منّا النبي المختار محمداً، ومنّا الصديق، ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة. فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

١- روي أنّ يزيد لعنه الله هو الذي أمر الإمام علي بن الحسين بارتقاء المنبر والاعتذار مما فعله أبوه الحسين صلوات الله عليه، فاستغل الإمام صعوده وخطب خطبته المعروفة: (... ثم أمره أن يصعد المنبر فيخطب فيعذر إلى الناس مما كان من أبيه فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا علي بن الحسين أنا ابن البشير النذير، ...) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٨١.

أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزروارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، و أفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين و المارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، و أفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، و أقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي، رضي مرضي، مقدام همام، صابرصوّام، مهذب قوّام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جناناً، و أثبتهم جنانا، وأطبقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة وقربت الأعنّة طحن الرحى، ويذروهم ذروالريح الهشيم، ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدري أُحدي، شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، و أبو السبطين: الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول".

قال: فلم يزل يقول: "أنا أنا"، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن فقطع عليه الكلام وسكت. فلما قال المؤذن: الله أكبر قال علي بن الحسين: "كبرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله"، فلما قال: "أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي: "شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي"، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله التفت علي من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: "يا يزيد، محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدي فلِمَ قتلت عترته؟".

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر) [1].

واضح أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام أراد مخاطبة الحضور- باعتبار كون المجلس عاماً - وإحراج يزيد فيه وبيان باطله وقبح جريمته، لهذا اقتصر في خطبته على التعريف بنفسه ونسبه و انحداره من أسرة تبلغ في عليائها ذرى المجد، وهي في طهرها وشرفها وترٍّ لا نظير له ولا مثيل!

الإمام عليه السلام عدّد شيئاً من فضائل جده الرسول وأمير المؤمنين وأمه الزهراء صلوات الله عليهم، وذكر شيئاً من خصال آل محمد صلوات الله عليهم وعلى رأسهم سبطي رسول الله الحسن والحسين، فهؤلاء الخمسة (أصحاب الكساء) ليس بوسع مسلم إنكار فضلهم وعظيم قدرهم ومقامهم إلا أن يخرج من الإسلام ويدين بدين آخر، وهو بهذا أراد أن يبين عظم الجريمة التي أقدم عليها يزيد لعنه الله باعتدائه على غصن من أغصان هذه الشجرة الإلهية المباركة!

يزيد من جهته شعر بخطر الصاعقة التي نزلت على رأسه في قصره بين حاشيته وأركان نظامه والمقربين منه، فعمد إلى التشويش على الإمام لئلا يتمم كلامه ويفتضح حاله أكثر،

١- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٦٩ – ٧١، والخطبة وردت في مصادر كثيرة سواء روتها بالكامل أو مقطعاً منها، انظر مثلاً: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٢ – ١٣٣؛ الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣٩؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٠٥؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٢؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٣٧ – ١٣٩، وغيرهم.

فبحجة حلول وقت الصلاة طلب من المؤذن أن يؤذن، وإلا ما يزيد الفاسق الفاجر الخمير والصلاة!

على أي حال، اضطر الإمام بعد سماعه الأذان أن يقطع خطبته ويختم عند سماعه الشهادة الثانية: "أشهد أنّ محمداً رسول الله". فاستغل ذلك - بالفطنة وقوة الحجة المعهودة عند آل الرسول - ليختم كلامه بتوجيه سؤال مباشر إلى الطاغية: "يا يزيد، محمد هذا جدك أم جدي؟".

لا شك أنّ هذا النوع من الأسئلة التي تتضمن جوابها معها تتسبّب بإحراج المسؤول أيما إحراج وتساهم بفضحه أمام الملأ. فيزيد لعنه الله إن أظهر حقيقته للناس و أبان عداوته لمحمد صلى الله عليه وآله وكفره به منح الناس حجة للطعن به ومن ثمَّ انفراط حكمه ومملكته؛ باعتبار أنه يحكم أمة المسلمين باسم الرسول؟ كما أنه لا يستطيع أن ينكر نسبه و انحداره من مثلث الباطل والعهر الذي يشكّل (أبو سفيان وهند و ابنهما معاوية) أضلاعه الثلاث! و أيضاً: لا يستطيع أن ينكر أنّ الرسول و ابنته فاطمة ووصيه علياً عليهم السلام هم أجداد علي بن الحسين (الأسير هو وأخواته وعماته بعد قتل أبيه السبط وأهل بيته وصحبه وقطع رؤوسهم والتمثيل بأجسادهم)! بل الناس تشاهد رأس ريحانة الرسول في مجلس يزيد ثم تنظره يطاف به في شوارع دمشق ومصلوباً على باب القصر يرمقه الداخل والخارج؟!!

بالتأكيد، إنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام حصر يزيد في زاوية حرجة جداً، وبكلمات وحجة يسهل استيعابها على السامع مهما كان مستوى إدراكه وثقافته وتديّنه.

ولهذا، فإذا قُدّر لأحد أن يعمل قائمة تضم أكثر الأسئلة إحراجاً التي وجّهت لحكام ظلمة متسلّطين ومستهترين عبر التاريخ، فليس بوسعه تجاهل سؤال الإمام علي بن الحسين الذي كسر به غرور الطاغية يزيد لعنه الله ومرّغ جبروته بتراب نعليه وتركه في موضع لا يُحسد عليه إطلاقاً!

وفي رواية أخرى أنّ الإمام قال ليزيد: (يا يزيد هذا جدي أو جدك؟ فإن قلت جدك فقد كذبت وإن قلت جدي فلم قتلت أبي وسبيت حرمه وسبيتني؟ ثم قال: معاشر الناس هل فيكم من أبوه وجده رسول الله؟ فعلت الأصوات بالبكاء. فقام إليه رجل من شيعته يقال له المنهال بن عمرو الطائي - وفي رواية: مكحول صاحب رسول الله - فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ فقال: ويحك كيف أمسيت؟ أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين فإلى الله نشكو كثرة عدونا، وتفرق ذات بيننا، وتظاهر الأعداء علينا) [١].

وذكر بعض المؤرخين أنّ المنهال التقى الإمام علي بن الحسين عليه السلام في أسواق دمشق وليس بعد إتمام خطبته ونزوله من على المنبر [٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "لقى المنهال بن عمرو علي بن الحسين ابن علي عليهم السلام فقال له كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر، وأصبح عدونا يعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقوراً منقوصاً حقه، وكذلك لم يزل المؤمنون وأصبحت العجم تعرف للعرب حقها بأنّ محمداً كان منها، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأنّ محمداً كان منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأنّ محمداً كان منها وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً كان منها، وأصبحنا أهل البيت لا يعرف لنا حق فهكذا أصبحنا يا منهال" [٣].

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٠٥ – ٣٠٦.

٢- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٣.

٣- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ٢ / ١٣٤ – ١٣٥.

مكان الإقامة في الشام ومدتها:

مكان الإقامة في الشام:

من يراجع الروايات ونصوص المؤرخين بخصوص موضع إقامة ركب آل الرسول (عائلة الحسين) عند وصولها إلى الشام يلاحظ نحوين من النصوص:

الأول: يصف مكان الإقامة بالحبس أو الخرابة التي لا تقي من حر أو برد:

- (ثم إنّ يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم) [١].
- (ثم أمر - يزيد - بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد، فأقاموا فيه حتى تقشرت وجوههم) [٢].
- (قال المدائني: ... وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد) [٣].

وهذا الأمر ورد ذكره في الروايات أيضاً:

عن الإمام الصادق عليه السلام: (لما أُتي بعلي بن الحسين عليه السلام يزيد بن معاوية عليهما لعاين الله ومن معه جعلوه في بيت فقال بعضهم إنما جعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا، فراطن الحرس فقالوا انظروا إلى هؤلاء يخافون ان تقع عليهم البيت وإنما يخرجون غداً فيقتلون قال علي بن الحسين عليه السلام: لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري، والرطانة عند أهل المدينة الرومية) [٤].

الثاني: نصوص ذكرت أنّ يزيد لعنه الله أجلسهم بدار منفردة أو ملحقة بداره:

١- الأمالي، الصدوق: ٢٣١.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١٠٩.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٠٩.

٤- بصائر الدرجات، الصفار: ٣٥٨.

- (ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن أخوهن علي بن الحسين عليهما السلام، فأفرد لهم دار تتصل بدار يزيد، فأقاموا أياماً) [١].
- (ثم أمر بالنساء فأدخلن على نسائه، وأمر نساء آل أبي سفيان فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام ...) [٢].

ويمكن الجمع بين النصوص بالقول إنّ ركب آل الرسول أقام في الخربة أو السجن أول وصولهم إلى دمشق، ثم بعد إدخالهم على يزيد لعنه الله وما جرى بينهم وبينه وإدراكه خطورة تماديه بأذى آل الرسول ربما يكون أمر بإنزالهم منزلاً قريباً من داره كما أمر بتجهيزهم لتسييرهم إلى المدينة. علماً، أنّ فترة بقائهم في دمشق كانت أياماً قليلة كما سيتضح؛ إذ عجّل الطاغية بتجهيزهم وخروجهم من الشام؛ خوفاً من ردود الأفعال المتوقعة.

دس أموي بغرض التخفيف من الجريمة:

لا شك أنّ يزيد لعنه الله أدرك خطورة الجريمة التي أقدم عليها بقتله سبط الرسول وأهل بيته وسبي عائلته وحملهم إلى الشام مأسورين مقيّدين؛ الأمر الذي أدّى إلى حدوث ردود أفعال عند بعض المسلمين - ومنهم أمويون - في مجلسه كما تقدم عرض بعض الحوادث، فضلاً عمّا أحدثه وسيحدثه ذلك الإجرام من بغض لبني أمية في نفوس المسلمين الذين تناقلوا تلك المجريات والأفعال [٣]، ويزيد لعنه الله ليس غبياً وكان يعرف ذلك جيداً، لذلك حاول تدارك الموقف في أواخر أيام تواجد عائلة الحسين في الشام وأمر

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢.

٢- ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٣ – ٣٠٤.

٣- وهو ما حصل بالفعل، قال السيوطي: (ولما قتل الحسين وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد فسرَّ بقتلهم أولاً ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك و أبغضه الناس وحق لهم أن يبغضوه) تاريخ الخلفاء: ٢٢٧.

بتجهيز الركب بما يحتاج إليه في طريق عودته إلى المدينة وأمر برد ما سلبه جيشه منهم وأراد أن يزيد عليه فرفض الإمام علي بن الحسين عليه السلام الزيادة [١].

لكن نصوصاً كثيرة استغل فيها الرواة أو المؤرخون تلك الحالة ليتوسّعوا بشكل مبالغ فيه، بل واضح فيه الدس والكذب، من قبيل:

- أنّ يزيد لعنه الله كان يقول بحق زوجته التي بكت على الحسين: "حق لها أن تعول على كبير قريش وسيدها" [٢]!
- أو أنه أضعف لهم العطاء وبالغ فيه [٣].
- أو أنه ما كان يأكل وإلا ومعه علي بن الحسين [٤].
- أو أنه - مازحاً - طلب من ابنه خالد أن يصارع أحد أبناء الإمام الحسن الموجودين مع الإمام علي بن الحسين [٥]!

١- روي أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال ليزيد لعنه الله: (... أما مالك فلا نريده وهو موفّر عليك، و إنما طلبت ما أُخذ منّا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد ومقنعتها وقلادتها وقميصها. فأمر برد ذلك وزاد عليه مائتي دينار فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرّقها على الفقراء والمساكين) انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٦، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤٣.

٢- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٣ – ٣٠٤؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٣.

٣- (فقالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة أبنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يزيد يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره قالت والله ما ترك لنا خرص قال يا ابنة أخي ما آتي إليك أعظم مما أخذ منك ثم أخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن و أقمن المأتم وأرسل يزيد إلى كل امرأة ماذا أخذ لك وليس منهن امرأة تدعى شيئا بالغا ما بلغ إلا قد أضعفه لها فكانت سكينة تقول ما رأيت رجلا كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٥. وهذّب بعض المؤرخين الرواية بشكل يظهر يزيد لعنه الله بشكل لائق أكثر فحذف آخرها، انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٦؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢١٣.

٤- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٣؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٤؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٧.

٥- (قال: ... ثم دعا بعلي بن حسين وحسن بن حسن وعمرو بن حسن، فقال لعمرو ابن حسن - وهو يومئذ ابن إحدى عشرة سنة -: أتصارع هذا؟ - يعني خالد بن يزيد - قال: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله، فضمّه إليه يزيد وقال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية) مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٤؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٢ / ١٦٢.

ونحوها من قصص وحكايات مختلقة أو محرّفة لقصد واضح وهو التقليل من وطأة الجريمة التي تمت بحق آل محمد بأمر من يزيد لعنه الله وتخفيف أثرها، فاختلقوا بعض القصص أو حرّفوا بعض الأحداث التي يُخيّل لقارئها أنّ آل الرسول كانوا في سفرة إلى الشام للتنزّه ولقاء يزيد والإقامة في داره أو قرب قصره ومشاركته الموائد وطلب المال منه كما يفعل كثير من المسلمين آنذاك ومنهم صحابة وتابعين كما هو معروف! ولا كأنّ جيش الشام قاد عائلة الرسول أسارى مقيدين تتقدمهم رؤوس رجالهم وتحيط بهم عساكر الفسق والفجوروالنفاق من كل جانب بعد أن طافوا بهم البلدان!

هؤلاء الكذّابون - لأنهم مرتزقة مأجورون - يتوقعون أنّ المال والموائد وجلسات المزاح ومداعبة الصبيان بإمكانها أن توازن كفة جريمة قتل الحسين وأهل بيته وحمل رأس ريحانة الرسول وسبي عائلته؟! وفاتهم أن يعلموا أنّ الدنيا بكل ما فيها من ملوك وعروش وأموال من أول الزمان حتى آخره لا تعدل ذرة واحدة من التراب الذي يطأه الحسين بقدميه!

مدة الإقامة في الشام:

ليس هناك رواية أو نص واضح يحدد فترة بقاء آل الرسول في الشام بشكل دقيق. وبعض المؤرخين اكتفى بالتحديد الإجمالي كقولهم: "أقاموا أياماً" [١].

وعموماً، هذه أهم الأقوال في المسألة:

١- عدة أيام، كما عرفنا.
٢- عشرون يوماً، وهذا التحديد يستفاد من كل من اعتبر يوم العشرين من الصفر هو الوقت الذي خرج فيه الركب من الشام [٢]؛ باعتبار أنّ الأول من صفر كان وقت دخول الركب إلى الشام كما عرفنا.

١- انظر: الفتوح، ابن أعثم: ٥ / ١٣٣؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢؛ إعلام الورى، الطبرسي: ١ / ٤٧٥.

٢- انظر: مسار الشيعة، المفيد: ٤٦؛ مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٨٧؛ العدد القوية، العلامة الحلي: ٢١٩.

٣- شهر، أو شهر ونصف [1].

قسم آخر من المؤرخين لم يتطرّقوا إلى تحديد مدة إقامة ركب السبايا في الشام و اقتصروا على ذكر مدة العزاء الذي أُقيم على الحسين صلوات الله عليه هناك، فقد روي أنها كانت ثلاثة أيام [2]. في حين اعتبرها بعضهم سبعة أيام.

قال المجلسي: (وندبوه على ما نقل سبعة أيام، فلما كان اليوم الثامن دعاهن يزيد، وأعرض عليهن المقام فأبين وأرادوا الرجوع إلى المدينة، فأحضر لهم المحامل ...) [3].

ومهما يكن، فالصحيح أنّ مدة إقامتهم في الشام ليست شهراً ولا حتى عشرين يوماً، و إنما كانت أياماً قليلة؛ لأن يزيد لعنه الله لم يكن يرغب ببقاء الركب فترة طويلة؛ خوفاً من العو اقب وردود الأفعال التي بدأت بوادرها بالظهور، فأراد التخلّص منهم وخروجهم من الشام بأسرع وقت، وهم أيضاً طلبوا منه أن يعيدهم إلى مدينة جدهم. لذلك أمر بتعجيل تجهيزهم وتوفير ما يحتاجوه في مسيرهم وأن يُسار بالقافلة برفق تحت حراسة مشددة؛ وكان اللعين يهدف من ذلك احتواء الموقف وامتصاص نقمة بعض المسلمين وتذمّرهم مما فعله بأبناء وبنات الرسول صلى الله عليه وآله، فدو افع التجهيز – كما نلاحظ – سياسية بامتياز يتطلبها الحفاظ على الملك والدنيا لا أكثر.

ثم إنّ بعض المؤرخين ذكر مسألة بكاء نسوة يزيد وأهل بيته على الحسين عليه السلام، وأنهن عقدهن مأتماً عليه؛ خصوصاً زوجته هند فإنها – على حد زعمهم – عاتبت

١- القائل بأنّ الفترة كانت شهراً هو السيد ابن طاووس، انظر: إقبال الأعمال: ٣ / ١٠١، والقائل بأنها شهر ونصف هو القاضي النعمان المغربي، انظر: شرح الأخبار: ٣ / ٢٦٩.

٢- انظر: ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣٠٤.

٣- بحار الأنوار: ٤٥ / ١٩٦ – ١٩٧.

يزيد على قتل الحسين و أبدت عدم رضاها بفعله [١]؟ بل روى بعضهم أنّ يزيد لعنه الله نفسه أمر بإقامة المأتم على الحسين ثلاثاً [٢]!

فهل حصل ذلك فعلاً؟

الصحيح إنّ إقامة مأتم بالمعنى الحقيقي والمعروف للمأتم لم يحصل، ولا يعقل أن يسمح به يزيد لعنه الله، وبالتالي فما نقل في ذلك يعتبر من مبالغات بعض المؤرخين أو الرواة، أو من التحريف والكذب الذي يهدف إلى تلميع صورة يزيد القبيحة كما عرفنا.

نعم، ما حصل هو أنّ بنات الرسول كنَّ يبكين على الحسين صلوت الله عليه وأهل بيته الشهداء بالتأكيد وكان الحزن يعلوهم بشكل كبير، فربما تفاعلت زوجة يزيد أو بعض نساء الأمويين معهم بالبكاء والحزن لا أكثر.

١- هذه بعض نصوص المؤرخين:

- الطبري: (... فخرجن حتى دخلن داريزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي تنوح على الحسين) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٣.

- البلاذري: (وصيح نساء من نساء يزيد بن معاوية وولولن حين أُدخل نساء الحسين عليهن) أنساب الأشراف: ٣ / ٤١٧.

- الفتال: (ثم أُدخل نساء الحسين على يزيد بن معاوية لعنهما الله وأخزاهما فصحن نساء أهل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن و أقمن المأتم) روضة الواعظين: ١ / ١٩١.

وبخصوص هند (زوجة يزيد)، فقد روي أنها لما سمعت بوصول رأس الحسين إلى يزيد تقنعت بثوبها وقيل دخلت على يزيد وهي حاسرة فعاتبته، انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٥؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤٢.

٢- انظر: ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد)، ابن سعد: ٨٣. قال: (وأمر نساء آل أبي سفيان فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام).

(٤)

ركب آل الرسول؛ من الشام إلى المدينة

خروج آل الرسول من الشام إلى كربلاء:

بعد أن دخلوا الشام في الأول من شهر صفر عام ٦١ هـ أسارى سبايا مقيدين ومحاطين بجنود الجيش الأموي، خرج ركب آل الرسول من الشام بعد أن مكثوا فيها أياماً قليلة، إذ ندب يزيد لعنه الله جماعة [١] لتجهيزهم و إيصالهم إلى المدينة.

وروي أنّ يزيد لعنه الله خيّرهم بين البقاء في الشام أو الانصراف فاختاروا الرحيل إلى المدينة [٢].

أيضاً: روي أنّ يزيد لعنه الله اختلى بالإمام علي بن الحسين قبل خروجهم، فقال: "لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيته إياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني من المدينة و أنه كل حاجة تكون لك) [٣].

١- قيل: ندب النعمان بن بشير، وقيل: محرز بن حريث الكلبي، وقيل: جماعة، وقيل: ثلاثون فارساً، وقيل: عدة من موالي أبي سفيان أو بني هاشم، وقيل غير ذلك حسب اختلاف روايات ونصوص المؤرخين.

انظر: الأخبار الطوال، الدينوري: ٢٦١؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢؛ نور الأبصار، الشبلنجي: ١٣٢؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٥؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٦.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٣؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٤؛ شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ١٥٩.

٣ - الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٢.

هاجس التنصّل من جريمة قتل الإمام الحسين صلوات الله عليه يبدو أنه لا يفارق بال يزيد لعنه الله، لذلك نجده في كل مناسبة يتحدث فيها مع أحد أفراد عائلة الحسين – وحتى مع غيرهم – يحاول أن ينفي عن نفسه الجريمة ويلقيها بعهدة ابن زياد لعنه الله!

هذه المسألة بالذات، ليس من الصحيح وضعها ضمن خانة الشيطنة والدجل الذي يهدف اللعين من خلاله إلى الحفاظ على ملكه وسلطانه فحسب، وإن كان هذا صحيح إلى حد ما، لكن ليس هو كل القصة، و إنما جزء منها له ارتباط بثقل تبعة الدم المراق! فالدم البريء إذا أُريق عكّر صفو حياة هادره، و أثّر في سلوكه وفكره، ونكّد عليه عيشه، وسهّد عليه ليله ورقدته، وربما جعله أحياناً خائفاً مرعوباً! هذا، إذا كان دم إنسان بريء ومظلوم عادي فما بالك إذا كان الدم المراق يعود لإمام معصوم بعظمة الحسين بن علي صلوات الله عليه! أكيد أنّه يترك آثاراً كبيرة على نفس الجاني بنحو لا يعلم به إلا الله والجاني نفسه!

يبدو واضحاً أنّ يزيد لعنه الله يريد الهرب من هذا الكابوس الذي قضَّ مضجعه وبدأ يستشعر ثقل تبعاته ويحاول أن يخدع نفسه ويمنّيها بأنه لا دخل له بإراقة دم الحسين ليهدّئ من روعه ولو لبعض الوقت!

وعلى أي حال، فقد ذكر البعض أنّ تاريخ خروج آل الرسول من الشام كان في العشرين من شهر صفر عام ٦١ هـ، أي إنهم مكثوا فيها عشرين يوماً [1]، ولكن الصحيح – كما بيّنا – أنهم مكثوا أياماً قليلة وخرجوا قبل ذلك.

ثم إنّ المؤرخين (الشيعة منهم بالخصوص) اختلفوا في مسألة مرور الركب بكربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام أو توجهه إلى المدينة مباشرة؟

١- انظر: مسار الشيعة، المفيد: ٤٦؛ مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٨٧؛ المصباح، الكفعمي: ٤٨٩، ٥١٠؛ العدد القوية، العلامة الحلي: ٢١٩.

الأكثر قالوا بذهاب ركب آل الرسول إلى المدينة واستبعدوا مرورهم بكربلاء [١]؛ خصوصاً من قال بخروجهم من الشام في يوم الأربعين (العشرين من صفر)، وبالتالي فما ورد من ذهاب آل الرسول لزيارة قبر الحسين والشهداء لا يمكن - بنظر هؤلاء - حمله على الأربعين الأولى!

أما من اختار ذهابهم من الشام إلى كربلاء ثم منها إلى المدينة، فمنهم من قال بوصولهم في العشرين من صفر (الأربعين الأول) [٢]، ومنهم من يرى عدم إمكانية وصولهم يوم العشرين من صفر بسبب عدم كفاية الوقت، وبالتالي فيحتمل - بنظرهم - أن يكون وصول الركب بعد شهر صفر، أو في الفترة الو اقعة بين الأربعين الأولى والثانية على حد تعبير بعضهم [٣]، أما لقاؤهم بجابر الأنصاري فيمكن أن يكون جابر زار قبر الحسين عليه

١- انظر: المصادر المتقدمة. وممّن استبعد وصولهم إلى كربلاء في الأربعين الأولى أيضاً: ابن طاووس في إقبال الأعمال: ٣ / ١٠٠ – ١٠١؛ المجلسي في البحار: ٩٨ / ٣٣٤؛ المحدث النوري في اللؤلؤ والمرجان: ١٥٠ – ١٥٤؛ المحدث عباس القمي في منتهى الآمال: ١ / ٦٢٢؛ الشيخ مطهري في الملحمة الحسينية: ١ / ٢٢.

تنبيهان:

الأول: ذكر ابن طاووس في كتابه "اللهوف" مرور ركب آل الرسول بكربلاء في طريق عودتهم إلى المدينة، وذكر لقاءهم بجابر الأنصاري، انظر: اللهوف في قتلى الطفوف: ١١٤.

الثاني: اعتبر الشيخ مرتضى مطهري أنّ القائل بمرور السبايا بكربلاء هو السيد ابن طاووس فقط في كتاب "اللهوف"، وهو كلام غير دقيق لأنّه مروي وذكره آخرون منهم البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ كما سيتضح.

٢- قال البيروني: (العشرون - من صفر - رُدَّ رأس الحسين إلى جثته حتى دفن مع جثته، وفيه زيارة الأربعين، وهم حرمه بعد انصر افهم من الشام) الآثار الباقية عن القرون الخالية: ٣٢١.

- قال البهائي: (التاسع عشر - من صفر - فيه زيارة الأربعين لأبي عبد الله عليه السلام، وهي مروية عن الصادق عليه السلام وقتها عند ارتفاع النهار، وفي هذا - وهو يوم الأربعين من شهادته عليه السلام - كان قدوم جابر بن عبد الله الأنصاري لزيارته عليه السلام، و اتفق في ذلك اليوم ورود حرمه عليه السلام من الام إلى كربلاء قاصدين المدينة على ساكنها السلام والتحية) توضيح المقاصد: ٦.

- قال المجلسي في بيان استحباب زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين: (والمشهور بين الأصحاب أنّ العلة في ذلك رجوع حرم الحسين صلوات الله عليه في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام وإلحاق علي بن الحسين صلوات الله عليه الرؤوس بالأجساد ...) بحار الأنوار: ١٠١ / ٣٣٤.

٣- انظر: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، محمد أمين الأميني: ٦ / ٣١٨.

السلام أكثر من مرة؛ الأولى منها كانت يوم الأربعين ثم زيارة ثانية بعد ذلك بفترة صادف فيها وصول ركب آل الرسول قادماً من الشام!

المسألة عندهم - كما نرى - قائمة على الاحتمالات بعد غياب النصوص القطعية، وقد ذكر المحدث النوري وجوهاً استحسانية كثيرة تدل - بنظره - على استبعاد وصول آل الرسول إلى كربلاء وحضورهم في الأربعين الأولى (٢٠ صفر سنة ٦١ هـ) ولقائهم بجابر الأنصاري؛ أهمها عامل الوقت الذي يراه غير كافٍ تماماً [١]، في قبال من قال بكفاية الوقت وأنّ ركب آل الرسول وصل فعلاً إلى كربلاء يوم الأربعين والتقى بجابر الأنصاري، وعزّز مذهبه بذكر شواهد تاريخية عديدة [٢]!

سألت السيد أحمد الحسن فقلت: من الأمور غير المحسومة مسألة رجوع ركب آل الرسول من الشام وتحديد وجهته: هل أنهم توجهوا إلى المدينة مباشرة كما عليه البعض، أو أنهم جاءوا إلى كربلاء ثم منها إلى المدينة كما هو المعروف والمشهور بين أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

فقال: (وصل علي بن الحسين وزينب بنت علي عليهما السلام والعائلة ومن معهم إلى قبر الحسين عليه السلام في شهر صفر، ولا يوجد إشكال في مسألة الوقت؛ خصوصاً أنهم في عودتهم وفّرت لهم وسائل نقل كافية وبالتالي فحركتهم كانت سريعة) انتهى [٣].

١- ومن الوجوه التي ذكرها أيضاً: إنّ المفيد والطوسي وأمثالهم ذكروا توجه الركب من الشام إلى المدينة، ومنها: إنّ الأصل الذي ذكر زيارة جابر الأنصاري (بشارة المصطفى للطبري، مصباح الزائر لابن طاووس) لم يتطرق إلى مسألة لقائه بآل الرسول يوم الأربعين، ومنها: لو كان آل الرسول وصلوا يوم الأربعين لما صدق على جابر أنه أول زائر! ... إلخ من وجوه يمكن الاطلاع عليها في كلامه. انظر: اللؤلؤ والمرجان، المحدث النوري: ١٥٠ – ١٥٤.

٢- من القائلين بذلك: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي، فبعد أن استعرض الشواهد التاريخية قال: (فملخص القول: إنه يصح ما ذكره سبط ابن الجوزي أنهم تركوا الكوفة في الخامس عشر من المحرم نحو الشام، ثم إنهم وصلوا الشام في الأول من صفر ولبثوا فيه ما يقرب ثمانية أيام، ثم توجهوا إلى كربلاء خلال ثمانية أو عشرة أيام فتمكنوا من الرجوع إلى كربلاء والدخول فيها في العشرين من صفر - الأربعين -، وهو المطلوب) عنه: مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، محمد أمين الاميني: ٦ / ٣١٣.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

واضح أنّ وصولهم إلى كربلاء لم يكن بعد شهر صفر كما توهّمه البعض، وإنما وصلوا وشهر صفر لم يخرج بعدُ، أي كان وصولهم في نهاية شهر صفر (بعد الأربعين)، ولا شك أنّ هذا أمر ممكن ومعقول؛ لأن ركب آل الرسول وصل دمشق في الأول من صفر، وبقوا في الشام أيام قليلة كما ذكرنا، وبالتالي فلو افترضنا أنّ حركتهم من الشام كانت في أواخر العشرة الأولى من شهر صفر وأنّ وصولهم إلى كربلاء كان في نهاية شهر صفر، فهذا يعني أنهم كان لديهم ما يقرب من العشرين يوماً، وهي مدة كافية لقطع مسير (الشام – كربلاء) إذا توفرت لهم وسائل نقل كافية وتم تجهيزهم بما يلزم للحركة السريعة، وهذا بالفعل قد حصل كما عرفنا سابقاً.

ثم لا شك أنّ طريق (الشام – المدينة) يختلف عن طريق (الشام – كربلاء)، لكن آل البيت عليهم السلام تمكّنوا من المسير إلى كربلاء بعد موافقة المسؤولين المرافقين للقافلة، حيث ذكر بعض المؤرخين أنّ يزيد لعنه الله أمر القائمين على الركب أن يرفقوا بهم في طريق العودة وأن يسيروا معهم وينزلوا بهم حيث شاءوا ومتى شاءوا [1].

عموماً، وصل ركب آل الرسول إلى كربلاء لزيارة قبر سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وقبور الشهداء من أهل بيته وصحبه، في نهاية شهر صفر عام ٦١ هـ، وهناك التقوا بالصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري كما سيتضح الآن.

١- انظر: ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤.

لقاء آل الرسول بجابر الأنصاري:

زيارة جابر لقبر الحسين(ع) ولقاؤه بآل الرسول:

بحسب ما بأيدينا من نصوص ووثائق تاريخية، فإنّ أول من توفّق لزيارة قبر الإمام الحسين بن علي صلوات الله عليه من الناس هو الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري:

رووا عن يوم الأربعين: (هو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حزام الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي الله تعالى عنه من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر سيدنا أبي عبد الله عليه السلام، فكان أول من زاره من الناس) [١].

(عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب فلما وردنا كربلا دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه، فألمسته، فخر على القبر مغشيا عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه.

ثم قال: و أنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك [٢] وفرّق بين بدنك ورأسك فأشهد أنك ابن خاتم النبيين و ابن سيد المؤمنين و ابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا و ابن سيد النقباء و ابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيبة لفر اقك ولا

١- مسار الشيعة، المفيد: ٤٦. و انظر أيضاً: مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٨٧؛ المصباح، الكفعمي: ٤٨٩؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١١٤؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٧؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤٦؛ مستدرك الوسائل، النوري: ٣ / ٥٨٠، وغيرهم.

٢- أثباجك: جمع ثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر، وهو إشارة إلى أنّ الحسين صلوات الله عليه ذُبح من قفاه!

شاكّة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين و أناخت برحله، (و) أشهد أنكم أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين [١] وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق (نبيا) لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له: يا جابر كيف ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم و أبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم؟

فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوماً حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق نبياً إنّ نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه خذني نحو أبيات كوفان. فلما صرنا في بعض الطريق قال (لي): يا عطية هل أوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك: أحبب محب آل محمد عليهم السلام ما أحبهم و أبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواماً قواماً، وارفق بمحب محمد وآل محمد، فإنه إن تزل له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له أخرى بمحبتهم، فإنّ محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار) [٢].

بحسب الرواية، فإنّ زيارة جابر هذه كانت الزيارة الأولى بعد وصوله إلى كربلاء عند أو قبل يوم الأربعين، وواضح أنّ جابراً لم يلتقِ بركب آل الرسول في هذه الزيارة، وأنّ لقاءه بهم كان في زيارة أخرى، ولابد أن تكون في صفر أيضاً؛ لأننا عرفنا سابقاً أنّ آل الرسول تمكّنوا من الوصول إلى كربلاء قبل خروج شهر صفر، وهذا يعني أنّ جابراً كان مرابطاً عند قبر الإمام الحسين عليه السلام منذ وصوله إليه عند أو قبل يوم الأربعين حتى أواخر شهر صفر.

١- الملحدين: أي المنحرفين.

٢- بشارة المصطفى، عماد الدين الطبري: ١٢٦؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٦٥ / ١٣٠ – ١٣١.

يبدو أنّ جابر الأنصاري أحس بعظم الخسارة التي مُني بها بسبب عدم لحوقه بالحسين عليه السلام، وكان واضحاً لديه عظم المنزلة التي حظي بها من لحق بالحسين واستشهد معه، فالمسألة – في الحقيقة – لا تختزل بوجود أو عدم وجود العذر الشرعي في التخلّف عن نصرة الحسين ليُصار إلى تبرير عدم اللحوق بفقدان البصر أو المرض أو كبر السن أو السجن وما شابه من أعذار، بل الأهم هو أن يُعلم يقيناً بأنّ الخسارة ستكون نصيب كل من لم يلحق إمام زمانه حتى وإن تحجج بألف عذر شرعي حال بينه وبين اللحوق؛ لأن النتيجة ستكون واحدة وهي عدم اللحوق وعدم التوفيق لنيل الفتح والشهادة المترتبين عليه!

سألت السيد أحمد الحسن عن صحة ما يروى من لقاء جابر الأنصاري بآل الرسول في كربلاء؟ فقال:

(لقاؤه بهم صحيح. جابر أقام فترة عند قبر الحسين عليه السلام، فهو وصل قبل الأربعين و أقام ونصب خيمة عند قبر الحسين عليه السلام، والتقى زينب وعلي بن الحسين عليهما السلام نهاية شهر صفر).

وأضاف: (جابر كان نادماً أنه لم يلحق الحسين عليه السلام ويستشهد معه، فأقام مدة عند قبره، ولازم علي بن الحسين عليه السلام من بعده. فهو وإن كان ضريراً لكن المسألة ليست في كونه معذوراً في عدم لحوقه أو غير معذور، و إنما المسألة هي خسارة عظيمة في كل الأحوال، وهل برير- مثلاً- لم يكن معذوراً وهو شيخ كبير يتكئ على عصاه!) انتهى [١].

ومهما يكن، فقد أقام ركب آل الرسول عدة أيام في كربلاء للعزاء، وحدّد بعضهم المدة بثلاثة أيام [٢].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- قال القندوزي: (فأخذوا بإقامة المآتم إلى ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى المدينة) ينابيع المودة: ٩٢.

و أيضاً: ذكرت بعض المصادر زيارة جابر الأنصاري وعطية العوفي وأشارت إلى لقائه بركب آل الرسول عليهم السلام:

(قال عطية: فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من ناحية الشام فقلت يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام فقال جابر لعبده انطلق إلى هذا السواد و أتنا بخبره فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ وإن كان زين العابدين فأنت حر لوجه الله تعالى قال فمضى العبد فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته فقام جابر يمشي حافي الاقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام فقال الامام أنت جابر فقال نعم يا ابن رسول الله فقال يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا وذبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحرقت خيامنا، ثم انفصلوا من كربلا طالبين المدينة) [1].

(لما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (ره) وجماعة من بنى هاشم ورجالا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فو افوا وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم و أقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياما) [2].

١- لواعج الأشجان، محسن الأمين: ٢٤١ – ٢٤٢.

٢- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١١٤.

هل رُدّت الرؤوس إلى الأجساد؟

المشهور بين المؤرخين - خصوصاً الشيعة منهم - أنّ يزيد لعنه الله لما سيّر ركب آل الرسول من الشام إلى المدينة بعث معهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، فلما مرّوا بكربلاء ألحق الإمام علي بن الحسين عليه السلام الرأس بالجسد الشريف [١].

بعض المؤرخين السنة نقلوا قول علماء الشيعة [٢].

قال ابن الجوزي: (واختلفوا في الرأس على أقوال أشهرها أنه ردّه إلى المدينة مع السبايا، ثم رد إلى الجسد بكربلاء فدفن معه، قاله هشام وغيره) [٣].

وهو مروي أيضاً: (عن فاطمة بنت علي [٤] صلوات الله عليهما: ثم إنّ يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنّهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ..... إلى أن خرج علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة، ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء) [٥].

- وقيل: إنّ المُلحِق هو عمر بن عبد العزيز [٦].

١- انظر: روضة الواعظين، النيسابوري: ١ / ١٩٢، رسائل المرتضى: ٣ / ١٣٠؛ إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ٢٥٠؛ مثير الأحزان، ابن نما: ١٠٦؛ اللهوف، ابن طاووس: ١١٤.

قال المجلسي: (والمشهور بين علمائنا الامامية أنه دفن رأسه مع جسده، رده علي بن الحسين عليهما السلام) بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤٥، ١٤٦.

٢- انظر على سبيل المثال: نور الأبصار، الشبلنجي: ١٣٣؛ فيض القدير، المناوي: ١ / ٢٠٥.

٣- تذكرة الخواص: ٢٦٥.

٤- في مصادر أخرى: فاطمة بنت الحسين، وهو الصحيح، انظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٩٢.

٥- الأمالي، الصدوق: ٢٣١ – ٢٣٢.

٦- قال الخوارزمي: (إنّ الرأس الشريف صُلب بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزائن بني أمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك فطلبه فجيء به وهو عظم أبيض قد قحل فجعله في سفط وطيّبه وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلى عليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلبه منه فأخبره بخبره، فسأل عن الموضع الذي دفن فيه فنبشه وأخذه، والله أعلم بما صنع، والظاهر من دينه أنه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده) مقتل الحسين: ٢ / ٧٥.

- وروي أنه مدفون بالنجف استناداً لبعض الروايات [١].
- وقيل: إنّ الرأس الشريف مدفون بالمدينة [٢].

١- منها: ما رواه الكليني: (عن يزيد بن عمر بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلي - يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه - قال: فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حتى إذا جاز الثوية وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما فصلى وصلى إسماعيل وصليت فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين عليه السلام، فقلت: جعلت فداك أليس الحسين بكربلا؟ فقال: نعم ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام) الكافي: ٤ / ٥٧١.

ومنها: ما رواه ابن قولويه: (عن علي بن أسباط، رفعه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنك إذا أتيت الغري رأيت قبرين، قبراً كبيراً وقبراً صغيراً، فأما الكبير فقبر أمير المؤمنين، وأما الصغير فرأس الحسين بن علي عليهما السلام) كامل الزيارات: ٨٤.

و أيضاً: (عن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة أيام مقدمه على أبي جعفر في ليلة صحيانة مقمرة، قال: فنظر إلى السماء، فقال: يا يونس اما تري هذه الكواكب ما أحسنها، اما انها أمان لأهل السماء، ونحن أمان لأهل الأرض، ثم قال: يا يونس فمر بإسراج البغل والحمار، فلما اسرجا، قال: يا يونس أيهما أحب إليك البغل أو الحمار، قال: فظننت ان البغل أحب إليه لقوته، فقلت: الحمار، فقال: أحب ان تؤثرني به، قلت: قد فعلت فركب وركبت. ولما خرجنا من الحيرة، قال: تقدم يا يونس، قال: فأقبل يقول: تيامن تياسر، فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر، قال: هو المكان، قلت: نعم، فتيامن، ثم قصد إلى موضع فيه ماء وعين فتوضأ، ثم دني من اكمة فصلى عندها، ثم مال عليها وبكى، ثم مال إلى اكمة دونها، ففعل مثل ذلك، ثم قال: يا يونس افعل مثل ما فعلت، ففعلت ذلك. فلما تفرّغت قال لي: يا يونس تعرف هذا المكان، فقلت: لا، فقال: الموضع الذي صليت عنده أولا هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والأكمة الأخرى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ان الملعون عبيد الله ابن زياد لعنه الله لما بعث برأس الحسين عليه السلام إلى الشام رد إلى الكوفة فقال: أخرجوه عنها لا يفتن به أهلها، فصيره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس) كامل الزيارات: ٨٦ – ٨٧.

ومنها: ما رواه الطوسي: (عن المفضل بن عمر، قال: جاز مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري، فصلى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليهما السلام، وضعوه هاهنا) الأمالي: ٦٨٢.

٢- قال ابن سعد: (قال: وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل له يومئذ على المدينة فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلي، فقال مروان: اسكت! ثم تناول الرأس فوضعه بين يديه وأخذ بأرنبته فقال: يا حبذا بردك في اليدين * ولونك الأحمر في الخدين * كأنما بات بمجسدين ..... ثم أمر عمرو بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه) ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤؛ و انظر أيضاً: مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٥. نور الأبصار، الشبلنجي: ١٣٣.

- وقيل بالشام [١].
- وقيل بمصر [٢].

ولا نرى ضرورة أو فائدة تعود بالنفع على دين الله في حسم هذه المسألة الآن؛ فتعدد المشاهد والمقامات لرأس الحسين صلوات الله عليه مما يسهم بنشر ثورة الإمام الحسين ويزيد من تفاعل المسلمين مع أهدافها الإلهية واستحضارها دائماً.

زيارة الأربعين:

من زيارات الإمام الحسين عليه السلام المخصوصة هي الزيارة المعروفة بزيارة الأربعين، وقد ورد في فضلها أنها إحدى علامات المؤمن:

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: "علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم" [٣].

وأما كيفية الزيارة:

١-(قال الكلبي: وبعث يزيد برأسه الى المدينة فنصب على خشبة ثم رد إلى دمشق فدفن في حائط بها ويقال في دار الامارة ويقال في المقبرة) انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤١٩.

وروى ابن عساكر عن ربّا حاضنة يزيد: (إنّ الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك فبعث به فجاء به وقد قحل وبقي عظم أبيض فجعله في سفط وطيّبه وجعل عليه ثوباً ودفن في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى الخازن - خازن بيت السلاح - وجه إلي رأس الحسين بن علي فكتب اليه أن سليمان أخذه وجعله في سفط وصلى عليه ودفنه فصح ذلك عنده فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه والله أعلم بما صنع) تاريخ مدينة دمشق: ٧ / ٤٢١. المسودة: أي بنو العباس.

قال ابن الجوزي: (وذكر ابن ابي الدنيا أنهم وجدوا في خزانة يزيد رأس الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٥ / ٣٤٤.

٢- قال ابن الجوزي: (واختلفوا في الرأس على أقوال ... الخامس: إنّ الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يُزار في الجملة) تذكرة الخواص: ٢٦٥. وانظر أيضاً: البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ٢٠٥.

٣- تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٥٢.

(عن صفوان بن مهران قال: قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه: في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله و ابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات، اللهم! إني أشهد أنه وليك و ابن وليك وصفيك و ابن صفيك الفائز بكرامتك أكرمته بالشهادة وحبوته بالسعادة واجتبيته بطيب الولادة وجعلته سيدا من السادة وقائدا من القادة وذائدا من الذادة وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء ومنع النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الأدنى وشرى آخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى في هواه وأسخطك وأسخط نبيك وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين للنار فجاهدهم فيك صابرا محتسبا، حتى سفك في طاعتك دمه واستبيح حريمه، اللهم! فالعنهم لعنا وبيلا وعذبهم عذابا أليما، السلام عليك يا ابن رسول الله! السلام عليك يا ابن سيد الأوصياء! أشهد أنك أمين الله و ابن أمينه، عشت سعيدا ومضيت حميدا ومت فقيدا مظلوما شهيدا، وأشهد أن الله منجز ما وعدك ومهلك من خذلك ومعذب من قتلك، وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين، فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به، اللهم! إني أشهدك أني ولي لمن والاه وعدو لمن عاداه، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك المدلهمات من ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا، وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسامكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم آمين رب العالمين! ثم تصلي ركعتين، وتدعو بما أحببت وتنصرف) [١].

١- مصباح المتهجد، الطوسي: ٧٨٨.

فضل زيارة الحسين(ع) والتبرّك بضريحه:

مسألة زيارة قبور الأولياء والتبرّك بأضرحتهم و آثارهم أمر متسالم على شرعيّته عند جميع المسلمين بشتّى طوائفهم، ولم يشذ عن القول بالجواز سوى زمرة السلفيين (الوهابية)، التي لم تكتفِ بالقول بعدم الجواز، و إنما تمادت لتنسب جميع القائلين بجواز التبرك والفاعلين له - وهم الغالبية العظمى من المسلمين - إلى الشرك!

وهذه بعض النقاط التي ينفع ملاحظتها في هذا الأمر:

أولاً: القرآن الكريم، المصدر القطعي الأساسي لاستلهام العقائد الصحيحة، أقرَّ قضية التبرّك بقبور الأولياء وحثَّ عليها.

قال السيد أحمد الحسن: (... أما قضية التبرك بالقبور باعتبارها أماكن ضمّت أجساد أولياء الله وبالتالي فهي نافذة لأرواحهم المقدسة إلى هذا العالم فقد أقرّها القرآن وحثَّ عليها، قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً" الكهف: ٢١. فلو كان باطلاً قول من أرادوا وبنوا مسجداً على قبور أصحاب الكهف لأنكره الله وبيّن بطلانه، فإهماله - والحال هذا - يكون إغراءً بالباطل وحاشاه سبحانه أن يغري ويخدع عباده بالباطل، فتبين أنّ قول: "الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً" هو الحق من الله، وأنّ التبرك بالقبور من دين الله ولا قيمة ولا اعتبار لأي حديث أو رواية إن خالفت نصّاً قرآنياً محكماً بيّناً لكلِّ ذي لبٍّ سليم وفهمٍ مستقيم) [1].

كما بيّن القرآن الكريم - أيضاً - أنّ لآثار الأولياء أثراً بإذن الله سبحانه:

١- الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال ٣٠٩.

قال تعالى: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" يوسف:٩٣، فهل الله - وحاشاه - يغري عباده بالشرك ويخدعهم بما ينافي توحيده؟! أم أنّ الاعتقاد ببركة الأولياء وتأثيرهم بإذن الله جزء من توحيد الله، وهو الحق بالتأكيد!

ثانياً: تواترت الروايات عند المسلمين أنّ كثيراً من الصحابة كانوا يتبرّكون بالرسول صلى الله عليه وآله وبآثاره، فلو كان الأمر ينافي توحيد الله - كما يزعم الوهابيون - لما جاز ذلك، ولنهاهم الرسول عن فعل ذلك [١]. فالسكوت عن الحالة وإهمالها وعدم الردع عنها فيه إغراء للمسلمين بالباطل وحاشاه من ذلك، لا سيما وأنّ الشرك من أعظم الباطل كما هو معلوم. وهذا مثال للروايات:

(حدثنا الحكم قال سمعت أبا جحيفة يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به فصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة وقال أبو موسى دعا النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال لهما اشربا منه و أفرغا على وجوهكما ونحوركما

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني محمود بن الربيع قال وهو الذي مج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وهو غلام من بئرهم وقال عروة عن المسور وغيره يصدق كل واحد منهما صاحبه وإذا توضأ النبي صلى الله عليه وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه

باب حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن الجعد قال سمعت السائب بن يزيد يقول ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه) [٢].

١- من طالع الروايات يجد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يسكت عن التبرك به وبآثاره فحسب، وإنما كان يدعو بعض المسلمين للتبرك، وبالتالي فواضح جداً أنّ المسألة تقع ضمن مسار التوحيد الحقيقي لله سبحانه وليس كما فهم الوهابيون.

٢- صحيح البخاري: ١ / ٥٥ – ٥٦، كتاب الوضوء.

(عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء من ادم ورأيت بلالا اخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه شيئا اخذ من بلل يد صاحبه) [١].

(عن انس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا أم سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت ...

عن انس عن أم سليم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعا فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم سليم ما هذا قالت عرقك أدوف به طيبي) [٢].

(عن عثمان بن عبد الله ابن موهب قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وكان إذا أصاب الانسان عين أو شئ بعث إليها مخضبة فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا) [٣].

قال ابن حجر في شرح الحديث: (والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الاناء أو يغتسل به استشفاء بها فتحصل له بركتها ...) [٤].

١- صحيح البخاري: ١ / ٩٩ – باب الصلاة في الثوب الأحمر.

٢- صحيح مسلم: ٧ / ٨٢ – باب عرق النبي عليه السلام في البرد وحين يأتيه الوحي.

٣- صحيح البخاري: ٧ / ٥٧ – كتاب اللباس.

٤- فتح الباري: ١٠ / ٢٩٨.

(عن انس بن مالك قال لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس) [١].

كيف يعطي الرسول صلى الله عليه وآله شعره للمسلمين إذا كان التبرّك به وبآثاره شرك بالله وينافي توحيد الله؟! وهل يقول الوهابيون إنه أعطاه لهم لأجل أن يأكلوه مثلاً؟!

(قال أبو حاتم رضي الله عنه في قسمة النبي صلى الله عليه وسلم شعره بين أصحابه أبين البيان بأنّ شعر الإنسان طاهر إذ الصحابة إنما أخذوا شعره صلى الله عليه وسلم ليتبركوا به فبين شاد في حجزته وممسك في تكته وآخذ في جيبه يصلون فيها ويسعون لحوائجهم وهي معهم وحتى إن عامة منهم أوصوا أن تجعل تلك الشعرة في أكفانهم ولو كان نجسا لم يقسم عليهم صلى الله عليه وسلم الشئ النجس وهو يعلم أنهم يتبركون به على حسب ما وصفنا) [٢].

ثالثاً: لا شك أنّ هذه الروايات - وهي كثيرة تبلغ حد التواتر بالتأكيد - أحرجت الوهابيين؛ لأنها على النقيض تماماً من عقيدتهم المبتدعة، لذلك اضطر بعض أئمتهم إلى القول بجواز التبرك بآثار الرسول فقط دون غيره [٣]!

وهو كلام باطل بكل تأكيد؛ فالشرك ومنافاة التوحيد أمر باطل دائماً ولا يصح فعله مع الرسول أو مع غيره من أولياء الله، وجواز التبرك بآثار الرسول يعني أنّ التبرك ليس شركاً بالله ولا ينافي توحيد الله، وطالما هو لا ينافي التوحيد فما المانع من جواز التبرك بأولياء آخرين (ذواتهم، قبورهم، آثارهم)!

١- صحيح مسلم: ٤ / ٨٢ – باب من حلق قبل النحر.

٢- صحيح ابن حبان: ٤ / ٢٠٨ – ٢٠٩.

٣- هذا سؤال وجّه لابن باز وجوابه عليه: (السؤال: ... ما حكم التبرك بالصالحين وآثارهم سماحة الشيخ؟ الجواب: لا يجوز التبرك بالصالحين ولا بآثارهم، إنما هذا خاص بالنبي ﷺ، التبرك بآثاره وبعرقه وريقه ووضوئه هذا خاص بالنبي ﷺ، أما غيره لا...) الموقع الرسمي لابن باز- فتاوى نور على الدرب - فتوى: ١٦٥٦٨.

علماً، أنّ القرآن الكريم لم يخصّص الجواز بالرسول محمد صلى الله عليه وآله فقط، وإنما ذكر يوسف عليه السلام، وذكر أصحاب الكهف أيضاً كما تقدم في الآيات أعلاه، وبهذا يتضح أنّ التخصيص الوهابي بلا دليل.

رابعاً: مثله في البطلان قول بعض أئمة الوهابيين بجواز التبرّك بآثار الرسول أثناء حياته فقط وعدم الجواز بعد وفاته؛ لأنه - كذلك - تخصيص بلا مخصص قطعي، فإذا كان التبرك بالأولياء (ذواتهم، قبورهم، آثارهم) ينافي التوحيد فهو ينافيه سواء بعد ممات الولي (الرسول) أو أثناء حياته، وإذا كان لا ينافيه فهو لا ينافيه في كلا الحالين (الحياة، وبعد الممات) أيضاً، ولا قيمة للتفريق المزعوم؛ لأنه قول بلا دليل.

ولاحظنا في الأحاديث أعلاه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قسّم شعره بين المسلمين ووزّعه عليهم ولم يحدّد لهم مدة الاحتفاظ والتبرك به، ولم يطلب منهم أن يتخلّصوا منه بعد وفاته؛ لأن إبقاءه ينافي التوحيد! كما أنّ بعض مرضى المسلمين الذين كانوا يستشفون ويتبرّكون بشعر الرسول الموجود عند أم سلمة لم تذكر الروايات أنّ رجوعهم لها كان منحصراً في زمن حياة الرسول فقط، بل الأرجح أنّ مجيئهم لها كان بعد وفاة الرسول؛ إذ لو كان الرسول حياً فلماذا يقصدون شعر رأسه ولا يقصدونه هو بنفسه؟!

بل بعض الأحاديث صريحة في أنّ المسلمين كانوا يتبرّكون بآثار الرسول بعد وفاته:

(عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ..... فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه قال ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له) [1].

١- صحيح البخاري: ٦ / ٢٥٢ – كتاب الأشربة.

(وروى بن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال قال لي ثابت البناني قال لي أنس بن مالك هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعها تحت لساني قال فوضعتها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه) [١].

وهذا التابعي ابن سيرين يتمنّى لو تكون عنده شعرة من رأس الرسول:

(عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى عليه وسلم أصبناه من قبل انس أو من قبل أهل انس فقال لان تكون عندي شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها) [٢].

وهذا عمر بن عبد العزيز يوصي بجعل شعر وأظفار الرسول في كفنه:

(عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله قال أوصى عمر بن عبد العزيز عند الموت فدعا بشعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وأظفار من أظفاره وقال إذا مت فخذوا الشعر والأظفار ثم اجعلوه في كفني ففعلوا ذلك) [٣].

وهذا أحمد بن حنبل (أحد أئمة المذاهب الأربعة) كان عنده شعرة من رأس الرسول فكان يقبّلها ويستشفي بها ويتبرك بها:

(قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، فيضعها على فيه يقبلها. وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به. ورأيته أخذ قصعة النبي، صلى الله عليه وسلم فغسلها في حب الماء، ثم شرب فيها ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

١- الإصابة، ابن حجر: ١ / ٢٧٦.

٢- صحيح البخاري: ١ / ٥٠ – ٥١ – كتاب الوضوء.

٣- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥ / ٤٠٦.

قلت: أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أنّ عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رمانة منبر النبي، صلى الله عليه وسلم، ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأساً. أعاذنا الله و إياكم من رأي الخوارج ومن البدع) [١].

ونقل عن إبراهيم الحربي - أحد علماء السلف الكبار - أنه قال: (يستحب تقبيل حجرة النبي) [٢].

وبهذا يتضح أنّ سيرة المسلمين – صحابة، وتابعين، و أئمة مذاهب، ومن تلاهم – كانت قائمة على التبرّك بالرسول وبآثاره في حياته وبعد وفاته، ولا أثر للتخصيص الذي زعمه الوهابيون نهائياً!

فتلخّص: أنّ القرآن الكريم والسنة المتواترة وسيرة المسلمين كلها تؤكد جواز التبرك بالرسول صلى الله عليه وآله و آثاره، وعرفنا أنه لا فرق بين الرسول وبين سائر أولياء الله من جهة أصل مشروعية التبرك (ذاتاً و أثراً)، ولذلك ذكر القرآن الكريم يوسف عليه السلام وأصحاب الكهف.

خامساً: بمعرفة ما تقدم، نعرف أنّ مشروعية زيارة الإمام الحسين صلوات الله عليه والتبرّك بضريحه الشريف تقع ضمن هذا المسار الديني والتوحيدي المرغّب فيه كتاباً وسنّة، والحسين - بلا شك - ليس بأقل منزلة من أصحاب الكهف الذين لم يرد بحق واحد منهم أنّ الرسول محمد صلى الله عليه وآله – وهو أكرم الخلق بلا تردد من مسلم قط – قال بحقه إنه ريحانته أو ثمرة فؤاده أو مهجة قلبه أو ابنه، أو أنه سيد شباب أهل الجنة، أو أنه مني و أنا منه، ولا أنه قبّله في طفولته وشمّه وحمله على كتفيه وظهره وأطعمه ريقه وإبهامه، ولا أنه بكاه منذ ولادته بنشيج و انتحاب ... إلخ مما قاله وفعله بحق ولده الحسين مما مر بعضه في "التمهيد"، وبالتالي فأفضلية الحسين عليه السلام على أصحاب الكهف واضحة من هذه الناحية لا أقل.

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١١ / ٢١٢.

٢- كشف القناع، البهوتي: ٢ / ١٧٥.

سادساً: مسار استدلالي آخر يمكننا من خلاله إثبات مشروعية – بل واستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام – يتلخص بإثبات أحقية آل محمد بالإمامة والوصاية بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وهو أمر ثابت بالنص والعلم؛ القانون الإلهي المعرِّف بالحجج الإلهيين دائماً و أبداً، فقد ورد ذكرهم بأسمائهم وصفتهم في نصوص كثيرة.

وبالنسبة للمصادر السنية فقد تو اتر أو صح فيها وصف "آل محمد" بأنهم:

- أمان للأمة من الضلال ولن يفترقوا عن القرآن [١].
- طاهرون مطهرون بشهادة الله ورسوله [٢].
- نفس النبي و أبنائه وأهله [٣].
- مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق [٤].

إلى غير ذلك من نصوص كثيرة جداً تقدم ذكر بعضها في "التمهيد" [٥] تدل على أحقيتهم وصدقهم فيما ادعوا ووجوب مودتهم و اتباعهم وطاعتهم.

١- "عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما" سنن الترمذي: ٥ / ٣٢٩، صححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": ٣٧٨٨.

٢- "قالت عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" صحيح مسلم: ٧ / ١٣٠.

٣- قال تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" آل عمران: ٦١ ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله معه غيرهم لمباهلة نصارى نجران: "عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا و أبناءكم ونسائنا ونساءكم و أنفسنا و أنفسكم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فقال اللهم هؤلاء أهلي" المستدرك، الحاكم: ٣ / ١٥٠، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

٤- ورد الحديث في مصادر وطرق كثيرة، منها: فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٢ / ٨٥ رقم الحديث ١٤٠٢؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ٣ / ١٥٠، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

٥- انظر الجزء الأول من "يوم الحسين".

وإذا عرفنا هذا، فآل محمد صلوات الله عليهم زاروا الحسين عليه السلام بأنفسهم وحثّوا على زيارته بروايات متواترة [١].

سابعاً: لا شك أنّ ما توهّمه الوهابيون من منافاة التبرّك بالأولياء (ذواتهم، آثارهم، قبورهم) للتوحيد منطلق من اعتقادهم بنفي الوسائط بين الله سبحانه وبين الخلق؛ إذ اعتبروا الاعتقاد بوجود الواسطة - التي تضر وتنفع - موجب للشرك والكفر بالله وأحد نواقض الإسلام [٢]!

ومن تمعّن في موقفهم يجده نسخة طبق الأصل لموقف إبليس لعنه الله الذي لم يكن لديه مشكلة في عبادة الله والسجود له، ومشكلته كانت مع آدم عليه السلام (الواسطة بينه وبين الله)!

عن الإمام الصادق عليه السلام: "أمر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها. قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد" [٣].

ثم إنّ عالم الخلق بأجمعه قائم على نظام الوسائط؛ لقصور فيه لا في قدرته سبحانه، فالله سبحانه شاء أن يجعل عالمنا الذي نحن فيه عالم أسباب ومسبّبات (وسائط)، وبالتالي فكل ما يحتاج إليه الإنسان من أمور معنوية ومادية – كالهدى والإيمان والصحة والرزق ... إلخ – قائم على وسائط وأسباب يجب على الإنسان تحصيلها بالسعي: "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" النجم: ٣٩.

١- راجع ملحق ١: "فضل زيارة الحسين عليه السلام".

٢- قال محمد بن عبد الوهاب: (مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم، كَفَر إجماعًا) رسالة نواقض الإسلام، الناقض الثاني. قال الشارح: (... فهو أن يجعل بينه وبين الله واسطة، يزعم أنه ينقل حوائجه إلى الله، كأن يقول لصاحب القبر يسأله الشفاعة: يا فلان اشفع لي عند الله، أو يا رسول الله اشفع لي، فجعل الرسول واسطة بينه وبين الله، فهذا شرك؛ لأنه دعا غير الله ...) انظر: تبصرة الأنام بشرح نواقض الإسلام، عبد العزيز الراجحي: ١٧ – ١٨.

٣- بحار الأنوار، المجلسي: ٢ / ٢٦٣.

ولأننا في دنيا الامتحان، فإنّ هناك طريقين للتعامل مع تلك الوسائط والأسباب:

- أن يُنظر إليها نظرة استقلال، بمعنى أن يتم التعامل معها وكأنها كل شيء في الموضوع والسبب التام لتحققه، ولا مسبّب بعدها!
- أن يُنظر إليها بوصفها أسباب أمرنا الله سبحانه بالسعي لها مع رؤية الله قبلها وفيها وبعدها وعدم الغفلة عنه سبحانه باعتباره مسبّب الأسباب.

لا شك أنّ النظرة الثانية لا تنافي التوحيد، كيف وقد أمر الله سبحانه بها!

لكن الوهابيين - كما نلاحظ - ينفون الواسطة بالمطلق، مع أنهم - عملياً - يسعون نحو الوسائط النافعة لأمور الدنيا كالطبيب لعلاج المرض، أو المهنة والوظيفة لتحصيل الرزق المادي، أو الجامعة لأجل الدراسة والتعلم ونحو ذلك، ولا يؤثر ذلك على التوحيد بنظرهم، لكن أن تذهب إلى ضريح الرسول أو الحسين صلوات الله عليهما طالباً من الله الأجر والبركة بحرمة وفضل صاحب المقام، فهذا عندهم شرك وكفر بالله!

والحق، إنّ التبرك بأولياء الله تماماً كتعامل المريض مع الطبيب، فكما أنّ المريض يراجع الطبيب للاستشفاء الجسدي؛ لأن الله أمره بالرجوع إليه، فالطبيب مفيد ونافع بإذن الله وليس سبباً مستقلاً للشفاء، فكذلك ذهاب المؤمن إلى أولياء الله للتبرك بأضرحتهم و آثارهم وتحصيل الاستشفاء الروحي والنفسي، فهو يذهب لأن الله أمره بذلك، كما أنّ ذهابه لأولياء الله لا لأنهم وسائط وكيانات تنفع وتضر بنفسها وبنحوٍ مستقل، و إنما هم ينفعون بإذن الله وبحوله وقوته وإذا شاء الله ذلك.

علماً أنّ المؤمن ينبغي أن يستحضر الله سبحانه دائماً أثناء سعيه وتعامله مع الوسائط والأسباب عموماً – سواء التي تنفع الجسد في هذا العالم، أو التي تنفع الروح في هذا العالم وعوالم الآخرة – امتثالاً لقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: "ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه" [1].

١- مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي: ١ / ١٥٠.

إلا أنّ الوهابيين يستعملون مغالطة خبيثة إذ يقيسون أولياء الله – كالرسول محمد صلى الله عليه وآله أو الحسين صلوات الله عليه – بالشمس والقمر والأوثان ونحو ذلك، وقصدهم من ذلك واضح وهو تشبيه فعل المؤمنين بأفعال عبدة الأوثان، وهو تشبيه وقياس مع الفارق؛ الغرض منه تنفير الناس من الرجوع إلى من أمر الله بالرجوع لهم!

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" النساء: ٦٤، جاءوك: أي جاءوك يا محمد، فالله - إذن - حثّ ورغّب برجوع الناس إلى رسوله محمد صلى الله عليه وآله، وهو ليس واسطة جامدة وصمّاء لا تضر ولا تنفع، و إنما هو صلوات الله عليه ينفع بإذن الله بدليل أنّ ذهابهم له صار سبباً في توبة الله عليهم. وإذا كان إرجاع الناس لمحمد صلى الله عليه وآله لا ينافي التوحيد بل هو من صلب التوحيد، فرجوع الناس إلى سائر أولياء الله (حجج الله) غير منافٍ للتوحيد بل هو من صلب التوحيد الحقيقي أيضاً.

وبهذا نصل إلى أنّ مسألة زيارة أضرحة أولياء الله والتبرّك بها – ومنها ضريح الإمام الحسين صلوات الله عليه – من دين الله، وتقع في صميم توحيد الله، وقد فهم واعتقد بذلك جميع المسلمين كما ذكرت، ولم يشذ عنهم سوى زمرة الوهابيين المعروفين بالتطرّف حتى في تعاملهم مع أكرم خلق الله محمد صلى الله عليه وآله فضلاً عن ولده الحسين صلوات الله عليه، وها هو كبيرهم (محمد بن عبد الوهاب) يعتبر الصلاة على الرسول محمد بعد الأذان كفراً ويتأذى من سماعها ويؤذي من يفعل ذلك، ولما اعترض أحد الأشخاص في مكة جاءوا به إليه فكفّره و أباح دمه وأمر بقتله!

عدّد السيد أحمد زيني دحلان [1] بعض أفعال محمد بن عبد الوهاب فقال:

(وكان ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى أنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على

١- فقيه ومؤرخ سني، صاحب كتب ومؤلفات كثيرة، تولى منصب الإفتاء في مكة سنة ١٢٨٨ هـ في أواخر الخلافة العثمانية، توفي عام ١٣٠٤ هـ.

النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الأذان فلم ينتهِ و أتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأمربقتله فقتل ثم قال إن الربابة في بيت الخاطئة يعني الز انية أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على أصحابه بأنّ ذلك كله محافظة على التوحيد) [١].

ذكر ذلك أيضاً: أبو حامد بن مرزوق [٢].

ابن حبان يوجه صفعة للعقيدة الوهابية!

العقيدة الوهابية الباطلة المتمثلة بتكفير كل المسلمين الذين يتقرّبون إلى الله بزيارة قبور وأضرحة أولياء الله والحكم عليهم بالشرك، لم تكن هي عقيدة كبار علماء ومحدثي المذهب السني المتقدمين، الذين يعترف جميع أهل السنة لهم بالعلم والفقه والفضل، كالمحدث الحافظ محمد بن حبان (ت: ٣٥٤ ه)، صاحب الكتب المشهورة مثل: "صحيح ابن حبان" وكتاب "الثقات" وغيرها.

قال الذهبي في ترجمته: (٧٣٤٦ - محمد بن حبان، أبو حاتم البستي الحافظ، صاحب الأنواع، ومؤلف كتابي الجرح والتعديل، وغير ذلك. كان من أئمة زمانه، وطلب العلم على رأس الثلاثمائة، وأدرك أبا خليفة، و أبا عبد الرحمن النسائي، وكتب بالشام والحجاز ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وولى قضاء سمرقند مدة، وكان عارفا بالطب والنجوم، والكلام والفقه، رأسا في معرفه الحديث. .....) [٣].

وعموماً، ابن حبان هذا يتحدث عن نفسه أنه أقام فترة من حياته في مدينة طوس بخراسان، ومعروف أنّ فيها قبر أحد أولياء الله؛ سبط الرسول محمد صلى الله عليه وآله،

١- الدرر السنية في الرد على الوهابية، أحمد زيني دحلان: ص٤١.

٢- التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين، أبو حامد بن مرزوق: ١٠٥.

٣- ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣ / ٥٠٦.

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ فكان ابن حبان دائم الزيارة لضريح الإمام الرضا وكان يتوسل به إلى الله إذا ما نزلت به شدة:

يقول ابن حبان: (... ومات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهوريزاربجنب قبرالرشيد قد زرته مراراً كثيرة وما حلّت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبرعلي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا أستجيب لي وزالت عنى تلك الشدة وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وسلم الله عليه وعليهم أجمعين) [١].

١- الثقات، ابن حبان: ٨ / ٤٥٦ – ٤٥٧.

(٥)

ركب آل الرسول في المدينة

أم سلمة أول العارفين بمقتل الحسين(ع):

كان أهل المدينة – خصوصاً الهاشميين منهم – يترقّبون خبر الإمام الحسين عليه السلام، إذ خروجه منها ترك فراغاً فيها لا يمكن لغيره ملؤه بالتأكيد.

بعض خواص المؤمنين كأم سلمة رضوان الله عليها كانت على علم بالمآل الذي سيصير إليه الحسين صلوات الله عليه، وكان الرسول صلى الله عليه وآله في حياته قد ائتمنها على التربة التي أتاه بها جبرئيل عليه السلام:

(عن أم سلمة قالت كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ويح كرب وبلاء قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن مشهور قد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوما تحولين دما ليوم عظيم) [1].

١- المعجم الكبير، الطبراني: ٣/ ١٠٨.

وفعلاً، لما قُتل الإمام الحسين يوم عاشوراء صار التراب دماً أحمر، فعلمت أم سلمة بمقتله قبل غيرها من أهل المدينة [١].

(عن عبد الله بن عباس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجه بن قائدي إلى منزلها، و أقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، و أقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعدني و ابكين معي، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين.

فقيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقمت حتى دخلت البيت و أنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي صلى الله عليه وآله، فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة - أو قال : في قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، و أنه قتل في ذلك اليوم) [٢].

١- قال ابن الأثير: (روي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة تراباً من تربة الحسين حمله إليه جبرئيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لام سلمة: إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين، فحفظت أم سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قتل الحسين صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً) الكامل في التاريخ: ٤ / ٩٣.

٢- الأمالي، الطوسي: ٣١٥.

بالتأكيد، تزامن ذلك مع وصول مبعوثي السلطات الأموية إلى المدينة الذين حملوا معهم نبأ مقتل الحسين عليه السلام في كربلاء؛ إذ ذكر بعض المؤرخين أنّ يزيد لعنه الله بعث إلى المدينة من يخبر واليها (عمرو بن سعيد بن العاص) بذلك [١].

ذكروا أيضاً - وقد تقدمت الإشارة لذلك - أنه بعث برأس الحسين إلى المدينة ثم رُدَّ منها إلى الشام [٢].

وأيضاً: روي أنّ ابن زياد لعنه الله أرسل مبعوثاً وكتاباً منه إلى والي المدينة يخبره بمقتل الحسين عليه السلام [٣].

(ولما أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، تقدم إلى عبد الملك بن أبي الحديث السلمي فقال: انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد ابن العاص بالمدينة فبشّره بقتل الحسين، فقال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدنية، فلقيني رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير تسمعه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل - والله - الحسين. ولما دخلت على عمرو بن سعيد قال: ما وراءك؟ فقلت: ما سر الأمير، قتل الحسين بن علي، فقال: اخرج فناد بقتله، فناديت، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين ابن علي عليهما السلام حين سمعوا النداء بقتله، فدخلت على عمرو بن سعيد، فلما رآني تبسم إليَّ ضاحكاً ثم أنشأ متمثلاً بقول عمرو بن معدي كرب:

عجّت نساء بني زياد عجّة   كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

١- انظر على سبيل المثال: مثير الأحزان، ابن نما: ٩٤.

٢- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤١٩؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤.

٣- انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٨؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٨؛ مثير الأحزان، ابن نما: ٩٤.

ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان. ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتل الحسين بن علي عليهما السلام ودعا ليزيد بن معاوية ونزل) [١].

أقول: ها هنا ملاحظتان:

الأولى: قوله "كعجيج نسوتنا": يقصد عويل نساء بني عبد شمس بمقتل من قتل من رجالهم يوم بدر على يد المسلمين. ولهذا روي أنّ الأشدق هذا - لعنه الله - لما أعلم الناس بمقتل الحسين أومأ إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وقال: "يا محمد يوم بيوم بدر"، فأنكر عليه قوم من الأنصار[٢]!

الثانية: قوله "واعية بواعية عثمان": خبث أموي واضح؛ لأن الثائرين على عثمان معروفون وأسباب نقمتهم عليه معروفة أيضاً، وقد تقدم بيان هذه القضية سابقاً [٣]، ولاحظنا هناك أن لا دخل للحسين و أبيه أمير المؤمنين صلوات الله عليهما بما حلَّ بعثمان والمصير الذي لاقاه من قريب أو بعيد.

نعم، الحسين له دخل بهدى الرسول محمد صلى الله عليه وآله ودعوته الحقة التي أذاقت أهل الكفر والباطل (الأمويون بالخصوص) كؤوس الذل والهوان!

الحسين بقية محمد صلى الله عليه وآله ويزيد وعمرو بن سعيد وأمثالهم بقية بني أمية الأرجاس (أبو سفيان وشيبة وعتبة والوليد والعاص والحكم وغيرهم)، لذلك فمن غير المستغرب أن يضرب يزيد لعنه الله ثنايا الحسين بعصاه ويتمثل بأبيات ابن الزبعرى ويضيف لها كفره وتشفيه كما لاحظناه سابقاً، وغير مستغرب أيضاً أن نسمع من والي المدينة (حفيد العاص الأموي) كلاماً يقطر خبثاً وحقداً على آل محمد!

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٣؛ و انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٧، قال: (والأرنب: وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان وهذا البيت لعمرو بن معد يكرب).

٢- انظر: الغدير، الأميني: ١٠ / ٢٦٤.

٣- انظر: يوم الحسين، الجزء الأول، "بحث سياسة معاوية في أيام خلافة علي عليه السلام".

بل هو – أي عمرو بن سعيد – إنما لُقّب بالأشدق؛ (لأنه صعد المنبر فبالغ في شتم علي رضي الله تعالى عنه فأصابه لقوة) [١].

وروي أنّ الأشدق قال في خطبته، والرأس الشريف أمامه: (أيها الناس، إنها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة، حكمة بالغة فما تغني النذر، لقد كان يسبنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولكن كيف نصنع بمن سلّ سيفه علينا يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا ...)، فقاطعه عبد الله بن السائب وقال: (لو كانت فاطمة حيّة ورأت رأس الحسين لبكت عليه)، فصاح اللعين به وقال: (نحن أحق بفاطمة منك، أبوها عمنا، وزوجها أخونا، وأمها ابنتنا، ولو كانت فاطمة حيّة لبكت عليه وما لامت من قتله) [٢]!

خطاب ككل خطابات الساسة الظلمة والفسقة – قديماً وحديثاً – مملوء كذباً ودجلاً، ولا أعرف من أين علم هذا الزنديق أنّ فاطمة لا تلوم قاتل ولدها وفلذة كبدها الذي علمت بمصيبته قبل ولادته بإعلام من أبيها الرسول صلى الله عليه وآله وكانت تبكيه بكاء مرّاً وتحزن لما يجري عليه! بل نعاه وبكاه جده الرسول بنشيج وصوت مرتفع وكان يلعن قاتليه ويتبرأ منهم كما مر بنا في البحوث السابقة.

أيضاً: قام هذا الأشدق اللعين بهدم دور في المدينة تعود للإمام الحسين عليه السلام تعبيراً عن خبثه وحقده على آل محمد صلوات الله عليهم:

عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال: وكفَّ يزيد عن أموال الحسين عليه السلام غير أنّ سعيد بن العاص هدم دار علي بن أبي طالب ودار عقيل ودار الرباب بنت امرئ القيس وكانت تحت الحسين وهي أم سكينة" [٣].

١- انظر: عمدة القاري، العيني: ١٠ / ١٨٧. اللقوة: داء يصيب الوجه.

٢- انظر: مقتل الحسين، المقرم: ٤١٧؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٥.

٣- شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٢٦٩.

وعموماً، لما علم أهل المدينة بمقتل الإمام الحسين عليه السلام كثر نواحهم وصراخهم عليه وخصوصاً في دوربني هاشم [١].

عزاء أم سلمة وبعض نساء آل أبي طالب:

(عن شهربن حوشب قال: أنا لعند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا صارخة، فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت: قتل الحسين، قالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم - أو قبورهم - عليهم ناراً، ووقعت مغشياً عليها) [٢].

كما روي أنّ أم سلمة: (لما بلغها مقتل الحسين عليه السلام ضربت قبّة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلست فيها ولبست سواداً) [٣].

ولا شك أنه موقف شجاع منها يسهم بفضح الجريمة النكراء التي ارتكبها الأمويون الأرجاس بحق آل الرسول.

و أيضاً: من النساء اللواتي أبدين موقفاً عند وصول نبأ مقتل الحسين صلوات الله عليه إلى المدينة هي أسماء بنت عقيل بن أبي طالب:

(عن أبي هياج عبد الله بن عامر، قال: لما أتى نعي الحسين عليه السلام إلى المدينة خرجت أسماء بنت عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما في جماعة من نسائها حتى انتهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فلاذت به وشهقت عنده، ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتم عترتي أو كنتم غيبا ... والحق عند ولي الأمر مجموع

١- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤١٧؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ٨ / ١٩٨.

٢- ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٧؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٣١٨.

٣- انظر: شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ١٧١.

أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

قال: فما رأينا باكياً ولا باكية أكثر مما رأينا ذلك اليوم) [١].

وروي: أنّ الصحابي أبا الأسود أجابها وهو غارق في البكاء فقال: "ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"، وعلاه الجزع وصار يقول:

أقول وزادني حنقاً وغيظاً أزال الله ملك بني زيادِ
و أبعدهم كما بعدوا وخافوا كما بعدت ثمود وقوم عادِ
ولا رجعت ركائبـــهم إليهم إذا وقفت يوم التنادِ [٢]

ونقل بعض المؤرخين رثاء نساء أخريات من آل عقيل:

(وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين حاسرة ومعها أخواتها أم هاني وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل بن أبي طالب - رحمة الله عليهن - تبكي قتلاها بالطف ...) [٣].

و أيضاً: بعض المؤرخين ذكر أنّ نساء بني هاشم زاد بكاؤهن وصراخهن عند وصول رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة، إذ روى جملة من المؤرخين أنّ نساء أبي طالب صرخن لما جيء برأس الحسين، فقال مروان بن الحكم لعنه الله:

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

١- الأمالي، المفيد: ٣١٩؛ الأمالي، الطوسي: ٨٩ – ٩٠.

٢- انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي: ٩ / ١٩٩؛ المعجم الكبير، الطبراني: ١ / ١٤٠.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٢٤. و انظر أيضاً: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤٢٠؛ تاريخ الطبري: ٤ / ٣٥٧؛ شرح الأخبار، النعمان المغربي: ٣ / ٤٩٩.

ثم صحن أيضاً، فقال مروان:

ضربت ذو شرفيهم ضربة أثبتت إن كان ملك فاستقر [١]

ثم أخذ ينكت وجه الحسين صلوات الله عليه بقضيب متشفياً ويقول:

يا حبّذا بردك في اليديـــن ولونك الأحمـــر في الخـــدين
كأنـــه بات بمجســـدين شفيت منك النفس يا حسين [٢]

علي بن الحسين(ع) يرسل ابن حذلم ناعياً:

علمنا سابقاً أنّ السلطات الأموية في الشام – ولأسباب تتعلق بالحفاظ على الملك واحتواء ردود أفعال بعض المسلمين الغاضبين مما جرى على الحسين وأهل بيته – طلبت من القائمين على الركب في طريق العودة مراعاة وضعهم والرفق بهم، فاستغل الإمام علي بن الحسين عليه السلام هذه الفرصة بإيفاد بشير بن حذلم – وكان شاعراً – إلى المدينة قبله عند اقتراب الركب منها:

(ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة قال بشير بن حذلم: فلما قربنا منها أنزل علي بن الحسين عليه السلام فحطَّ رحله وضرب فسطاطه و أنزل نسائه وقال: يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه فقال: بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني شاعر، فقال عليه السلام: أدخل المدينة و انعَ أبا عبد الله عليه السلام قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء و أنشأتُ أقول:

١- انظر: أنساب الأشراف، البلاذري: ٣ / ٤١٧ – ٤١٨؛ ترجمة الإمام الحسين (من طبقات ابن سعد): ٨٤؛ شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ١٥٩.

٢- انظر: مير الأحزان، ابن نما: ٩٥؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٢٤.

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منع على القناة يدارُ

قال ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون بالويل والثبور فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه ...).

وقال لهم: (أنا بشير بن حذلم وجهني مولاي علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونسائه قال: فتركوني مكاني وبادروني فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجواري والناس يعزّونه من كل ناحية فضجّت تلك البقعة ضجة شديدة) [1].

ثم إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أومأ بيده للناس أن اسكتوا فسكنت فورتهم، وخطب فيهم فقال:

(الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين الذي بعُدَ فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاضعة الكاظة الفادحة الجائحة. أيها الناس! إن الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

١- اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ١١٥ – ١١٦.

أيها الناس! فأي رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون، وأهل السماوات أجمعون أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحنّ إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام.

أيها الناس! أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق والله لو أنّ النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله و إنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها و أفجعها و أكظها و أفظها وأمرها و أفدحها؟ فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا إنه عزيز ذو انتقام) [1].

من لاحظ كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام التي رثى بها والده الشهيد وما حلَّ به من مصاب، ثم ما لحق عياله وأهل بيته من أذى الأمويين وظلمهم، يجدها تصبُّ في مسار بيان الحق وفضح الباطل بشكل واضح.

١- المصدر السابق؛ و انظر أيضاً: مثير الأحزان، ابن نما: ١١٣؛ بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٤٩.

وصول ركب آل الرسول إلى المدينة:

عاد بقية آل الرسول إلى مدينة جدهم بعد أن فارقوها ما يزيد على سبعة أشهر تقريباً؛ إذ كان خروجهم منها في شهر رجب عام ٦٠ هـ، لكن لم تكن حالة الركب عند الخروج والعودة واحدة كما هو معلوم بعد فقدهم سيدهم وإمامهم الحسين بن علي صلوات الله عليه وإخوته وأهل بيته وصحبه!

عاد بقية الركب الحسيني إلى مدينة جدهم بعد أن بلغ مجموع ما قطعوه من مسافة – ذهاباً و إياباً – يزيد على ستة آلاف كيلو متر على أقل تقدير[١]، وكان ما يزيد على نصف المسافة قطعوها وهم موتورون منكوبون مأسورون!

دخلوا المدينة وكان لبني هاشم واعية لم يُسمع مثلها من قبل، فعجّت النساء الهاشميات بالبكاء والعويل ولبسن السواد حزناً على ريحانة محمد صلى الله عليه وآله، وصاح أهل المدينة حزناً على الحسين صلوات الله عليه، ثم أقيمت عليه مآتم الحزن والبكاء!

- (ولما دخل حرم الحسين عليه السلام المدينة عجّت نساء بني هاشم وصارت المدينة صيحة واحدة) [٢].
- (... فلم يسمع واعية مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي عليهما السلام) [٣].

١- إذ ابتدأوا بالسير من المدينة إلى مكة (٤٣٥ كم)، ثم من مكة إلى كربلاء (١,٧٧٧ كم)، ثم من كربلاء إلى الكوفة (٧٥ كم)، ثم من الكوفة إلى دمشق عبر الطريق السلطاني (١,٥٠٠ كم)، ثم من دمشق إلى كربلاء (٨٩٢ كم)، ثم من كربلاء إلى المدينة (١٣٤٥ كم). طبعاً، هذا بافتراض أن يكون السير مستقيماً وبسلوك أقرب الطرق وإلا فإنّ المسافة المقطوعة فعلاً ستكون أكبر من ذلك بكثير.

٢- مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ٧٦.

٣- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١ / ١٩٢.

- (... وأما زينب فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت: يا جدّاه، إني ناعية إليك أخي الحسين، وهي مع ذلك لا تجفّ لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين تجدّد حزنها وزاد وجدها) [١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: "نيح على الحسين بن علي سنة كاملة كل يوم وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أُصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة و أبو هريرة وتلك المشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يأتون مستترين ومقنّعين فيسمعون ويبكون" [٢].

وقال عمر بن علي بن الحسين: (لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين يعمل لهن الطعام للمآتم) [٣].

وكانت أم البنين (فاطمة بنت حزام؛ زوجة الإمام علي عليه السلام) ممّن رثت الحسين عليه السلام و أقامت العزاء عليه، و أيضاً كانت ترثي ولدها (العباس وإخوته الثلاثة: عبد الله وجعفر وعثمان)، إذ كانت تخرج إلى البقيع وتندبهم [٤].

و أيضاً: من النساء اللواتي ندبت الإمام الحسين عليه السلام وحزنت عليه حزناً شديداً وبكت عليه بكاءً مرّاً هي زوجته الرباب بنت امرئ القيس (أم عبد الله الرضيع وسكينة)، ولم يدم بقاؤها بعده طويلاً، فروي أنها بقيت بعده "سنة" لا يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً [٥]!

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ١٩٨.

٢- دعائم الإسلام، القاضي المغربي: ١ / ٢٢٧.

٣- المحاسن، البرقي: ٤٢٠.

٤- قال أبو الفرج الأصفهاني: (وكانت أم البنين أم هؤلاء الأربعة الاخوة القتلى تخرج إلى البقيع فتندب بنيها أشجى ندبة واحرقها فيجتمع الناس إليها يسمعون منها ...) مقاتل الطالبيين: ٥٦.

٥- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤ / ٨٨.

يأبى اللّه إلا أن يتم نوره!

من خلال مطالعتنا البحوث السابقة، يمكننا القول إنّ وصول الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى المدينة سالماً هو أهم ما كان يشغل بال الإمام الحسين عليه السلام قبل شهادته؛ فالحسين لا يرجو شيئاً غير إنفاذ مراد الله وإنجاز وعده بإتمام رسالته من خلال استمرار الامامة والوصاية في آل محمد (ذرية الحسين بالتحديد) إلى يوم القيامة، ولما لم يكن عند الحسين عليه السلام أكفأ من أخته زينب عليها السلام للقيام بهذه المهمة الخطيرة والصعبة عهد بها إليها كما عرفنا، فنهضت بالمهمة بأتم ما يكون وعرّضت نفسها للقتل فداء لابن أخيها "الوصي". وقد ذكرنا فيما سبق ثلاث محاولات – بحسب ما بلغنا من نصوص وروايات تاريخية – جادت فيها زينب عليها السلام بنفسها دفاعاً عن ابن أخيها لما تعرّضت حياته للخطر على يد شمر و ابن زياد ويزيد لعنهم الله.

لذا، فإنّ وصول الإمام علي بن الحسين إلى المدينة سالماً بعد فاجعة كربلاء ونجاته من القتل على يد الأمويين لعنهم الله الذين كان قد صمّموا على أن لا يبقوا لأهل بيت الرسول باقية، يعني أنّ زينب عليها السلام أنجزت المطلوب منها ونجحت خطة الحسين صلوات الله عليه، وكأنّ لسان حالها يخاطب الحسين في تلك اللحظات: "أخي حسين، هذه وديعتك – وهي وديعة الله – وصلت إلى مأمنها، فطب نفساً وقرّ عيناً بإتمام دين الله واستمرار رسالته وحاكميته". فنصرة دين الله أهم ما يدور في خلد أولاد علي وفاطمة صلوات الله عليهما بالرغم من الآلام والأوجاع التي حلّت بهم!

وفعلاً، صدق الله وعده [1]، واستلم الإمام علي بن الحسين عليه السلام الكتب والأمانات والوصايا (مواريث الإمامة) المودعة عند أم سلمة رضوان الله عليها؛ حيث استأمنها إياها والده الحسين عليه السلام قبل خروجه من المدينة إلى مكة وطلب منها أن تسلمها لولده علي بعد عودته:

١- روى الصدوق بسنده: "عن المفضل ابن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ... فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزوجل: "وجعلها كلمة باقية في عقبه"؟ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة" الخصال: ٣٠٥.

عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال: إنّ الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه" [١].

"لما توجه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصية والكتب وغيرذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبرولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك. فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين عليه السلام أم سلمة فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين عليه السلام" [٢].

حزن سرمدي حتى الممات!

لما أقرّعلي بن الحسين والده الحسين الشهيد صلوات الله عليه في قبره بكربلاء قال مقولته الشهيرة: "طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرقة، أمّا الليل فمسهّد والحزن سرمد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم" [٣]!

وفعلاً، كان حزن زين العابدين عليه السلام على أبيه الذبيح سرمدي حتى عُدَّ أحد البكّائين الخمس في مجمل تاريخ خط الرسالات الإلهي:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وعلي بن الحسين عليهما السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له "تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين". وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن، فقالوا: إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، وإما أنا تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما. وأما

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٠٤.

٢- الغيبة، الطوسي: ١٩٥، حديث: ١٠٩.

٣- موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقرالعلوم: ٢ / ٢٩٨ – ٢٩٩.

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة) [١].

وحقَّ له ذلك، فهو الإمام المعصوم الذي يعلم من الله ما لا نعلمه، يعلم عظم منزلة أبيه، ويعلم أيضاً عظم المصاب الذي جرى عليه، كما يعلم أنّ الحسين كان أنين الدهور السالفة وسيبقى أنين الزمن الآتي:

(قال أبو حمزة الثمالي: سُئل عليه السلام عن كثرة بكائه فقال: إنّ يعقوب فقد سبطاً من أولاده فبكى عليه حتى ابيضت عيناه و ابنه حي في الدنيا ولم يعلم أنه مات وقد نظرت إلى أبي وسبعة عشر من أهل بيتي قتلوا في ساعة واحدة فترون حزنهم يذهب من قلبي) [٢].

وكان إذا أُحضر أمامه الطعام والشراب ذكر قتلاه وقال: "وا كرباه"، وكان يكرّر: "قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً" [٣]!

(عن الصادق عليه السلام، أن زين العابدين بكى على أبيه أربعين سنة، صائما نهاره، قائما ليله، فإذا حضر الافطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جائعا، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه بدموعه، ويمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزوجل) [٤].

١- الأمالي، الصدوق: ٢٠٤.

٢- مثير الأحزان، ابن نما: ٩٣؛ و انظر: كشف الغمة، الأربلي: ٢ / ١٠٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٨٦.

٣- انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ٩٣.

٤- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣ / ٢٨٢.

(عن بعض مواليه قال: خرج يوماً إلى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت و أنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت له ألف مرة وهو يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من سجوده، وأن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي، ما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل؟! فقال لي: ويحك، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيا ابن نبي، وكان له اثنا عشر ابناً، فغيب الله واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم والهم، وذهب بصره من البكاء، و ابنه حي في دار الدنيا، و إنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي؟!) [١].

و أيضاً: كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام دائم الدعاء على قتلة أبيه الحسين صلوات الله عليه، ولهذا لما بعث المختار الثقفي برأسي عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد لعنهما الله خرَّ الإمام ساجداً لله، وقال: "الحمد لله الذي أجاب دعائي وبلغني ثأري من قتلة أبي" [٢].

بقي الإمام دائم الحزن والبكاء على أبيه حتى آخر يوم في حياته الشريفة، إذ عاش بعد أبيه ٣٤ عاماً قضاها في العبادة والدعاء وبيان الدين الحق لمن طلب الحق من الأمة المرحومة. ولما كان وجوده ونهجه هو بالحقيقة امتداد لوجود ونهج آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم، حاك الأمويون الأرجاس الدسائس له للتخلّص منه بأي وسيلة ممكنة، وكانوا يؤذونه، فقد كان والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي يؤذيه ويشتم علياً صلوات الله عليه وينال منه على المنبر [٣].

و أيضاً: لما وقعت وقعة الحرة في المدينة وأغار الجيش الأموي على أهلها و أبيحت لهم ثلاثة أيام، وجّه اللعين بردعة الحمار (صاحب يزيد لعنه الله) في طلب علي بن الحسين ليقتله أو يسمّه [٤]. علماً، أنّ بيت الإمام كان مأوى لكثير من العوائل التي لجأت إليه خوفاً

---

١ - وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٣ / ٢٨٢ – ٢٨٣؛ مقتل الحسين، الخوارزمي: ٢ / ١٢٤.

٢- انظر: شرح الأخبار، القاضي المغربي: ٣ / ٢٧٠.

٣- انظر: تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٣٢٨.

٤- انظر: دلائل الإمامة، الطبري: ١٩٨ – ١٩٩.

من بطش وإرهاب الجيش الأموي بما في ذلك بعض العوائل الأموية كمروان بن الحكم وعائلته فآواهم الإمام بالرغم من موقف مروان و أفعاله الخبيثة مع الإمام الحسين وآل محمد عموماً كما عرضنا بعض موقفه سابقاً.

ومهما يكن الأمر، لم يجد إحسان الإمام زين العابدين لمروان وعياله أثره في نفوس بني مروان وأحفاده، فقد ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان – بعد جده و أبيه – وكان يقول: (لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا) [١]!

حتى تمكّن أخيراً من قتل الإمام بالسم بتوسط عامله في المدينة [٢]، فاستشهد مقتولاً مسموماً عام ٩٥ هـ [٣].

زينب(ع)؛ الغريبة المنفية حتى الممات!

بعد وصولها المدينة مع قافلة السبي التي كانت تقودها إياباً بعد شهادة أخيها الإمام الحسين صلوات الله عليه، لم يتبقَ في المدينة من أولاد علي وفاطمة صلوات الله عليهما غير زينب عليها السلام، وبالتأكيد فإنّ كثيراً من المسلمين لا يمكنهم تجاوز بقية هذا البيت الطاهر والشريف الذي لا يدانيه في الفضل بيت آخر، فكانوا يتوافدون على زينب العقيلة لتقديم العزاء لها بمصيبتها بأخيها الحسين وأهل بيته الطالبيين الذين استشهدوا في فاجعة الطف الأليمة.

استمر هذا الحال حتى حلول موسم حج عام ٦١ هـ، وكان الحجيج من أهل العراق ومصر واليمن وبقية البلدان يأتون لحج بيت الله الحرام ثم يعرّجون على زيارة الرسول صلى الله عليه وآله بالمدينة، وكانوا ينعطفون على بقية آل علي وفاطمة عليهما السلام زينب الكبرى ليعزوها بمصابها ويجدّدوا عهداً بأهل هذا البيت الرسالي.

١- نظريات الخليفتين، نجاح الطائي: ٢ / ١٥٦؛ نقلاً عن ترجمة علي بن الحسين (من تاريخ ابن عساكر).

٢- انظر: الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٥٢.

٣- انظر: الكافي، الكليني: ٢ / ٥١٩؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ١٣٧.

بالتأكيد، كان ذلك يزعج الوالي الأموي الخبيث عمرو بن سعيد الأشدق؛ خصوصاً وقد عرفنا نصبه وخبثه وعداوته لآل محمد عليهم السلام، فكتب إلى يزيد لعنه الله يشكوه الحال وتو افد الناس على زينب الكبرى صلوات الله عليها؛ الأمر الذي ينذر بعو اقب خطيرة قد تؤثر على ملك الأمويين، فأجابه اللعين إلى طلبه وتم نفي السيدة زينب صلوات الله عليها وإجلائها عن مدينة جدها، والنفي – كما هو المعروف والثابت تاريخياً – ليس أمراً جديداً في قاموس وسنّة الأمويين، فقد سبق وفُعل مثل ذلك مع الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه لما نفاه عثمان إلى الربذة ومات فيها غريباً!

عن عبيد الله بن أبي ر افع، قال: (سمعت محمداً أبا القاسم بن علي يقول: لما قدمت زينب بنت علي من الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان ثارت فتنة بينها وبين عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة من قبل يزيد، فكتب إلى يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب له بذلك، فجهّزها هي ومن أراد السفر معها من نساء بني هاشم إلى مصر، فقدمتها لأيام بقيت من رجب) [١].

ولما صدر القرار الأموي بنفي زينب صلوات الله عليها عن المدينة جاءتها بعض نساء آل أبي طالب يواسينها:

(... فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عمّاه، قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً وقرّي عيناً وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هو اناً، ارحلي إلى بلد آمن. ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام وواسينها) [٢].

ومهما يكن، فقد خرجت السيدة زينب عليها السلام من المدينة وكان معها فاطمة وسكينة بنات أخيها الحسين صلوات الله عليه، كما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن

١- أخبار الزينبات، السيد يحيى العبيدلي: ١١٧.

٢- المصدر السابق: ١١٥؛ و انظر أيضاً: قاموس الرجال، التستري: ١١ / ٤٠.

أبيه عن الحسن بن الحسن أنه قال: (لما خرجت عمّتي زينب من المدينة خرج معها من نساء بني هاشم فاطمة ابنة عمّي الحسين وأختها سكينة) [١].

لا شك أنّ أحداث ومصائب الطف وما جرى على أخيها وملاذها الحسين وأهل بيته يوم عاشوراء أخذ من كيان ووجود زينب صلوات الله عليها، فعاشت بقية أيامها التي لم تدم طويلاً بعد الحسين حزينة باكية عليلة، أخذ منها المرض مأخذاً كبيراً حتى فارقت روحها الطيبة الدنيا في منتصف شهر رجب عام ٦٢ هـ، وهذا يعني أنها لم تبقَ بعد شهادة أخيها الحسين سوى عام واحد وبضع أشهر قليلة.

حقَّ لكل مؤمن رسالي أن ينحني أمام عظمة عطاء سيدة النساء بعد أمها، ويخشع إجلالاً لصبر وإخلاص هذه السيدة الجليلة التي بكاها جدّها الرسول صلى الله عليه وآله في ساعة ولادتها، ولما سألته ابنته فاطمة عليها السلام عن سبب بكائه قال: "يا فاطمة، اعلمي أنّ هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصبّ عليها المصائب والرزايا" [٢].

فائدة:

من لاحظ سيرة السيدة زينب بنت علي صلوات الله عليها في مجمل أحداث ثورة الحسين عليه السلام؛ خصوصاً بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، يجد أنّ ما صدر منها من سلوك و أفعال و أقوال يكشف عن عظمة هذه الشخصية بشكل كبير جداً، الأمر الذي دعاني إلى توجيه سؤال إلى السيد أحمد الحسن يتعلق بمقامها؟

فقال: (زينب عليها السلام بمستوى الحسن والحسين عليهما السلام) [٣].

سألته أيضاً عن عصمتها؟

١- المصدر السابق: ١١٨.

٢- الطراز المذهّب في أحوال أم المصائب زينب، الراوندي: ٣٨؛ وعنه: السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، باقر شريف القرشي: ٤١.

٣- أي: إنها بمقام ومرتبة الحسن والحسين عليهما السلام، ومعيتها لهما كمعية فاطمة لعلي صلوات الله عليهما.

فقال: (العصمة عموماً لا يختص بها الأئمة عليهم السلام أو الحجج. نعم، الأئمة والحجج والأنبياء يختصون بالعصمة المنصوص بها عليهم، أي أنهم اختصوا بأنهم نُصَّ عليهم بأنهم معصومون؛ هذا فقط، أما العصمة بمعنى الاعتصام بالله عن محارم الله وتوفيق الله للعبد فلا إشكال أن يتحلّى بها المكلف لكن لا يوجد تكليف لأحد تجاهه، بينما الحجج هناك تكليف باتباعهم فعصمتهم ليس فقط الاعتصام بالله عن محارم الله وليس أن يعصمهم الله عن الحرام، بل عصمتهم أنهم لا يدخلون الناس في ضلال ولا يخرجونهم من هدى أبداً، فهم بهذا يكونون هداة للناس.

عموماً، هذه أمور بحثتها بالتفصيل في كتاب العقائد) انتهى [١].

فسلامٌ على زينب الكبرى يوم ولدت، ويوم عاشت وجاهدت لإعلاء دين الله ورسالته وحاكميته، ويوم رحلت إلى ربها تشكوه ما حلَّ بأخيها ومهجة قلبها الحسين وسائر إخوتها وأهل بيتها، تشكوه ما جرى مع عيال الحسين في رحلة السبي والأسر المريرة، وسلامٌ على زينب يوم تُبعث حيّة شاهدة شهيدة، ورحمة الله وبركاته.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن. وكتاب "العقائد" يقصد به كتاب "عقائد الإسلام" أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

ملحق ١

روايات فضل زيارة الحسين(ع)

الروايات متواترة في فضل زيارة الإمام الحسين صلوات الله عليه، ولأنها كثيرة جداً فسأذكر – للفائدة – أربعين رواية منها؛ تيمّناً برقم "الأربعين" الوارد في كلام الرسول وآله صلوات الله عليهم أجمعين:

- عن الرسول صلى الله عليه وآله: "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً، ينتفعون بها، بعثه الله يوم القيامة فقيها عالماً" [١].
- عن الصادق عليه السلام: "من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً) [٢].

وعموماً، هذه أربعون رواية في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام:

١- محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإنّ إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عز وجل) [٣].

١- الأربعون الصغرى، البيهقي: ١٣.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٩.

٣- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٤٤.

٢- عبد الرحمن بن كثير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لأن حق رسول الله صلى الله عليه وآله فريضة من الله واجبة على كل مسلم) [١].

٣- محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث، قال: (ومن زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) [٢].

٤- قدامة بن مالك، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أراد زيارة قبر الحسين عليه السلام لا أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة محّصت ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء، فلا يبقى عليه دنس، ويكتب الله له بكل خطوة حجة، وكلما رفع قدماً عمرة) [٣].

٥- أبو سعيد المدائني، عن الإمام الصادق عليه السلام: (قلت له: جعلت فداك آتي قبر الحسين عليه السلام؟ قال: نعم فائت قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين و أبر الأبرار فإذا زرته كتب الله لك به خمسة وعشرين حجة) [٤].

٦- صالح النيلي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله) [٥].

٧- محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟ قال: من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٤٤.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٤٦ – ٤٤٥.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٤٦.

٤- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٤٨.

٥- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٤٩ – ٤٥٠.

نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً . . . الحديث وفيه ثواب جزيل وفي آخره: أنه ينادي مناد: هؤلاء زوار الحسين شوقاً إليه) [١].

٨- زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك) [٢].

٩- ابن بكير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (قلت له: إنّ قلبي ينازعني إلى زيارة قبر أبيك، وإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المصالح، فقال: يا ابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه؟ وكان يحدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع فإن فزع وقرته الملائكة، وسكنت قلبه بالبشارة) [٣].

١٠- محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث طويل - قال: (قال لي هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، و انصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزاره النبي صلى الله عليه وآله و انقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء و اتبع رضوان الله ...) [٤].

١١- أبو سعيد، عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث - قال: (ومن أتى قبر الحسين عليه السلام في سفينة فتكفت بهم سفينتهم نادى مناد من السماء طبتم وطابت لكم الجنة) [٥].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٥٣.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٥٦.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٥٧.

٤- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٥٧ – ٤٥٨.

٥- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٥٨. تكفت: مالت.

١٢- بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة بعثه الله يوم القيامة ثلج الفؤاد) [١].

١٣- أبو حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من عرف عند قبر الحسين عليه السلام لم يرجع صفراً، ولكن يرجع ويداه مملوءتان) [٢].

١٤- ابن ميثم التمار، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (من زار الحسين عليه السلام أو قال: من زار ليلة عرفة أرض كربلا و أقام بها حتى يعيد ثم ينصرف وقاه الله شر سنته) [٣].

١٥- بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من زار قبر الحسين عليه السلام أول يوم من رجب غفر الله له البتة) [٤].

١٦- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: (سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام في أي شهر تزور الحسين عليه السلام؟ قال: في النصف من رجب والنصف من شعبان) [٥].

١٧- أبو بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أحب أن يصافحه مائتا ألف نبي وعشرون ألف نبي فليزر قبر الحسين ابن علي عليه السلام في النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيين تستأذن الله في زيارته فيؤذن لهم) [٦].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٦٣.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٦٤. "عرف عند قبر الحسين": أي زار الحسين عليه السلام بعرفة.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه: ١٤/ ٤٦٥ – ٤٦٦.

٥- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٦٦.

٦- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٦٧.

١٨- هارون بن خارجة، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الاعلى زائري الحسين عليه السلام ارجعوا مغفوراً لكم ثو ابكم على ربكم ومحمد نبيكم) [١].

١٩- سالم بن عبد الرحمن، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من بات ليلة النصف من شعبان بأرض كربلاء فقرأ ألف مرة قل هو الله أحد، ويستغفر ألف مرة ويحمد الله ألف مرة، ثم يقوم فيصلي أربع ركعات يقرأ في كل ركعة ألف مرة آية الكرسي وكل الله به ملكين يحفظانه من كل سوء، ومن كل شيطان وسلطان، ويكتبان له حسناته، ولا تكتب له سيئة ويستغفرون له ما دام معه) [٢].

٢٠- أبو الصباح الكناني، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إذا كان ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم نادى مناد تلك الليلة من بطنان العرش: إن الله تعالى قد غفر لمن أتى قبر الحسين عليه السلام في هذه الليلة) [٣].

٢١- علي بن محمد بن فيض بن المختار، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام: (أنه سئل عن زيارة الحسين عليه السلام فقيل له: هل في ذلك وقت أفضل من وقت؟ فقال: زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير، ومن قلل قلل له، وتحروا بزيارتكم الأوقات الشريفة، فإنّ الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته.

قال: فسئل عن زيارته في شهر رمضان فقال: من جاءه عليه السلام خاشعا محتسبا مستقبلا مستغفرا فشهد قبره في إحدى ثلاث ليال من شهر رمضان: أول ليلة من الشهر، وليلة النصف، وآخر ليلة منه تساقطت عنه ذنوبه وخطاياه ...) [٤].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٦٨.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٧٢.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٧٣.

٢٢- عبد الرحمن بن الحجاج، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قلت: أي الليالي جعلت فداك؟ قال: ليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان) [١].

٢٣- زيد الشحام، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشورا عارفاً بحقه كان كمن زار الله تعالى في عرشه) [٢].

٢٤- جابر الجعفي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطخاً بدمه، كأنما قتل معه في عرصة كربلاء) [٣].

٢٥- داود بن يزيد، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من زار قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة غفر الله له البتة، ولم يخرج من الدنيا وفي نفسه حسرة منها، وكان مسكنه مع الحسين بن علي عليه السلام. قال: يا داود من لا يسرّه أن يكون في الجنة جار الحسين بن علي؟ قلت: من لا أفلح) [٤].

٢٦- أبان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر أبي فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله ووصلنا وحرمت غيبته، وحرم لحمه على النار، وأعطاه الله بكل درهم أنفقه عشرة آلاف مدينة له في كتاب محفوظ، وكان الله له من وراء حوائجه، وحفظ في كل ما خلف، ولم يسأل الله شيئا إلا أعطاه وأجابه فيه، إما أن يعجله وإما أن يؤخره له) [٥].

٢٧- الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث طويل - قال: (قلت له: ما تقول فيمن ترك زيارته يعني الحسين وهو يقدر على ذلك؟ قال أقول: إنه قد عق رسول الله

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٧٥.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٧٦.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٧٧.

٤- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٧٩.

٥- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٨٠ – ٤٨١.

صلى الله عليه وآله وسلم وعقنا واستخف بأمر هو له، ومن زاره كان الله له من وراء حوائجه وكفى ما أهمه من أمر دنياه، و إنه ليجلب الرزق على العبد ويخلف عليه ما أنفق، ويغفر له ذنوب خمسين سنة، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلا وقد محيت من صحيفته – إلى أن قال: – ويجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم وذخر ذلك له، فإذا حشر قيل له: لك عشرة آلاف درهم، وإن الله نظر لك وذخرها لك عنده) [١].

٢٨- صفوان الجمال، عن الإمام الصادق عليه السلام – في حديث – قال: (قلت له: فما لمن صلى عنده ركعتين؟ قال: لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، قلت: فما لمن اغتسل من ماء الفرات وهو يريده؟ قال: تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه قلت: فما لمن جهز إليه ولم يخرج لعلة؟ قال: يعطيه الله بكل درهم أنفقه مثل أحد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفق، ويصرف عنه من البلاء ما قد نزل فيدفع فيحفظ في ماله ...) [٢].

٢٩- بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتاه يعني الحسين عليه السلام فتوضأ واغتسل من الفرات لم يرفع قدماً ولم يضع قدماً إلا كتب الله له بذلك حجة وعمرة) [٣].

٣٠- رفاعة النخاس، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (أخبرني أبي أن من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه غير مستكبر وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء كان مثل الذي يخرج من الذنوب، وإذا مشى إلى الحسين عليه السلام فرفع قدماً ووضع أخرى كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات) [٤].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٨١.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٨٢.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٨٤.

٤- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٨٤.

٣١- هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث - : (إن رجلاً قال له: هل يزار والدك؟ فقال: نعم، فقال: ما لمن اغتسل في الفرات ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه) [١].

٣٢- سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (يا سدير تزور الحسين عليه السلام في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك لا، قال: فما أجفاكم؟ قال: فتزورونه في كل جمعة؟ قلت: لا؟ قال: فتزورونه في كل شهر؟ قلت: لا، قال: فتزورونه في كل سنة؟ قال: قلت: قد يكون ذلك، قال: يا سدير ما أجفاكم للحسين! أما علمت أن لله عزوجل ألفي ألف ملك شعثا غبرا يبكونه، ويزورونه، لا يفترون، وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات أو في كل يوم مرة، قلت: جعلت فداك، بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال لي: اصعد فوق سطحك ثم التفت يمنة ويسرة ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تنحو نحو القبر فتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، تكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة) [٢].

٣٣- جويرية، عن رجل، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين زوار الحسين؟ فيقوم عنق من الناس فيقول لهم: ما أردتم في زيارة الحسين عليه السلام؟ فيقولون: أتيناه حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحباً لعلي وفاطمة عليهما السلام، ورحمة له مما ارتكب منه، فيقول لهم: هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم فأنتم معهم في درجتهم، الحقوا بلواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكونون في ظله، وهو في يد علي عليه السلام حتى يدخل الجنة جميعا. ...) [٣].

٣٤- أبو بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أحب أن يكون مسكنه في الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم، قلت: ومن هو؟ قال: الحسين عليه السلام فمن

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٨٦.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٩٤.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٩٥ – ٤٩٦.

أتاه شوقاً إليه وحباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وحباً لفاطمة وحباً لأمير المؤمنين عليهم السلام أقعده الله على موائد الجنة يأكل معهم والناس في الحساب) [١].

٣٥- الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أراد الله بن الخير قذف في قلبه حب الحسين عليه السلام وحب زيارته، ومن أراد الله به السوء قذف في قلبه بغض الحسين عليه السلام وبغض زيارته) [٢].

٣٦- زيد الشحام، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر الحسين عليه السلام تشوقاً إليه كتبه الله من الآمنين يوم القيامة، وأعطى كتابه بيمينه، وكان تحت لواء الحسين بن علي عليه السلام حتى يدخل الجنة، فيسكنه في درجته إن الله سميع عليم) [٣].

٣٧- محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر الحسين عليه السلام شوقاً إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين عليه السلام حتى يدخلهما الجنة جميعاً) [٤].

٣٨- ذريح، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (والله إن الله يباهي بزائر الحسين والوافد إليه الملائكة المقربين وحملة عرشه فيقول لهم: أما ترون زوار قبر الحسين عليه السلام أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة؟! وعزتي وجلالي وعظمتي لأوجبن لهم كرامتي، ولأحبنهم لمحبتي ...) [٥].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٩٦.

٢- المصدر نفسه.

٣- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٩٧.

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه.

٣٩- ابن مسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (من زار الحسين يريد به وجه الله أخرجه الله من ذنوبه كمولود ولدته أمه وشيعته الملائكة في مسيره – إلى أن قال: – وسألت الملائكة المغفرة له من ربه، ونادته طبت وطاب من زرت وحفظ في أهله) [١].

٤٠- أبو خديجة، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (سألته عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: إنه أفضل ما يكون من الأعمال) [٢].

١- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٤٩٨.

٢- المصدر نفسه: ١٤ / ٤٩٩.

ملحق ٢

النص الكامل لزيارة الناحية المقدسة

(ومما خرج من الناحية عليه السلام إلى أحد الأبواب، قال: تقف عليه صلى الله عليه وتقول:

السلام على آدم صفوة الله من خليقته، السلام على شيث ولي الله وخيرته، السلام على إدريس القائم لله بحجته، السلام على نوح المجاب في دعوته، السلام على هود الممدود من الله بمعونته، السلام على صالح الذي توّجه الله بكرامته. السلام على إبراهيم الذي حباه الله بخلّته، السلام على إسماعيل الذي فداه الله بذبح عظيم من جنّته، السلام على إسحاق الذي جعل الله النبوة في ذريّته، السلام على يعقوب الذي ردَّ الله عليه بصره برحمته. السلام على يوسف الذي نجّاه الله من الجب بعظمته، السلام على موسى الذي فلق الله البحر له بقدرته، السلام على هارون الذي خصّه الله بنبوّته، السلام على شعيب الذي نصره الله على أمّته، السلام على داوود الذي تاب الله عليه من خطيئته. السلام على سليمان الذي ذلّت له الجن بعزّته، السلام على أيوب الذي شفاه الله من علّته، [السلام على يونس الذي أنجز الله له مضمون عدته]، السلام على عزير الذي أحياه الله بعد ميتته، السلام على زكريا الصابر في محنته، السلام على يحيى الذي أزلفه الله بشهادته. السلام على عيسى روح الله وكلمته، السلام على محمد حبيب الله وصفوته، السلام على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المخصوص بأخوّته، السلام على فاطمة الزهراء ابنته، السلام على أبي محمد الحسن وصي أبيه وخليفته، السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته. السلام على من أطاع الله في سرّه وعلانيته، السلام على من جعل الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبّته، السلام على من الأئمة من ذريته.

السلام على ابن خاتم الأنبياء، السلام على ابن سيد الأوصياء، السلام على ابن فاطمة الزهراء، السلام على ابن خديجة الكبرى، السلام على ابن سدرة المنتهى، السلام على ابن جنّة المأوى، السلام على ابن زمزم والصفا. السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء [١]، السلام على خامس أصحاب أهل الكساء، السلام على غريب الغرباء، السلام على شهيد الشهداء، السلام على قتيل الأدعياء [٢]، السلام على ساكن كربلاء. السلام على من بكته ملائكة السماء، السلام على من ذريته الأزكياء.

السلام على يعسوب الدين، السلام على منازل البراهين، السلام على الأئمة السادات، السلام على الجيوب المضرّجات [٣]. السلام على الشفاه الذابلات، السلام على النفوس المصطلمات [٤]، السلام على الأرواح المختلسات [٥]، السلام على الأجساد العاريات، السلام على الجسوم الشاحبات، السلام على الدماء السائلات، السلام على الأعضاء المقطّعات، السلام على الرؤوس المشالات، السلام على النسوة البارزات.

السلام على حجّة رب العالمين، السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين، السلام عليك وعلى أبنائك المستشهدين، السلام عليك وعلى ذريتك الناصرين. السلام عليك وعلى الملائكة المضاجعين [٦]، السلام على القتيل المظلوم، السلام على أخيه المسموم، السلام على علي الكبير، السلام على الرضيع الصغير. السلام على الأبدان السليبة، السلام على العترة القريبة، السلام على المجدّلين [٧] في الفلوات، السلام على النازحين عن الأوطان، السلام على المدفونين بلا أكفان، السلام على الرؤوس المفرقة عن الأبدان.

١- الخباء: بيت السكن المتخذ من الصوف والوبر.

٢- الدعي: المتهم في نسبه.

٣- الجيوب المضرّجات: القمصان الملطخة بالدماء.

٤- المصطلم: المستأصَل، المباد.

٥- المختلسات: المختَطفة.

٦- المضاجع: الملازم الذي لا يترك المكان.

٧- المجدّل: الصريع، القتيل.

السلام على المحتسب الصابر، السلام على المظلوم بلا ناصر، السلام على ساكن التربة الزاكية، السلام على صاحب القبة السامية، السلام على من طهره الجليل، السلام على من افتخر به جبرئيل، السلام على من ناغاه في المهد ميكائيل. السلام على من نكثت ذمّته، السلام على من هُتكت حرمته، السلام على من أُريق بالظلم دمه، السلام على المغسّل بدم الجراح، السلام على المجرع بكأسات الرماح، السلام على المضام [١] المستباح، السلام على المهجور في الورى، السلام على من تولّى دفنه أهل القرى، السلام على المقطوع الوتين، السلام على المحامي بلا معين. السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخد التريب [٢]، السلام على البدن السليب، السلام على الثغر المقروع بالقضيب [٣]، السلام على الودج المقطوع، السلام على الرأس المرفوع، السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السباع الضاريات.

السلام عليك يا مولاي، وعلى الملائكة المرفوفين [٤] حول قبّتك، الحافّين بتربتك، الطائفين بعرصتك، الواردين لزيارتك، السلام عليك فإني قصدت إليك ورجوت الفوز لديك. السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرّب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته [٥] دونك للحتوف [٦]، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء. فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل

١- المضام: من الضيم، أي المظلوم.

٢- أي: الممزوج بالتراب.

٣- الثغر المقروع بالقضيب: أي الفم المضروب بالعصا؛ إشارة إلى ما فعله يزيد و ابن زياد لعنهما الله بثغر الحسين صلوات الله عليه، وقد تقدمت الإشارة لذلك.

٤- المرفوف: المنشور والموزّع.

٥- الحشاشة: بقية الروح.

٦- الحتوف: الموت.

الدموع دماً، حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب [١].

أشهد أنك قد أقمت الصلاة، و آتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر والعدوان، وأطعت الله وما عصيته، وتمسكت به وبحبله فأرضيته وخشيته، ور اقبته واستجبته، وسننت السنن، وأطفأت الفتن، ودعوت إلى الرشاد، وأوضحت سبل السداد، وجاهدت في الله حق الجهاد. وكنت لله طائعاً، ولجدك محمد صلى الله عليه وآله تابعاً، ولقول أبيك سامعاً، وإلى وصية أخيك مسارعاً، ولعماد الدين ر افعاً، وللطغيان قامعاً، وللطغاة مقارعاً، وللأمة ناصحاً، وفي غمرات الموت سابحاً، وللفساق مكافحاً، وبحجج الله قائماً، وللإسلام والمسلمين راحماً، وللحق ناصراً، وعند البلاء صابراً، وللدين كالئاً [٢]، وعن حوزته مراماً، وعن شريعته محامياً. تحوط الهدى وتنصره، وتبسط العدل وتنشره، وتنصر الدين وتظهره، وتكف العابث وتزجره، وتأخذ للدني من الشريف، وتساوي في الحكم بين القوي والضعيف.

كنت ربيع الأيتام، وعصمة الأنام، وعز الاسلام، ومعدن الأحكام، وحليف الإنعام، سالكاً طر ائق جدك و أبيك، مشبهاً في الوصية لأخيك، وفيُّ الذمم، رضي الشيم [٣]، ظاهر الكرم، متهجداً في الظلم، قويم الطر ائق [٤]، كريم الخلائق، عظيم السو ابق، شريف النسب، منيف الحسب، رفيع الرتب، كثير المناقب، محمود الضر ائب [٥]، جزيل المواهب، حليم رشيد منيب، جواد عليم شديد، إمام شهيد، أوّاه منيب، حبيب مهيب.

كنت للرسول صلى الله عليه وآله ولداً، وللقرآن منقذاً، وللأمة عضداً، وفي الطاعة مجتهداً، حافظاً للعهد والميثاق، ناكباً [٦] عن سبل الفساق، باذلاً للمجهود، طويل الركوع

١- الاكتياب: الغم والحزن.

٢- كالئ: راعي وحافظ.

٣- الشيم: الخلق والطبيعة.

٤- الطر ائق: جمع طريقة، وهي السيرة والنهج.

٥- الضر ائب: جمع ضريبة، وهي السجيّة.

٦- ناكب: عادل ومبتعد.

والسجود. زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها، ناظراً إليها بعين المستوحشين منها، آمالك عنها مكفوفة، وهمّتك عن زينتها مصروفة، وألحاظك عن بهجتها مطروفة، ورغبتك في الآخرة معروفة. حتى إذا الجور مدَّ باعه [١]، وأسفر الظلم قناعه، ودعا الغي أتباعه، و أنت في حرم جدك قاطن، وللظالمين مباين، جليس البيت والمحراب، معتزل عن اللذات والشهوات، تنكر المنكر بقلبك ولسانك، على قدر طاقتك وإمكانك. ثم اقتضاك العلم للإنكار، ولزمك أن تجاهد الفجّار، فسرت في أولادك وأهاليك، وشيعتك ومواليك، وصدعت بالحق والبيّنة، ودعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرت بإقامة الحدود، والطاعة للمعبود، ونهيت عن الخبائث والطغيان، وواجهوك بالظلم والعدوان. فجاهدتهم بعد الإيعاظ لهم، وتأكيد الحجة عليهم، فنكثوا ذمامك وبيعتك، وأسخطوا ربك وجدك، وبدؤوك بالحرب، فثبت للطعن والضرب، وطحنت جنود الفجار، و اقتحمت قسطل [٢] الغبار، مجالداً بذي الفقار، كأنك علي المختار.

فلما رأوك ثابت الجأش، غير خائف ولا خاش، نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرّهم، وأمر اللعين جنوده، فمنعوك الماء وورودَه، وناجزوك [٣] القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكف الاصطلام، ولم يرعوا لك ذماماً [٤]، ولا راقبوا فيك آثاماً، في قتلهم أولياءك، ونهبهم رحالك، أنت مقدّم في الهبوات [٥]، ومحتمل للأذيات، وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات. وأحدقوا بك من كل الجهات، و أثخنوك [٦] بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر، و أنت محتسب صابر، تذبُّ عن نسوتك وأولادك. حتى نكّسوك [٧] عن جوادك، فهويت إلى

١- مد باعه: بلغ غايته.

٢- قسطل: ثورة الغبار أثناء الحرب والنزال.

٣- ناجز: برز للقتال.

٤- ذمام: حق وحرمة.

٥- الهبوة: الغبرة التي تأتي بها الريح.

٦- أثخنه: أضعفه وأرهقه.

٧- نكّسه: أنزله وأسقطه.

الأرض جريحاً، تطؤوك الخيول بحو افرها، وتعلوك الطغاة ببو اترها [١]، قد رشح [٢] للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفياً إلى رحلك وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهلك، وأسرع فرسك شارداً، وإلى خيامك قاصداً، محمحما [٣] باكياً.

فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور [٤]، على الخدود لاطمات، الوجوه سافرات [٥]، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات، والشمر جالس على صدرك، مولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنّده [٦]، قد سكنت حواسّك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا [٧] رأسك، وسبي أهلك كالعبيد، وصفّدوا [٨] في الحديد، فوق أقتاب [٩] المطيّات، تلفح وجوههم حر الهاجرات [١٠]، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق. فالويل للعصاة الفسّاق.

لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطّلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرّفوا آيات القرآن، وهملجوا [١١] في البغي والعدوان. لقد أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله موتوراً، وعاد كتاب الله عز وجل مهجوراً، وغودر الحق إذ قهرت مقهوراً، وفقد بفقدك التكبير والتهليل، والتحريم والتحليل، والتنزيل والتأويل،

١- البو اتر: السيوف القاطعة.

٢- رشح: عرق.

٣- حمحم: ردد بصوته.

٤- الشعور هنا تعني: الأفكار، فناشرات الشعور أي مذهولات وتائهات الفكر.

٥- سافرات الوجوه: أي كاشفات.

٦- المهنّد: السيف.

٧- القنا: الرمح.

٨- صفّدوا: أوثقوا.

٩- القتب: الرحل.

١٠- الهاجر: وقت الظهيرة أيام القيظ والحر.

١١- هملج: سار مسرعاً مستسهلاً.

وظهر بعدك التغيير والتبديل، والإلحاد والتعطيل، والأهواء والأضاليل، والفتن والأباطيل. فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلاً: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك. فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزي أباك أمير المؤمنين، و أقيمت لك المآتم في أعلى علّيين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها، والجنان وخزّانها، والهضاب و أقطارها، والأرض و أقطارها، والبحار وحيتانها، ومكة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام.

اللهم فبحرمة هذا المكان المنيف، صل على محمد وآل محمد واحشرني في زمرتهم، وأدخلني الجنة بشفاعتهم. اللهم فإني أتوسل إليك يا أسرع الحاسبين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أحكم الحاكمين، بمحمد خاتم النبيين، رسولك إلى العالمين أجمعين، وبأخيه و ابن عمه الأنزع البطين، العالم المكين [1]، علي أمير المؤمنين، وبفاطمة سيدة نساء العالمين. وبالحسن الزكي عصمة المتقين، وبأبي عبد الله الحسين أكرم المستشهدين، وبأولاده المقتولين، وبعترته المظلومين، وبعلي بن الحسين زين العابدين، وبمحمد بن علي قبلة الأوّابين، وجعفر بن محمد أصدق الصادقين، وموسى بن جعفر مظهر البراهين، وعلي بن موسى ناصر الدين، ومحمد بن علي قدوة المهتدين، وعلي بن محمد أزهد الزاهدين، والحسن بن علي وارث المستخلفين، والحجة على الخلق أجمعين، أن تصلي على محمد وآل محمد، الصادقين الأبرين، آل طه ويس، وأن تجعلني في القيامة من الآمنين المطمئنين، الفائزين الفرحين المستبشرين.

اللهم اكتبني في المسلمين، وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، و انصرني على الباغين، واكفني كيد الحاسدين، واصرف عني مكر الماكرين، و اقبض عني أيدي الظالمين، واجمع بيني وبين السادة الميامين في أعلى علّيين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

١- مكين: ذو مكانة ومنزلة رفيعة.

اللهم إني أقسم عليك بنبيك المعصوم، وبحكمك المحتوم، ونهيك المكتوم، وبهذا القبر الملموم [١]، الموسَّد في كنفه الإمام المعصوم، المقتول المظلوم، أن تكشف ما بي من الغموم، وتصرف عني شر القدر المحتوم، وتجيرني من النار ذات السموم.

اللهم جلّلني بنعمتك، ورضّني بقسمك، وتغمدني بجودك وكرمك، وباعدني من مكرك ونقمتك. اللهم اعصمني من الزلل، وسددني في القول والعمل، و افسح لي في مدة الأجل، واعفني من الأوجاع والعلل، وبلغني بموالي وبفضلك أفضل الأمل. اللهم صل على محمد وآل محمد و اقبل توبتي، وارحم عبرتي، و أقلني عثرتي، ونفّس كربتي، واغفر لي خطيئتي، وأصلح لي في ذريتي.

اللهم لا تدع لي في هذا المشهد المعظّم، والمحل المكرّم، ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا غماً إلا كشفته، ولا رزقاً إلا بسطته، ولا جاهاً إلا عمّرته، ولا فساداً إلا أصلحته، ولا أملاً إلا بلغته، ولا دعاء إلا أجبته، ولا مضيقاً إلا فرّجته، ولا شملاً إلا جمعته، ولا أمراً إلا أتممته، ولا مالاً إلا كثّرته، ولا خلقاً إلا حسّنته، ولا إنفاقاً إلا أخلفته، ولا حالاً إلا عمّرته، ولا حسوداً إلا قمعته، ولا عدواً إلا أرديته، ولا شراً إلا كفيته، ولا مرضاً إلا شفيته، ولا بعيداً إلا أدنيته، ولا شعثاً إلا لممته، ولا سؤالاً إلا أعطيته.

اللهم إني أسألك خير العاجلة وثواب الآجلة، اللهم أغنني بحلالك عن الحرام، وبفضلك عن جميع الأنام، اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ويقيناً شافياً، وعملاً زاكياً، وصبراً جميلاً، وأجراً جزيلاً.

اللهم ارزقني شكر نعمتك عليّ، وزد في إحسانك وكرمك إليّ، واجعل قولي في الناس مسموعاً، وعملي عندك مرفوعاً، و أثري في الخيرات متبوعاً، وعدوي مقموعاً.

اللهم صل على محمد وآل محمد الأخيار، في آناء الليل وأطراف النهار، واكفني شر الأشرار، وطهّرني من الذنوب والأوزار، وأجرني من النار، وأدخلني دار القرار، واغفر لي ولجميع إخواني فيك، وأخواتي المؤمنين والمؤمنات، برحمتك يا ارحم الراحمين.

١- الملموم: المكان المشخّص والمحدّد الذي تفد الناس على زيارته.

ثم توجّه إلى القبلة، وصلِّ ركعتين، وتقرأ في الأُولى سورة الأنبياء، وفي الثانية الحشر، وتقنت فتقول:

"لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع والأرضين السبع، وما فيهن وما بينهن، خلافاً لأعدائه، وتكذيباً لمن عدل به، و إقراراً لربوبيته، وخشوعاً لعزته، الأول بغير أول، والآخر بغير آخر، الظاهر على كل شيء بقدرته، الباطن دون كل شيء بعلمه ولطفه. لا تقف العقول على كنه عظمته، ولا تدرك الأوهام حقيقة ماهيته، ولا تتصور الأنفس معاني كيفيته، مطلعاً على الضمائر، عارفاً بالسر ائر يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. اللهم إني أشهدك على تصديقي رسولك صلى الله عليه وآله، و إيماني به، وعلمي بمنزلته، و إني أشهد أنه النبي الذي نطقت الحكمة بفضله، وبشّرت الأنبياء به، ودعت إلى الإقرار بما جاء به، وحثّت على تصديقه بقوله تعالى: "الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم" [١]. فصلِّ على محمد رسولك إلى الثقلين، وسيد الأنبياء المصطفين، وعلى أخيه و ابن عمه، اللذين لم يشركا بك طرفة عين أبداً، وعلى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، صلاة خالدة الدوام، عدد قطر الرهام [٢]، وزنة الجبال والآكام، ما اورق السلام [٣]، واختلف الضياء والظلام، وعلى آله الطاهرين، الأئمة المهتدين، الذائدين عن الدين، علي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة، القوام بالقسط، وسلالة السبط. اللهم إني أسألك بحق هذا الإمام فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، ونصراً عزيزاً، وغنى عن الخلق، وثباتاً في الهدى، والتوفيق لما تحب وترضى، ورزقاً واسعاً حلالاً طيباً، مريئاً دارّاً، سائغاً فاضلاً مفضلاً، صبّاً صبّاً، من غير كد ولا نكد، ولا منّة من أحد، وعافية من كل بلاء وسقم ومرض، والشكر على العافية والنعماء، وإذا جاء الموت، فاقبضنا على أحسن ما يكون لك طاعة، على ما أمرتنا محافظين، حتى تؤدينا إلى جنات النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم صل على محمد وآل محمد وأوحشني

١- الأعراف: ١٥٥.

٢- الرهام: المطر الضعيف الدائم.

٣- السلام: الشجر.

من الدنيا، و آنسني بالآخرة، فإنه لا يوحش من الدنيا إلا خوفك، ولا يؤنس بالآخرة إلا رجاؤك. اللهم لك الحجة لا عليك، وإليك المشتكى لا منك، فصلِّ على محمد وآله وأعنّي على نفسي الظالمة العاصية، وشهوتي الغالبة، واختم لي بالعفو والعافية. اللهم إنّ استغفاري إياك و أنا مصرٌّ على ما نهيت قلة حياء، وتركي الاستغفار مع علمي بسعة حلمك تضييع لحق الرجاء، اللهم إنّ ذنوبي تؤيسني أن أرجوك، وإنّ علمي بسعة رحمتك يمنعني أن أخشاك، فصلِّ على محمد وآل محمد، وصدّق رجائي لك، وكذّب خوفي منك، وكن لي عند أحسن ظني بك، يا أكرم الأكرمين. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد و أيدني بالعصمة، و أنطق لساني بالحكمة، واجعلني ممن يندم على ما ضيّعه في أمسه، ولا يغبن حظه في يومه، ولا يهم لرزق غده. اللهم إنّ الغني من استغنى بك و افتقر إليك، والفقير من استغنى بخلقك عنك، فصل على محمد وآل محمد، وأغنني عن خلقك بك، واجعلني ممن لا يبسط كفّاً إلا إليك. اللهم إنّ الشقي من قنط وأمامه التوبة ووراءه الرحمة، وإن كنت ضعيف العمل فإني في رحمتك قوي الأمل، فهب لي ضعف عملي لقوة أملي. اللهم إن كنت تعلم أنّ في عبادك من هو أقسى قلباً مني، وأعظم مني ذنباً، فإني أعلم أنه لا مولى أعظم منك طولاً، وأوسع رحمة وعفواً، فيا من هو أوحد في رحمته، اغفر لمن ليس بأوحد في خطيئته. اللهم إنك أمرتنا فعصينا، ونهيت فما انتهينا، وذكرت فتناسينا، وبصرت فتعامينا، وحددت فتعدّينا، وما كان ذلك جزاء إحسانك إلينا، و أنت أعلم بما أعلنا وأخفينا، وأخبر بما نأتي وما أتينا، فصلِّ على محمد وآل محمد، ولا تؤاخذنا بما أخطأنا ونسينا، وهب لنا حقوقك لدينا، و أتم إحسانك إلينا، وأسبل رحمتك علينا. اللهم إنّا نتوسل إليك بهذا الصدّيق الإمام، ونسألك بالحق الذي جعلته له، ولجده رسولك، ولأبويه علي وفاطمة، أهل بيت الرحمة، إدرار الرزق الذي به قوام حياتنا، وصلاح أحوال عيالنا، فأنت الكريم الذي تعطي من سعة، وتمنع من قدرة، ونحن نسألك من الرزق ما يكون صلاحاً للدنيا وبلاغاً للآخرة. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، و آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

ثم تركع وتسجد وتجلس فتتشهّد وتسلّم، فإذا سبّحت فعفّر خديك وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر- أربعين مرة.

واسأل الله العصمة والنجاة، والمغفرة والتوفيق لحسن العمل والقبول، لما تتقرّب به إليه وتبتغي به وجهه، وقف عند الرأس ثم صلِّ ركعتين على ما تقدم، ثم انكب على القبر وقبّله وقل: زاد الله في شرفكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وادع لنفسك ولوالديك ولمن أردت، و انصرف إن شاء الله تعالى) [1].

١- المزار، المشهدي: ٤٩٦ – ٥١٣.

المصادر

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس

١. المتشابهات، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٢. الجواب المنير عبر الأثير، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٣. بريد الصفحة، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٤. الرجعة ثالث أيام الله الكبرى، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.
٥. عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام،
٦. إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
٧. الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي، مكتبة الشريف الرضي – قم.
٨. الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، دار الكتب العلمية – بيروت.
٩. إثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي، منشورات الرضي – قم.
١٠. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
١١. أخبار الدول و آثار الأُول، أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني، طبعة حجرية.
١٢. أخبار الزينبات، السيد يحيى بن الحسن العبيدلي العقيقي.
١٣. الأخبار الطوال، أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٦٠ م.

١٤. الأربعون الصغرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٥. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.

١٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٧. أسرار الشهادة، الفاضل الدربندي، منشورات الأعلمي – طهران.

١٨. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

١٩. إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ١٤١٧ هـ.

٢٠. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت.

٢١. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، محمد بن الحسن الطوسي، منشورات جامع جهل ستون - طهران، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠ هـ.

٢٢. إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٢٣. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧ هـ.

٢٤. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٢٥. الأمالي، محمد بن النعمان "المفيد"، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٢، ١٩٩٣ م.

٢٦. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.

٢٧. الأنوار البهية، عباس القمي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

٢٩. البدء والتاريخ، المطهربن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

٣١. بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٢. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.

٣٣. بلاغات النساء، أبو الفضل بن أبي طاهر ابن طيفور، مكتبة بصيرتي – قم.

٣٤. تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

٣٥. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، منشورات الشرف الرضي – قم، ١٤١١ هـ.

٣٦. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، حسين بن محمد الدياربكري، مؤسسة شعبان – بيروت.

٣٧. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.

٣٨. تاريخ المختصر الدول، غريغوريوس الملطي ابن العبري، دار الميسرة – بيروت.

٣٩. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٩٩٥ م.

٤٠. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر - بيروت، مؤسسة نشر فرهنك أهل بيت - قم.

٤١. تبصرة الأنام بشرح نواقض الإسلام، عبد العزيز الراجحي، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٤٢. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.

٤٣. ترجمة الإمام الحسين ومقتله، القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة: ستاره - قم، الطبعة الأولى، ١٤٥١ هـ.

٤٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن "تفسير الثعلبي"، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

٤٥. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي – طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٤٦. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تعليق السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

٤٧. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٤٨. تهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

٤٩. التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين، أبو حامد بن مرزوق: ١٠٥، مكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢، استنابول – تركية، ١٩٧٦ م.

٥٠. توضيح المقاصد، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، المطبوع منع المجموعة النفيسة.

٥١. الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة انصاريان - قم، ط١، ١٤١١ هـ.

٥٢. الثقات، محمد بن حبان، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣.

٥٣. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٥٤. الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٩٨٥ م.

٥٥. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم، ١٤١٥ هـ.

٥٦. حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي، مكتبة الداوري، قم.

٥٧. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.

٥٨. الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.

٥٩. الدرر السنية في الرد على الوهابية، أحمد زيني دحلان: ص٤١، مكتبة ايشيق بشارع دار الشفقة بفاتح ٧٢، استنابول – تركية، ١٩٧٦ م.
٦٠. دعائم الإسلام، النعمان بن محمد بن منصور المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣ م.
٦١. دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٦٢. الرد على المتعصب العنيد، عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٦٣. رسائل الشريف المرتضى، علي بن الحسين المرتضى، إعداد: السيد أحمد الحسيني، منشورات دار القرآن الكريم - قم، ١٤١٠ هـ.
٦٤. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، منشورات المكتبة الحيدرية – النجف، ١٣٨٦ هـ.
٦٥. زينب الكبرى، جعفر النقدي، منشورات مكتبة المفيد.
٦٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.
٦٧. السيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، باقر شريف القرشي، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٦٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.
٦٩. شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية – النجف، ١٣٨٥.
٧٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٧١. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٧٢. شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق: شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم.
٧٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.
٧٤. شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، نشر مركز الاعلام الإسلامي - الحوزة العلمية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٢ ش.

٧٥. صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.

٧٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.

٧٧. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الألباني، تعليق وإشراف: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

٧٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر- بيروت.

٧٩. الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٠. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

٨١. الطراز المذهّب في أحوال أم المصائب زينب، الراوندي.

٨٢. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف بن المطهر الحلي، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة النجفي المرعشي – قم.

٨٣. العقد الفريد، يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي، ق ٧ هـ، مكتبة عالم الفكر - القاهرة، ١٣٩٩ هـ.

٨٤. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

٨٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٦. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، المعروف بـ"العوالم - الامام الحسين"، الشيخ المحدث عبد الله البحراني، تحقيق ونشر: مدرسة الغمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٨٧. الغدير، عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

٨٨. الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٨٩. فاجعة الطف، محمد كاظم القزويني، هيئة محمد الأمين، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٩٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الثانية.

٩١. الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

٩٢. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، مطبعة العدل – النجف.
٩٣. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
٩٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٤ م.
٩٥. قاموس الرجال، محمد تقي التستري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٩٦. قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم.
٩٧. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.
٩٨. كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر الفقاهة، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٩٩. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر - بيروت، ١٩٦٥ م.
١٠٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، دار الكتاب الإسلامي – بيروت.
١٠١. كشف القناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد حسن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
١٠٢. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.
١٠٣. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر- طهران.
١٠٤. كنز العمال، علاء الدين علي المتقي الهندي، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٩ م.
١٠٥. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ويليه كتاب: حكاية المختار في أخذ الثأر برواية أبي مخنف. الناشر: أنوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
١٠٦. لواعج الأشجان، محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي – قم، ١٣٣١.
١٠٧. اللؤلؤ والمرجان، ميرزا حسين النوري، تحقيق: حسين استاد ولي، دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٠٨. مثير الأحزان، محمد بن جعفر ابن نما الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٥٠.
١٠٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٨ م.
١١٠. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.
١١١. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ.
١١٢. المحاضرات والمحاورات، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
١١٣. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
١١٤. مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
١١٥. المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
١١٦. مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، محمد بن النعمان المفيد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
١١٧. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٨ هـ.
١١٨. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
١١٩. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٩٨٧ م.
١٢٠. مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي، تحقيق: طاهر السلامي، منشورات مؤسسة الأعلمي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
١٢١. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت.
١٢٢. مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

١٢٣. المصباح، إبراهيم الكفعمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٢٤. مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، محمد جعفر الطبسي، محمد أمين الأميني، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه، ١٤٢٨ هـ.ق.

١٢٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي"، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٢٦. معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ.

١٢٧. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

١٢٨. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٧٩.

١٢٩. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥ م.

١٣٠. مقتل الحسين، لوط بن يحيى بن سعيد أبو مخنف الأزدي، تعليق: حسن الغفاري، المطبعة العلمية - قم.

١٣١. مقتل الحسين، الخوارزمي، مكتبة المفيد - قم.

١٣٢. مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرم، دار الكتب الإسلامية، بيروت.

١٣٣. الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية - قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

١٣٤. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.

١٣٥. مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٣٦. مناقب علي بن أبي طالب، علي بن محمد الواسطي الشافعي ابن المغازلي، المكتبة الإسلامية – طهران.

١٣٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

١٣٨. منتهى الآمال، عباس القمي، دار المصطفى العالمية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
١٣٩. موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ. ش.
١٤٠. موسوعة كلمات الإمام الحسين، اعداد: قسم الحديث في معهد باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
١٤١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت.
١٤٢. نظريات الخليفتين، نجاح الطائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
١٤٣. نفس المهموم، عباس القمي، منشورات مكتبة بصيرتي – قم، ١٤٠٥ هـ.
١٤٤. نهاية الإرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
نهر الذهب في تاريخ حلب، كامل البالي الحلبي الغزي، دار القلم العربي – بيروت.
١٤٥. نهضة عاشوراء، معهد سيد الشهداء، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية – بيروت، الإصدار الأول، ٢٠١٢ م.
١٤٦. نو اقض الإسلام، محمد بن عبد الوهاب.
١٤٧. نور الأبصار، مؤمن بن حسن الشبلنجي، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٤٨. نور على الدرب، فتاوى ابن باز، الموقع الرسمي لابن باز.
١٤٩. الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت.
١٥٠. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
١٥١. وفيات الأئمة، مجموعة من العلماء، دار البلاغة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
١٥٢. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

الفهرست التفصيلي

(١) مقتل الإمام الحسين(ع) ٥

مقتل الحسين(ع) و أنصاره يوم عاشوراء:..... ٦

مجزرة عاشوراء:..... ٧

لماذا مجزرة؟ ٧

عاشوراء؛ التحام أم قتال فردي؟ ٨

التعبئة للحرب:..... ١١

خطب الحسين(ع) وأصحابه بالجيش الأموي:..... ١٤

لحوق الحر الرياحي:..... ٢١

صورة أكثر واقعية ليوم عاشوراء:..... ٢٥

مبارزات فردية:..... ٢٥

بدء الحرب والالتحام المقدس:..... ٢٨

الالتحام وزخم المعركة:..... ٢٩

كم كان وقت الواقعة؟ ٣٢

بطولة أنصار الحسين(ع):..... ٣٤

صور من بطولة الأنصار:..... ٣٤

عشق وفداء:..... ٣٨

خسائر الجيش الأموي:..... ٣٩

الصلاة أول وقتها آخر زاد الراحلين:..... ٤٢

مقاتل أنصار الحسين (أهل بيته وصحبه) وتأبينه لهم:..... ٤٣

مقتل الأنصار وتأبينهم:..... ٤٣

الحسين(ع) وولده الأكبر:..... ٤٨
خصائص العباس(ع) ومقتله:..... ٥٥
مقتل الحسين(ع):..... ٦١
وقت الوداع:..... ٦١
ما لاقاه الحسين أعلى قمم الجنان بنظره!..... ٦٣
الحسين(ع) يضم طفليه إلى قافلة العطاء:..... ٦٧
نهوض زين العابدين لنصرة الحسين(ع):..... ٦٩
الحسين(ع) يسلّم وصيته الظاهرة عند اقتراب الوفاة:..... ٧٠
الحسين(ع) يستعد للقتل والسلب:..... ٧٢
الحسين ذبيح الله:..... ٧٤
أحداث بعد مقتل الحسين(ع):..... ٧٨
التواء السرج بلا حسين!..... ٧٨
سلب الحسين(ع):..... ٧٩
رض جسد الحسين(ع) بحوافر الخيل:..... ٨٠
هتك مخيّم الحسين(ع) ومحاولة قتل زين العابدين(ع):..... ٨١
حرق المخيّم:..... ٨٧
خروج زينب(ع) للحسين(ع):..... ٨٨
آيات رافقت قتل الحسين(ع):..... ٩٢
حمل الرؤوس إلى الكوفة:..... ٩٧
مَنْ قتل الحسين(ع)؟..... ٩٩
(٢) ركب آل الرسول في الكوفة ١٠٥
مسير الركب إلى الكوفة:..... ١٠٦
مرور الركب بأرض المعركة:..... ١٠٧
زينب(ع) تواسي ابن أخيها السجاد بحديث أم أيمن:..... ١٠٨

دخول الركب إلى الكوفة:........ ١١٢
رأس الإمام الحسين(ع) في الكوفة:........ ١٢٠
الرأس الشريف يسبق الركب في دخول الكوفة:........ ١٢٠
بماذا نطق الرأس الشريف؟........ ١٢١
خطب أهل بيت الحسين(ع) بأهل الكوفة:........ ١٢٦
خطبة زينب(ع) بأهل الكوفة:........ ١٢٧
خطبة أم كلثوم بأهل الكوفة:........ ١٣٠
خطبة علي بن الحسين(ع) بأهل الكوفة:........ ١٣١
عائلة الحسين(ع) في مجلس ابن زياد:........ ١٣٤
زينب(ع) تخزي ابن زياد وتفوّت على إبليس خطّته:........ ١٣٤
ابن زياد وثنايا الحسين(ع):........ ١٣٥
زينب(ع) تلقم ابن زياد حجراً!........ ١٣٧
مواجهة علي بن الحسين(ع) لابن زياد:........ ١٤١
صفعة أخرى يتلقاها ابن زياد من أم كلثوم:........ ١٤٣
دفن أجساد شهداء كربلاء:........ ١٤٤
أرض الدفن:........ ١٤٥
متى تم دفن الأجساد الطاهرة؟........ ١٤٥
لماذا اقتضى الدفن حضور الإمام المعصوم؟........ ١٤٦
تقييم عقيدة "السباع" المبتدعة!........ ١٥٠
أحداث هامة قبل مسير الركب إلى الشام:........ ١٥٤
أول الغيث قطرة!........ ١٥٤
هل تصدى المختار الثقفي لابن زياد؟........ ١٥٦
مقتل ولدي مسلم بن عقيل:........ ١٥٨
مسير الركب الزينبي من الكوفة إلى الشام:........ ١٥٩
مدة مكوث آل الرسول في الكوفة:........ ١٥٩

طريقة حمل آل الرسول إلى الشام:..... ١٦١
من أحداث مسير الركب إلى الشام:..... ١٦٨
مشاهد في منازل الطريق إلى الشام:..... ١٧١
أيُّ طريق سلكه الركب في مسيره إلى الشام؟..... ١٧٣
(٣) ركب آل الرسول في الشام ١٧٧
دخول الركب دمشق:..... ١٧٧
دخول حاملي رأس الحسين(ع) على يزيد:..... ١٨١
رأس الحسين(ع) في محضر يزيد:..... ١٨٥
دخول عائلة الحسين(ع) على مجلس يزيد:..... ١٩٥
حوار بين علي بن الحسين(ع) ويزيد ومحاولة قتل الإمام:..... ١٩٨
زينب(ع) تحمّل يزيد مسؤولية ما حصل لآل الرسول:..... ٢٠٢
معاملة سبايا!..... ٢٠٣
خطب آل الحسين في مجلس يزيد:..... ٢٠٥
خطبة العقيلة زينب(ع):..... ٢٠٥
خطبة الإمام علي بن الحسين(ع):..... ٢١٢
مكان الإقامة في الشام ومدتها:..... ٢١٧
مكان الإقامة في الشام:..... ٢١٧
دس أموي بغرض التخفيف من الجريمة:..... ٢١٨
مدة الإقامة في الشام:..... ٢٢٠
(٤) ركب آل الرسول؛ من الشام إلى المدينة ٢٢٣
خروج آل الرسول من الشام إلى كربلاء:..... ٢٢٣
لقاء آل الرسول بجابر الأنصاري:..... ٢٢٨
زيارة جابر لقبر الحسين(ع) ولقاؤه بآل الرسول:..... ٢٢٨
هل رُدّت الرؤوس إلى الأجساد؟..... ٢٣٢
زيارة الأربعين:..... ٢٣٤

فضل زيارة الحسين(ع) والتبرّك بضريحه: ٢٣٦
(٥) ركب آل الرسول في المدينة ٢٤٩
أم سلمة أول العارفين بمقتل الحسين(ع): ٢٤٩
عزاء أم سلمة وبعض نساء آل أبي طالب: ٢٥٤
علي بن الحسين(ع) يرسل ابن حذلم ناعياً: ٢٥٦
وصول ركب آل الرسول إلى المدينة: ٢٥٩
يأبى الله إلا أن يتم نوره! ٢٦١
حزن سرمدي حتى الممات! ٢٦٢
زينب(ع)؛ الغريبة المنفية حتى الممات! ٢٦٥
ملحق ١: روايات فضل زيارة الحسين(ع) ٢٦٩
ملحق ٢: النص الكامل لزيارة الناحية المقدسة ٢٧٩
المصادر ٢٩١
الفهرست التفصيلي ٣٠١